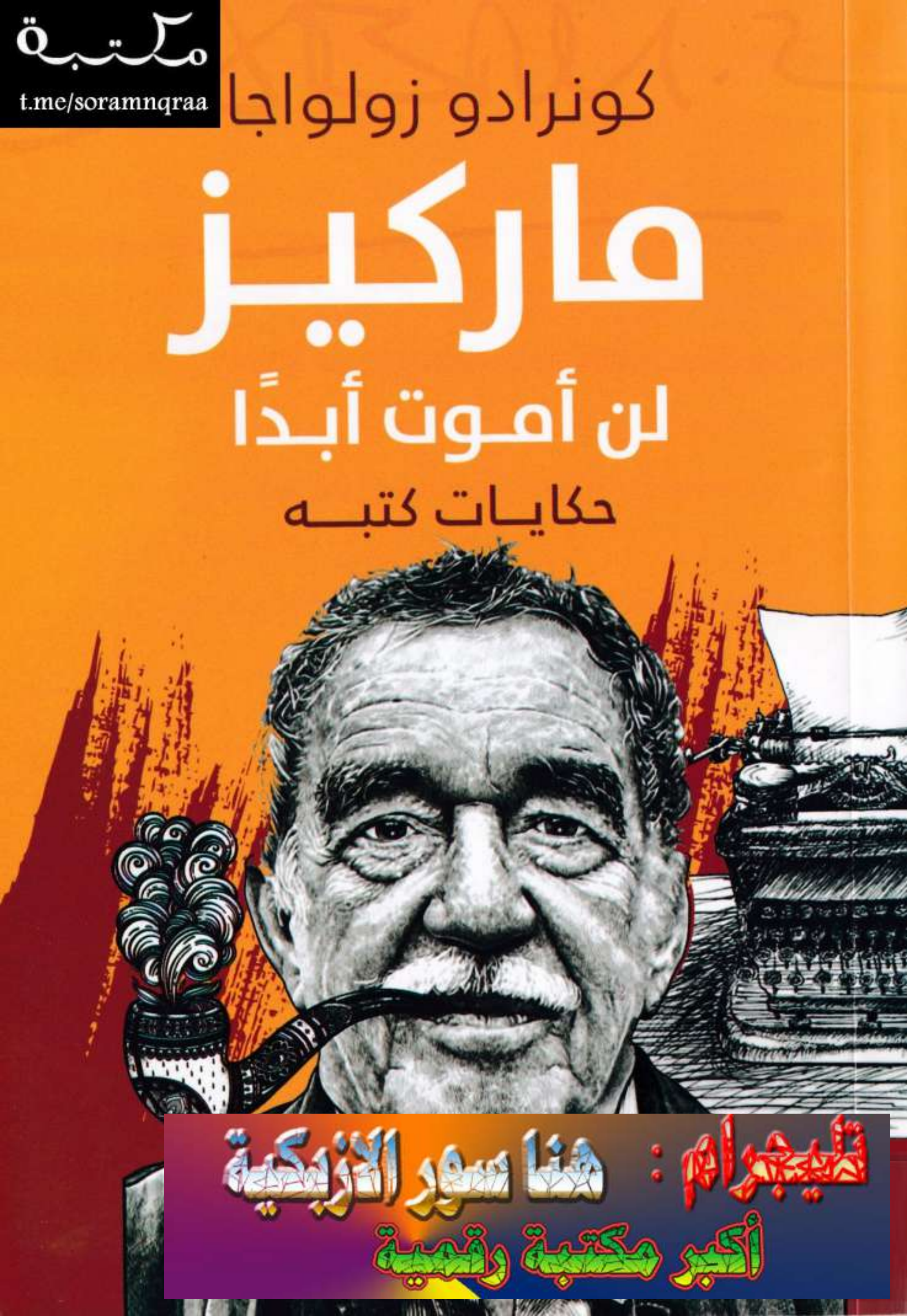

مكتبة
t.me/soramnqraa
كونرادو زولواجا
ماركيز
لن أمـوت أبـدًا
حكايـات كتبــه
تليجرام : هنا سور الأزبكية
أكبر مكتبة رقمية



مــاركيز

لن أموت أبدًا.. حكايات كتبه

مكتبة سُر مَن قرأ

ماركيز...
لن أموت أبدًا.. حكايات كتبه
تأليف: كونرادو زولواجا

تحرير ومراجعة: هدى فضل
مراجعة لغوية: فاطمة محمود

الطبعة الأولى: يوليو 2021
رقم الإيداع: 2021/7953
الترقيم الدولي:9789773196431

60 شارع قصر العيني - 11451 - القاهرة
ت:27921943 (202+) – 27954529 (202+)، ف:27947566 (202+)
www.alarabipublishing.com.eg

تصميم الغلاف: إسلام أحمد

First Edition, in Spanish, as *Gabriel García Márquez. No moriré del todo*, Luna Libros, Bogotá, Colombia, 2017

كونرادو زولواجا

مـــاركيز

لن أموت أبدًا.. حكايات كتبه

كتاب من كولومبيا



بطاقة فهرسة

زولواجا، كونرادو

ماركيز.. لن أموت أبدًا.. كتاب من كولومبيا/ تأليف: كونرادو زولواجا، ترجمة سمير محفوظ بشير.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع - 2021.

ص، سم.

تدمك 9789773196431

1- القصص الكولومبية

أ- بشير، سمير محفوظ (مترجم)

ب- العنوان 863



-لن أموت أبدًا.

"هوراس أوديس الثالث"


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

"في مكان ما على الأرض، دائمًا ما ينجو رجل مشتت يقضي وقته حالمًا، ولا ينام أو يعمل، كما أنه ليس أمامه من خيارٍ سوى أن يفنى كأي كائن بشري، إلا إذا كان من النوع الذي يؤلف القصص ويحكيها.

نحن أيضًا متأكدون من أن هذا الكائن الافتراضي، والذي سيصبح معاديًا للمجتمع، سوف يجد لنفسه جمهورًا متأثرًا بالسم نفسه؛ وسيحيط به ذلك الجمهور لكي يستمع إلى أكاذيبه".

ج.س. أونيتي


أهم جروبات على تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية



صنعتي..

السحر


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

"إن اسمي، أيها السنيور، هو "جابرييل جارثيا ماركيز". آسف، أنا أيضًا لا أحب هذا الاسم لأنه عبارة عن خيط من أسماء عادية لم أتمكن قطُّ من الارتباط بها. ولدت في بلدة "أراكاتاكا" في كولومبيا، من مواليد برج الحوت، وزوجتي اسمها "مرسيدس". وهما - زوجتي وبلدتي - أهم شيئين حدثا لي في حياتي، لأنني بسببهما تمكنت من استخدام الكتابة للنجاة؛ أو على الأقل، النجاة حتى الآن".

إن هذه هي أولى الجمل التي كتبها "ماركيز" في واحدة من أقل ما كتبه شعبية. ربما يعود هذا إلى حقيقة أنها لم ترد في أي من رواياته المشهورة، أو في مجموعاته القصصية، ولا حتى في مذكراته. تجدها فقط في كتاب "صور ذاتية" "Retratos y Autorretratos" – Portraits and Self Portraits (1974)، والذي نشر في بوينس آيرس بواسطة المصورتين "سارة فاثيو" و"أليشيا داميكو". جمعت المصورتان الصور الشخصية للمؤلفين، وأضاف المؤلفون اللاتينيون البارزون إليها مقتطفات من سيرهم الذاتية. اكتفى بعضهم بصورته فقط مفضلًا عدم كتابة أي شيء؛ مثل "خوان رولفو"، الذي ظهرت صفحته خالية تمامًا؛ آخرون اعتمدوا على إدراج مقتطفات من كتبهم، مثل "أوكتابيو باث"؛ لكن العديد منهم مثل "خوان كارلوس أونيتي" و"جابرييل جارثيا ماركيز" كتبوا ملامح من سيرتهم الذاتية. كتب ابن عامل التلغراف الذي أتى من "أراكاتاكا":

"أنا كاتب لأنني إنسان خجول. إن صنعتي هي السحر، لكن طول المدة التي أستغرقها في صناعة سحري، تصيبني بالاضطراب؛ فأضطر إلى أن

أحتمي بالعزلة التي يوفرها لي الأدب. على أية حال، قيامي بالأمرين معًا: السحر والأدب، يؤدي بي إلى الشيء الوحيد الذي أثار اهتمامي منذ أن كنت طفلًا: أن أصدقائي سيحبونني أكثر".

على الرغم من أن الكتَّاب "يكذبون طوال الوقت"، ولكن هؤلاء الذين تابعوا كتابات "جابرييل جارثيا ماركيز" سيكون عليهم أن يتذكروا بعض جمله المكررة في أعماله المختلفة، وحينها سيدركون أنه صادق. كان أقوى دوافعه للقيام بأي شيء هو أن يحبه أصدقاؤه أكثر، ومن أجل هذا الهدف وحده، برع في أثناء طفولته في الرسم على حائط ورشة صائغ الفضة، ثم برع في الخدع السحرية في أيام نشأته الأولى، وفي مراهقته، أصبح لاعب بيانو وأكورديون ماهرًا، ثم بائع موسوعات، وشاعرًا، وصانع أفلام، وحكَّاء للقصص، ثم كاتبًا لها.

وقع حدث أظهر للعامة صفة من صفات "ماركيز" الشخصية بعد وصوله إلى العاصمة الفنزويلية في أغسطس عام 1968 بصحبة "ماريو بارجاس يوسا" في حفل استقبال جائزة "رومولو جايجوس". كان من المخطط أن يلقي محاضرة كجزء من برنامج هذا الحفل بعد أن أصبح ذائع الصيت لأن روايته "مئة عام من العزلة" قد تخطت توقعات الجميع وطُبع منها ثماني طبعات. عندما ظهر "ماركيز" أمام الجمهور، اكتشف أنه ليس لديه ما يقوله، والأسوأ هو أنه لم يكن مقتنعًا بما سيقوله. لم تكن لديه أدنى فكرة عن كيفية التحضير لمثل هذه الفعاليات. وفي رده على سؤال طُرح عليه، حكى قصة يمكن أن تستمر وتستمر إلى ما لا نهاية. ثم، وفي محاولة للسيطرة على الموقف الذي يكاد يفلت من يديه - وهو موقف لن يتكرر معه أبدًا فيما بعد - عكس الوضع، أخذ هو في طرح أسئلة على الجمهور الذي ملأ الغرفة:

"[...] أستطيع مثلًا أن أخبركم كيف بدأت الكتابة. لم يخطر ببالي مطلقًا أنني سوف أصبح كاتبًا في يوم ما، فعندما كنت طالبًا بالجامعة، كتب "إدواردو زالاميا بوردا"، المسؤول عن نشر الملحق الأدبي في صحيفة "إل إسبكتادور" El Espectador في مدينة "بوجوتا": "إن الجيل الجديد من الكتّاب ليس فيهم من يساوي حتى ذرة ملح، كما أنني لا أرى في الأفق أي قصاصين أو روائيين جيدين". ثم كتب في الختام أنه تعرض للنقد لأنه اقتصر في صحيفته على نشر قطع مختارة من كتاب قدماء معروفين، ولم ينشر أي شيء كتبه أحد من الكتّاب الشباب. جاء رده حينها كالآتي: "في الحقيقة، لا يوجد كتّاب شباب". شعرت حينها بنوع من التضامن مع جيلي، وقررت أن أكتب قصة، فقط بغرض وحيد، وهو أن أخرس "إدواردو زالاميا بوردا" والذي كان في الحقيقة صديقًا رائعًا لي، أو على الأقل هكذا أصبح لاحقًا. جلست، وكتبت قصة أرسلتها إلى صحيفة "إل إسبكتادور". وفي الأحد التالي، صُدمت للمرة الثانية عندما فتحت الصحيفة لأجد قصتي منشورة وتحتل صفحة بأسرها، مع ملاحظة يعترف فيها "إدواردو زالاميا بوردا" بأنه أخطأ، ثم أقر بأن "عبقرية الأدب الكولومبي قد استيقظت من جديد مع تلك القصة"، أو كان شيئًا من هذا القبيل. هذه المرة شعرت بالخوف، وقلت في نفسي: "ما هذه المصيبة التي ارتكبتها! والآن ما الذي يجب عليَّ فعله لكي يسترد "إدواردو زالاميا بوردا" ماء وجهه؟ كان الحل هو أن أستمر في الكتابة".

(إل إسبكتادور، بوجوتا، 3 مايو 1970).

إذًا يمكن القول إن "ماركيز" لم يصبح كاتبًا بناءً على دعوة أو إلهام، ولكن عن طريق التدبر والالتزام؛ كنوع من التحدي ما بين "إدواردو زالاميا" هذا والشاب خريج الجامعة. سيدرك القارئ عاجلًا وليس آجلًا أن هذا الكاتب الكولومبي كان مندمجًا في مزج الواقع بالخيال لدرجة استحال معها الفصل بين الاثنين. أن يقرر المرء أن يكون كاتبًا في أي عمر، أشبه بأن يراهن المرء على نفسه. وأن ينشر المرء عمله لتقرؤه العامة هو التصرف المتوقع لأي كاتب. إن هؤلاء الذين سيبحثون عن عدد صحيفة "نهاية الأسبوع" Fin de Semana وبالتحديد صفحة رقم 8 حيث قصة "الاستقالة الثالثة" Resignacion أو The Third Resignation والتي نُشرت في ملحق الجريدة عدد يوم السبت الموافق الثالث عشر من سبتمبر عام 1947، لن يجدوا الاعتذار الذي كتبه المحرر للمؤلفين الشباب. لقد نشر الاعتذار بالفعل، ولكنه ظهر بعدها بعدة أيام في عموده الصحفي والذي يُدعى La Ciudad y el Mundo أو The City and the World "المدينة والعالم". بعدها بستة أعوام، وعندما فاز "ماركيز" بأولى جوائزه وهي المقدمة من اتحاد الكتاب والفنانين الكولومبيين عن قصته "يوم بعد يوم السبت" Un dia Despues del Sabado أو A Day after Saturday، سيذكره "زالاميا" مرة أخرى في عموده، وسيظل على رأيه بأن "ماركيز" هو أفضل كاتب كولومبي ظهر خلال الأعوام الأخيرة.

إن مغامرته أمام الجمهور في "كاراكاس" وتوقُّع الجميع منه أن يتحدث عن نفسه، وأن يبدي آراءه ونظرياته فيما يخص مهنته، وأن يبدي رأيه في إبداعات زملائه من الكتاب، وأن يتنبأ بمستقبل الأدب – قادته إلى

اتخاذ قرار له الأهمية نفسها التي يتمتع بها استمراره في الكتابة؛ لن يشارك أبدًا في أي محاضرات أو أي مناقشات أكاديمية. سيكتفي بكونه راويًا للقصص والحكايات.

قال بعد مرور ثلاثين عامًا في مقالته "الهوس المبارك لسرد الحكايات" La bendita mania de contar أو The Blessed Maniaof Storytelling:

"عليّ أن أعترف لكم أن الأشياء الوحيدة التي لن تعاني العزلة لمئة عام ولن تعاني لعنة بابل، هي إرث المداحين والحكائين الذي ورثناه من القدماء المبجلين، الذين كانوا يرددون الحكايات الأخلاقية والمغامرات العجيبة التي وردت في قصص ألف ليلة وليلة وفي أسواق المغرب القديمة".

وُلد "جابرييل جارثيا ماركيز" - أو (جابو) كما يطلق عليه كل واحد من أصدقائه أو حتى هؤلاء الذين لم يتعاملوا معه مباشرة - عام 1927 في بلدة "أراكاتاكا". شرح في مذكراته أصل هذه البلدة واسمها.

"بدأت هذه البلدة كمستوطنة لهنود الـ"تشيميزيا" Chimila Indians ودخلت التاريخ بقدمها اليسرى كمنطقة بعيدة بلا إله أو قانون، وهي تابعة لبلدية مدينة "سيناجا" Cienaga، وهي تعاني الفقر حتى مع وفرة إنتاجها من الموز. الجزء الأول من اسمها Ara معناه في لغة الهنود "نهر"، والجزء الثاني Cataca هي اللقب الذي يطلقه الهنود على زعيمهم. لذلك، فنحن - السكان الأصليين لهذه البلدة - لا ندعوها أراكاتاكا، بل نكتفي بكاتاكا".

"عشتُ لأروي" - Living to Tell the Tale

إن والدته هي "لويزا سانتياجا ماركيز"، ووالده هو "جابرييل إيليخيو جارثيا". اضطر كلاهما إلى الصمود في وجه والدي أمه؛ الكولونيل "ريكاردو ماركيز ميخيا" Ricardo Maquez Mejia (أو باباليلو)، ووالدتها "ترانكلينا إيجواران" Tranquilina Iguearan (مينا). وافق الوالدان على زواج أبويه بعد عناد طويل وعناد بدائي سائد في أماكن كثيرة حتى اليوم؛ اعتبرا خطيب ابنتهما دخيلًا متطفلًا عليهم. وصف الكاتب رحلة الارتباط بين هذين الحبيبين في إحدى رواياته الشهيرة. حمى جداه ابنتهما وعزلاها عن المجتمع تمامًا، لكن كل هذا انتهى عندما أخذاها في رحلة عبر تلال "سييرا نيفادا دي سانتا ماريا". حوَّل الكاتب هذه التجربة إلى عمل أدبي في الرواية التي كتبها بعد مرور ثلاثة أعوام من حصوله على جائزة نوبل في الآداب؛ في رواية "الحب في زمن الكوليرا". لكن، بالطبع لم تكن أمه هي "فيرمينا ديازا"، وكذلك لم يكن والده هو "فلورنتينو أيرانثا"، لكن المشكلات التي واجهت بطلي الرواية خلال الفترة الأولى من قصة غرامهما، والمتاعب التي واجهت الفتاة في أثناء الرحلة، تلك التي أرسلها إليها والدها عندما اكتشف موضوع حبها لموظف التلغراف، وحتى تلك الطريقة المبتكرة التي لجأ إليها الحبيبان لكي يستمرا في معرفة أخبار بعضهما بعضًا، كل هذا استقاه "ماركيز" من واقع ما مر به والداه.

وكما يحدث دائمًا في حالات الحب المضطهد، فلن يستطيع أي إنسان أن يهزمه. والمبدأ نفسه موجود في الأدب. لم يستطع كل من "لويزا سانتياجا" و"جابرييل إيليخيو" أن يتحملا فكرة أنهما سينفصلان مجددًا بعدما جاء تعيينه موظف تلغراف في بلدة "ريوهاتشا" وخصوصًا وأنهما قد نجحا في

استعادة حبهما مرة أخرى. لحسن الحظ، توسط لهما المونسنيور "أسبيخو" وتزوج الاثنان في كاتدرائية "سانتا ماريا" في 11 يونيو 1926، ولكن من دون حضور والد العروس الكولونيل ولا أمها. لكن آخر ملامح العداء اختفت، حينما أعلن الزوجان بعد عدة أشهر أن "لويزا سانتياجا" حامل، وبعد موافقة "جابرييل إيليخيو" بأن تلد زوجته في بيت والديها:

"وهكذا وُلد أول الصبيان السبعة والفتيات الأربع في يوم أحد، في السادس من مارس عام 1927، في التاسعة صباحًا وفي أثناء أمطار غزيرة هطلت في غير موعدها. [...] كان من المفترض أن أدعى بـ"أوليجاريو"، فهو القديس الذي وُلدت في يوم الاحتفال بذكراه، ولكن لم ينتبه أحد إلى ذلك، وهكذا أعطوني اسم والدي الأول وأتبعوه باسم "خوسيه"، النجار (يوسف النجار)، لأنه كان قديس بلدة "أراكاتاكا"، وشهر مارس هو الشهر الذي وُلد فيه. اقترحت الآنسة "خوانا دي فريتس" أن يُضاف اسم ثالث لتخليد ذكرى التوافق الذي تم بين العائلات والأصدقاء عندما وُلدت أنا، ولكن في شهادة الميلاد، والتي استخرجت بعد ثلاث سنوات، نسوا جميعًا أن يضيفوا الاسم الثالث: جابرييل خوسيه لا كونكورديا".

"عشتُ لأروي"

يمكن للطفولة أن تصبح أكثر مراحل الحياة فائدة لنا، أو أن تصبح أكثر الفترات المفضلة لهؤلاء الذين تجدهم - خلال حياتهم العملية - مدفوعين بضباب ذكرياتهم في أثناء فترات أيامهم الأولى في اختلاق قصص عن متاعبهم، وعن إرشادات ونصائح الأبوين، وتعاملهم مع جيرانهم من العمر نفسه، والتوتر الذي يصيبهم أو التعامل مع فتاة جميلة. في أكتوبر

عام 2002، وضع ماركيز أمام العالم الذي يتحدث الإسبانية أول مجلد من ذكرياته، والذي يتكون من 580 صفحة، والذي كتبه بعد سبعة وعشرين عامًا من رحلته إلى أوروبا عندما كان يعمل مراسلًا لصحيفة "إل إسبكتادور". ركز الكاتب على الكثير من الأحداث، وأحيانًا ذكرها بتكرار لا ضرورة له. كتب عن تجارب تعبِّر عن مبدئه الذي نجده في معظم أعماله، ألا وهو: "أن تتقدم في العمر دون ندم" This old age without remorse، وقد كان له تأثير كبير في حياته الشخصية والعملية: أولى خطوات إحساسه لما هو جمالي، مخاوفه، أول إحباطاته كقارئ ثم ككاتب، حماقاته عندما كان يعزف على آلة الأكورديون، أو لحظات الحنين المفاجئة التي أجبرته على الاعتراف لنفيه بأنه لا يمكنه الفرار. كان عليه أن "يكتب كيلا يموت".





أنا وجِدّي..

الرجلان الوحيدان في البيت

نشأ "ماركيز" في بيت جده، لأن أباه "جابرييل إيليخيو" ركض وراء أحلامه فاستقال من وظيفته عامل تلغراف، وقرر أن يستقر في مدينة "بارانكيا" بوصفه صيدليًا خبيرًا في تحضير الأدوية منزليًا. أصر الجدان أن يظل "جابرييل" معهما في أمان منزلهما في "أراكاتاكا". ولهذا، ولسبعة أعوام، كان تحت رعاية جده "باباليلو"، الكولونيل من حرب الألف يوم، والذي على الرغم من مرور العديد من السنوات، ما زال يشعر بالذنب لأن "ميداردو باتشيكو"من "بارانكاس" قتله. ربته جدته "مينا" أيضًا، فنشأ وحوله قريباتها، وبنات زوجها غير الشرعيات أو إخوته. وشارك في تربيته أيضًا الخدم، وهم من هنود الـ"جواخيراس" والذين عوملوا وكأنهم أفراد من العائلة. كان من ضمن الذين نشأ وسطهم أيضًا مجموعة من "النسوة الإنجيليات" (كما وصفهم ماركيز) وكن مسؤولات عن المطبخ، ويصنعن له الحلوى على شكل الحيوانات، ويدرن كل شؤون المنزل، بما في ذلك ميزانية البيت، هذا لأن الكولونيل أحب واهتم بأشياء أخرى عادية أكثر من اهتمامه بالشؤون المالية، خصوصًا بعد أن ظل لأعوام عدة منغمسًا في المناصب العسكرية المختلفة التي شغلها والتي لم تنجح في تحقيق سوى جزء صغير من أحلام عائلته.

كتب "ماركيز" في مذكراته:

"أومن أن الفضل في طريقتي في التفكير يعود إلى النسوة في عائلتي وكل الذين عملوا في خدمتنا وأثروا في طفولتي. فجميعهم

تمتعوا بشخصيات قوية وقلوب رحيمة، وعاملوني بتلقائية جعلتني أشعر وكأن الجنة قد وُجدت على الأرض".

"عشتُ لأروي"

كانت النساء اللاتي تعاملن معه ذوات تأثير كبير فيه منذ أيام طفولته، كما كن مسؤولات عن العديد من أقوى اعتقاداته، مثل أن النساء هن اللاتي يحافظن على تماسك العالم بقبضاتهن الحديدية. كن كثيرات، فهناك مثلًا: "لوسيا"، وهي الأولى التي أرته منطقتها الحميمية؛ وتأثر للغاية بذلك، لكنه مع ذلك لم ينتبه سوى لطيات الجلد تدلت من بطنها؛ ويتذكر "تشون"، الهندية والتي أصبحت الخالة المراعية له والتي صاحبت والدته على الدوام وهي تشتري احتياجاتها من بلدة "بايندوبار" أو "ريوهاتشا"؛ و"ماتيلدا أرمنتا"، التي وقف في ركن الحجرة شبه المظلم يشاهدها وهي تلد وكأنه صياد؛ يتذكر "ترينيداد" كذلك، ابنة أحد العاملين بالمنزل، والتي اصطحبته ذات مرة إلى حفل راقص، وضمته إليها بقوة لدرجة أنه شعر وكأنه سيختنق:

"لا أعلم ما الذي حدث لها، ولكنني حتى اليوم، أستيقظ في منتصف الليل وأنا مضطرب وهائج، كأنني أستطيع أن ألمس كل جزء منها في الظلام وأستطيع أن أشم رائحة جسدها التي تشبه رائحة الحيوانات".

"عشتُ لأروي"

"إلبيرا كاتينو"، أو العمة "با"، الأخت التوأم للعم "إستيبان"، كانت رقيقة للغاية في رعايتها للصغار، ولكن الجميع كانوا يتجاهلونها؛ و"فرانسيسكا سيمودوسيا" الخالة "ماما" بنت عم جدي، والتي لم تكن مع رجلٍ قطُّ أو "بدت

وكأنها تمتلك قلبًا تعذَّب بالحب وخذلانه". كانت تحمل معها مفاتيح المقبرة، وتهتم بكل ما يتعلق بالموت والوفيات. لدرجة أنها خاطت كفنها بنفسها وماتت عندما أرادت أن تفعل، وبعد أن ملأت بيانات شهادة الوفاة الخاصة بها والأوراق المطلوبة للجنازة؛ وهناك أيضًا العمة "بيترا"، وهي أخت الجد الكبرى؛ والعمة وينيفريدا" أو "نانا"،وهي واحدة من أخوات "باباليلو"، والتي أقامت في غرفة نومها حيث يوجد هيكل للعبادة مكون من تماثيل ذات أحجام طبيعية للقديسين؛ وكذلك هناك "ترانكيلينا إيجواران كوتيس"، وجدتها هي "مينا"، وهي عرَّافة بالأجرة وتشفي الناس في السر، وهي أيضًا خبَّازة؛ أما "ميمي" فهي عبدة من هنود الـ"جواخيرا" التي لم يتعرف "ماركيز" عليها قطُّ لأنها هربت في إحدى الليالي مع أخيها "أليريو"؛ و"لويزا سانتياجا"، وهي أمها؛ و"مارجوت"، شقيقة "ماركيز"، والتي لم تستطع التأقلم مع حياة العائلة في "أراكاتاكا"، و"سارة إميليا ماركيز" (ابنة العم خوان دي ديوس) وأقامت في البيت قبل زواجها، وامتلكت مجموعة رائعة من القصص القصيرة المصحوبة بالصور الملونة التي أبدعها الكاتب "كوليا"، لم تكن تسمح لـ"ماركيز" بأن يلمسها خوفًا من أن يفسد ألوانها:

"كانت تلك هي أولى خيبات ظني ككاتب".

نساء والمزيد من النساء، حممنه معهن، واعتقدن أنه لا يفهم ما يتحدثن عنه من أمور النساء في أثناء فرك جسده بالصابون، لكنه كان يفهم كل شيء. كن كذلك يغسلن له أسنانه، وينتظر بفارغ الصبر أن ينتهين، وتمنى لو أن لديه طاقم أسنان مثل ذلك الذى تمتلكه جدته "مينا"، لكي يتركه لهن ليغسلنه ويخرج للعب في الشارع مع أصدقائه وفمه خالٍ تمامًا من

الأسنان. كانت جدته "مينا" تعتقد أن حفيدها سيصبح عرافًا، وظن جده أنه سيصبح رسامًا شهيرًا. كان جده هو سنده في الحياة،

"كان مصدر الأمان الشامل في حياتي. اختفت شكوكي حيال كل شيء وأنا معه. أعطاني وجوده شعورًا بأن قدمي قويتان وتقفان بثبات، وانني أستطيع مواجهة الحياة الحقيقية دون خوف".

لم يرتدِ الكولونيل "ريكاردو ماركيز ميخيا" الملابس العسكرية قطٌّ، فمنذ أن تخرج، كما كتب حفيده شارحًا، لم يكن يرتدي الزي الرسمي بحس أكاديمي إلزامي، ولكن بحس ثوري، وحتى بعد مرور أعوام كثيرة من انتهاء الحرب، ظل متمسكًا بارتداء الـ"جاكيت" الكتان الأبيض الذي كان يرتديه المحاربون الكاريبيون القدماء. إضافة إلى الهيبة التي اكتسبها الجد بسبب مشاركته في الحروب الأهلية، فقد كان مسؤولًا عن عدة وظائف مهمة في "أراكاتاكا" كذلك. وعندما اكتشف حفيده ندبة رصاصة في فخذ جده أصيب بها في أثناء الحرب، شعر بعواطفه تغلبه. كان هذا التأثير البالغ الذي تركه الجد في قلب الصغير، مصدره هو المعاملة الطيبة التي حظي بها من جده وهو طفل صغير.

قال "جارثيا ماركيز" أنه عندما اكتشف أن لديه موهبة الرسم، قرر فجأة أن يرسم على جدران المنزل. غضبت نساء المنزل ومنعنه من فعل ذلك. اشتعل غضب جده لأنهن منعنه من الرسم، فأمر – وكان حينها جالسًا في ورشة صائغ الذهب والتي كان يستخدمها أيضًا مكتبًا له - أن يُدهن أحد الجدران باللون الأبيض وأن يشتروا الألوان لحفيده. آمن بأن حفيده سيصبح رسامًا. ومن مظاهر اعتزازه وحبه لحفيده أيضًا أنه كان يجلسه إلى جانبه على رأس المائدة وباقي الضيوف على الجانبين. من اللحظات المهمة أيضًا التي كان

يتذكرها عن جده كانت لحظات يتذكرها من حياته اليومية في بلدتهم، وصداقات ومعارف الكولونيل: الميعاد اليومي لقدوم القطار، والزيارات الدورية للحلاق، والمحادثات التي تجري عند أي ركن، والعروض السينمائية مساءً في سينما "أوليا". ومباريات الشطرنج في ورشة دون "إميليو"، وهو محارب قديم أعرج بسبب إصابة في أثناء الحرب العالمية الأولى، ويدعوه الجميع بـ"البلجيكي". علمه جده أشياء كثيرة أصبحت عبارة عن صور ونماذج للكاتب، مثل ذلك الذي حدث مع "بوليفار". عندما تساءل الحفيد عن سبب وجود صورة "المحرر" في غرفة الطعام وبجوارها شمعة مشتعلة طوال الوقت، كانت إجابة جده هي: "كان أعظم الرجال الذين ولدوا في التاريخ".

"في أي ساعة من النهار، كان جدي يصطحبني لنسوق في أحد المحلات التابعة لشركة الموز. هناك اكتشفت سمك "السرخوي" أحمر اللون، ووضعت يدي على لوح ثلج لأول مرة، وصدمت لاكتشافي مدى برودته".

"عشتُ لأروي"

لا ينسى كذلك اليوم الذي استخدم فيه قاموسًا في ذلك اليوم الذي لا ينسى عندما اصطحبه جده إلى السيرك. غالبًا كان أحد عروض السيرك الفقيرة التي تسافر بلا هدف محدد إلى المدن المختلفة، وبصحبتها خيمة تحمل الكثير من البقع وألوانها باهتة. كان لدى هذا السيرك حيوانان أو ثلاثة شديدة النحافة، ومهرج بارع وسط مجموعة من عديمي الموهبة وساحر من الدرجة الرابعة. وعندما شاهد حيوانًا كئيبا تبدو على وجهه الرعب، أخبر الجد حفيده أن هذا الحيوان هو الجمل. لكن احد المشاهدين الذي سمع تلك الإجابة صحح له هذه المعلومة بالقول إنه جمل عربي (dromedary). عندما تساءل الجد عن

الفرق بين الحيوانين، أخبره الرجل أنه لا يعرف. ولدى عودتهما إلى المنزل، أحضر الجد كتابًا ضخمًا شديد القدم لم يلفت انتباه الحفيد حتى تلك اللحظة. فيه عثرا على الفرق بين الجمل العادي والجمل العربي. أخذ الكاتب نهمه للمعرفة وفضوله الذي لا يشبع من جده.

"في النهاية, وضع هذا المجلد العظيم على ساقي قائلًا: "إن هذا الكتاب ليس فقط يعرف كل شيء, لكنه كذلك الوحيد الذي لن تجد فيه خطأ واحدًا". كان كتابًا ضخمًا به رسومات ملونة, وعلى كعبه أطلس وهو يحمل فوق كتفيه الكون كله. لم أعرف القراءة والكتابة حينها, لكنني صدقت ما قاله لي الكولونيل عندما رأيت صفحات الكتاب الألفين وما تحتويه على صور جميلة ملونة. لطالما كنت معجبًا بضخامة كتاب الصلوات, ولكن ذلك القاموس كان أكبر حجمًا. شعرت وكأنني ألقي نظرة على العالم بأكمله للمرة الأولى.

"كم تبلغ عدد الكلمات فيه؟".

"كل الكلمات في العالم", هكذا أجابني جدي".

"عشتُ لأروي"

ضمت حياة الكاتب في طفولته أيضًا شيئًا محددًا وقويًا أسهم في تكوين عالمه الداخلي. فهو لم يمتلك فقط عالم جده الذي أراده أن يبقى معه إلى الأبد، ولم يمتلك فقط عالم جدته الباهر والنساء المحيطات بها، فهو لم يرد أن يفتقد كل هذا، كان هناك أيضًا عالم آخر تشاركه مع عالمي جده وجدته: مخاوف ورعب طفولته.

كان يخاف من البقاء وحيدًا داخل ذلك المنزل الممتلئ بالنذر؛ تماثيل القديسين ذات الحجم الطبيعي في غرفة نوم "وينيفريدا"، والذين يبدون أكثر كآبة ويثيرون خوفه من تلك الموجودة داخل الكنيسة. كان يخاف كذلك من عيني دكتور "باربوزا" الصفراء، وهو صيدلي "أراكاتاكا"، والذي ضبطه مرة وهو يسرق بعض حبات المانجو من حديقة منزله. خاف كذلك من "البلجيكي"، الذي، طبقًا لما رواه الكاتب، كان رجلًا عجوزًا مخيفًا، ونظرات عينيه الباردة الجافة التي اخترقته عندما شاهد جثته وعينيه مفتوحتين. وذلك الملل الذي يتحكم به في أثناء أدوار الشطرنج التي لا تنتهي؛ والزيارات المتكررة للحلاق، أو من فترات القيلولة الإلزامية بعد الساعة الثانية عشرة وحتى قبل الساعة الثالثة ظهرًا بقليل، حيث يتوقف أي نشاط باستراحة خانقة. لكن فوق كل شيء، وأكثرها رعبًا بالمقارنة بأي شيء آخر، هو تلك اللحظة التي تحل عندما يحل موعد الغسق مساء مع قدوم الظلام وخوفه من الليل.

انتقل "ماركيز" إلى مدينة "بارانكيا" ليعيش مع والديه وإخوته، وبعد مرور أشهر قليلة، انتقلت العائلة كلها إلى بلدة "سنسيه"، وهي موطن والده. كل هذه الانتقالات ختمت مرحلة مهمة في حياة الكاتب. لكن، الحقيقة هي أن ما ختم تلك الفترة من حياة الكاتب كان وفاة جده في "سانتا مارتا" بعد أن أصيب بسرطان الحلق. كتب "ماركيز" في مذكراته:

"احتجت إلى عدة سنوات لكي أستوعب وقع موته على حياتي وما عناه لي".

وبعد مرور الكثير من السنوات، وبعد أن أصبح أكثر الكتاب قراءةً في العالم، وأحاط به المعجبون من كل مكان، كان يعلن بصوت مهتز قليلًا:

"بعد كل هذا، لم يحدث لي يطرأ على حياتي ما يمكن اعتباره مهمًا".



داء الأدب

Literatosis

حملت تلك الرحلات البدوية لعائلة "جارثيا ماركيز" الكاتب على مدى عدة أعوام من جانب إلى آخر من شاطئ المحيط الأطلنطي عبر العديد من قراه ومدنه. كانت جهود أبيه "جابرييل إيليخيو" التي بذلها لكي يزدهر عمله هي السبب وراء كل تلك التنقلات. "كان بابا شخصًا من الصعب أن تفهمه أو ترضيه. ودائمًا ما كان أكثر فقرًا مما يبدو عليه. كان يعتبر الفقر عدوه اللدود الذي لا يستطيع أن يتقبله أبدًا، لكنه في الوقت نفسه لم يستطع هزيمته". كانت العائلة التي يزداد عددها باستمرار تنتقل من "سينسييه" إلى "أراكاتاكا" أو مدينة "بارانكيا". استقر الأمر بدخول "جارثيا ماركيز" في سنواته الأولى إلى مدرسة "مونتسيرو" بـ"أراكاتاكا"، ثم قضى بضعة أعوام في مدرسة ابتدائية في مدينة "بارانكيا"، وأخرى في "سينسييه". بعد ذلك قضى عامين من الدراسة الثانوية في مدرسة "سان خوسيه"، بعدها عاد مرة أخرى إلى مدارس "بارانكيا"، وآخر أربعة أعوام من الدراسة الثانوية قضاها في المدرسة الوطنية للأولاد في قرية "ثيباكيرا".

كان انتقاله التالي إلى مرتفعات "بوجوتا" البعيدة النائية، وهو ما كان يعني انفصالًا آخر عن العائلة. لم يندهش من حدوث ذلك مجددًا. لقد نشأ وكبر وحده في "أراكاتاكا"، ثم عاش عدة أعوام في ظروف مشابهة في "بارانكيا". كان التغيير الجذري بالنسبة إليه هو تقلب الطقس في "بوجوتا" والمطر الذي لا يكف عن الانهمار صباحًا، وطبيعة الحياة في المدرسة أو العاصمة. واختلاف شخصية السكان وتنوع شخصيات زملائه بالمدرسة. كثيرًا ما أشار الكاتب إلى هذه الأعوام الأربعة التي قضاها وتعرف فيها على البلد - على الأخص رحلاته المتكررة

إلى نهر "ماجدلينا": "في كل مرة، كنت أتعلم شيئًا جديدًا عن الحياة، أكثر مما تعلمت في المدرسة، وقد تعلمته كذلك بطريقة أفضل مما تعلمت بالمدرسة". تعلم أن يتجنب الغرق في المدينة وإغراءاتها، وأن يتغلب على عروض القوة التي كان زملاؤه بالمدرسة يقومون بها. أصبح مهووسًا بالمؤلفين المختلفين، وبعصور الأدب التي دائمًا ما شغلته عن أي شيء آخر. كان هذا عندما حسَّن من ملكة تذوقه لشعر "سيجلو دي أورو" من العصر الذهبي الإسباني (1492-1659)، والعصر الرومانسي (1770-1848). اكتشف أيضًا شعراء حركة Piedra y Cielo "الحجر والسماء"، وتعرف على عدد من الكتاب أمثال "توماس مان"، و"ألدوس هكسلي". امتد هذا النوع من التدريب الأدبي طوال حياته، وفي عام 1950، قاده – ببعد نظر يُحسد عليه – إلى أن يطرح الأسئلة ويناقش أفكاره في عموده الصحفي في صحيفة "إل إيرالدو" مع "مانويل ميخيا بابيخو"، الذي ناقش الرواية الكولومبية في عموده "موضوعات خفيفة" في صحيفة "إل تييمبو". كان "ميخيا بابيخو" أكبر من ماركيز بأربعة أعوام، وكان مشهورًا؛ حتى بدأ يكتسب شهرة واسعة ويعترف به الكثير من الأدباء والمتخصصين في المجال. في الوقت نفسه، كانت الأنظار قد بدأت تنتبه إلى "ماركيز" بعد قصصه التي كانت تُنشر في "إل إسبكتادور". انتقل اعتراض "جارثيا ماركيز" على رأي "بابيخو" في الرواية الكولومبية إلى الكُتَّاب المحليين ثم عرف بها العالم كله.

المدهش في الأمر هو أن كل تلك الجهود ليس لها أي دخل بتصادم الأفكار المختلفة. كان "ماركيز" كذلك على خلاف علني استمر لعدة سنوات مع أفكار "إيرناندو تييث". وما يثير الدهشة أكثر هو أن القصص القصيرة التي ألَّفها ذلك الصحفي الشاب عانت بعض أوجه القصور؛ على

الرغم من أنها اتسمت بطابع معاصر ومحاكٍ لمجتمعه. كان واضحًا للكثيرين أنه يريد أن يثير قضية لطالما أثرت بالسلب في مستوى الأدب الكولومبي، وهذه القضية تتمحور حول تمسُّك الأدب الكولومبي بقيود المكان والرفض المستمر للتيارات الكبرى للأدب العالمي.

"بالنسبة إلى إجابة "ميخيا بايبخو" من أن "الجميع هذه الأيام يلجأ إلى استخدام القليل من "جويس"، و"هكسلي"، و"فوكنر" (ويبتعدون عن استخدام "فرجينيا وولف" وهو أمر لا يُغتفر)". إن مقولة "بايبخو" تلك لا يشير بها إلى الأدب الأمريكي بوجه عام بل يقصد الأدب الكولومبي. ولكن، يجب أن نشير إلى أن ذلك الادعاء الذي أثاره "ميخيا بايبخو" لا ينطبق على مجتمعنا، وهو ربما يمثِّل واحدًا من أكبر العيوب التي تعانيها الرواية الكولومبية. وهي بلا شك، ولحسن الحظ، متأثرة بأدب "جويس"، و"فوكنر" أو "فرجينيا وولف" التي لم يحاكِ أحد أسلوبها بعد في الأدب الكولومبي. وفي رأيي، فإن هذا "لحسن الحظ" لأنني لا أظن لوهلة أن أحدًا في كولومبيا يستطيع أن يكون استثناء وأن يتفوق على كل هؤلاء. في مقدمتها "استهلالها" لرواية "أورلاندو"، تعترف "فيرجينيا" بكل من تأثر أدبها بهم. "فوكنر" نفسه لم ينكر حقيقة أنه تأثَّر بأدب "جويس". كما أن هناك عاملًا مشتركًا - وبخاصة في استخدام عنصر الزمن - بين "هكسلي" و"فرجينيا وولف". كذلك بين "فرانز كافكا" و"بروست" اللذين ينطلقان بساوٍ في تيّار الأدب الحديث. لذلك، فإذا أردنا نحن الكولومبيين أن نتخذ القرار الصحيح، فلا بدَّ لنا من أن نسقط أيضًا في ذلك التيار. لكن لسوء الحظ لم يحدث هذا بعد، وليس هناك أي دليل على أنه قد يحدث مستقبلًا".

- "مشكلات تواجهها الرواية". الأعمدة الساحلية، مقالة إخبارية

'Problemas de la novela,' Textos costeños, Oba Periodística I ("Problems of the Novel") Coastal Columns, Newspaper Articles 1

التحق "ماركيز" بــ"الجامعة الوطنية" في "بوجوتا" لدراسة القانون بعد انتهائه من دراسته الثانوية في قرية "ثيباكيرا"، حيث اكتسب تقدير وانتباه زملائه ومدرسيه، وكذلك اكتسب صداقات مع بعض الشعراء، من ضمنهم "إدواردو كاراثزا"، و"خورخي روجاس". هو لم يكن مهتمًّا بالدراسة الأكاديمية، ولعله لم يحب قط ذلك التخصص، لكنه أكمل دراسته لكي يرضي والده، الذي أصر أن يحصل ابنه البكري على الدرجة الجامعية التي لم يتمكن هو من الحصول عليها. لكن في الحقيقة كان اهتمام ماركيز الأول هو أن يصبح كاتبًا، وذلك بعدما قرأ "المسخ" لكافكا؛ فتح له "كافكا" الباب على مصراعيه، وقد تأثر به بالطريقة نفسها التي تأثر بها عندما قرأ رواية "بدرو بارامو" لـ"خوان رولفو". كان كل هذا هو وحيه الحقيقي. ولذلك، فقد أي اهتمام بدراسته الجامعية، وبعد أن كان مهتمًّا بشكل كامل بالشعر لعدة أعوام، قرر أن يغير اهتماماته ويركز على الرواية والقصة القصيرة.

"في فترات ما بعد الظهر، وبدلًا من أن أعمل كي أعول نفسي، ظللت في غرفتي كي أقرأ، أو كنت أذهب إلى المقاهي التي يمكنني القراءة فيها. يرجع حصولي على تلك الكتب إلى المصادفة أكثر منها إلى حظي الحسن؛ لأن أصدقائي الذين استطاعوا شراءها، أعاروني إياها لفترات محدودة. لهذا السبب، ظللت مستيقظًا لليالٍ عدة لكي أعيد هذه الكتب في ميعادها".

"عشتُ لأروي"

عاش "ماركيز" وقتها على رائحة الأدب. اكتشف أنه لو تمكَّن من محاكاة أسلوب "كافكا" في الكتابة؛ فهو يريد أن يصبح كاتبًا. كان يعاني حمى القراءة والكتابة. أصبح منغمسًا للغاية في الأدب لدرجة أنه كان يمكن له بسهولة أن يجلس ليكتب قصة "ليس من أجل شيء سوى أن أخرس إدواردو زالاميا بوردا". ونتائج هذه الحمى معروفة بالفعل: "ظهرت له قصة "الاستقالة الثالثة" The Third Resgination في جريدة "إل إسبكتادور"، يوم الأحد، 13 سبتمبر 1947؛ وقصته الثانية "إيفا تعيش داخل قطتها" Eva está dentro de su gato/ Eva is inside her Cat ظهرت خلال الشهر التالي؛ والثالثة واسمها "توبال كين يزوِّر نجمة" Tubal-Caín forja una Estrella/Tubal-Cain Forges a Star، والتي صاحبتها رسومات "إنريكي جراو". نُشرت تلك القصة في يناير من العام التالي. لم يعد هناك أي سبيل للعودة.. "الاستمرار في الكتابة هو الحل".

يتذكر المؤلف أن هذا القرار، والذي دمر آمال والده نتج عنه صراع عائلي مرير ظل مشتعلًا عدة أعوام لاحقة، واشتركت فيه والدته أيضًا عندما ذهبت إليه في "بارانكيا"، وطلبت منه أن يرافقها إلى "أراكاتاكا" لكي يبيعا المنزل هناك. انعكست ذكريات ذلك اليوم في مذكرات "ماركيز"؛ الحوار الذي دار بينه وبين أمه خلال تلك الرحلة التي قاما بها يوم السبت الموافق 18 فبراير 1950، وكذلك الحوار الذي دار بينهما والدكتور "باربوزا"، الذي كان لا يزال يعيش في غرفة في مؤخرة صيدليته. كان الحوار بين الأم وابنها يسير في اتجاهات متعارضة. بدأ الحوار أولًا وهما على ظهر قارب آلي يسير في القنوات، ثم استمر الحوار في

اليوم التالي وهم على متن القطار الذي ضج بصوت عرباته. شعر حينها وكأن ضوء النهار الذي بدا وكأنه سيصيبه بالعمى، إمَّا هذا وإما أنها ذكرى الفتيات اللواتي - قبل عدة أعوام سابقة - سبحن عاريات في تلك الأنهار نفسها لكي يثرن ضيق المسافرين. كانت السيدة "لويزا سانتياجا" - كما عرفها كل إنسان حتى يوم وفاتها في عمر المئة عام تقريبًا - من رأي والده بأن ابنها يجب أن يحصل على شهادة جامعية. من ناحيته، فإن ذلك المؤلف الشاب ظل مصرًّا ومتمسكًا بقراره بأن يصبح كاتبًا؛ وهو طموح عرف عنه قليلون من أصدقائه والصحفيين. اكتسب الحوار بينهما طابع الدبلوماسية والتصميم، والنزاهة والاحترام، في مواجهة إصرار سيدمر مستقبل شاب في الثالثة والعشرين من عمره.

لا يتذكر أخوه "لويس إنريكي" أي شيء مما حدث؛ بل على العكس، كان يظن أن والده شجع الكاتب الشاب كي يحقق طموحاته. من المحتمل أن الحقيقة متمثلة في مكان ما بين هذا وذاك؛ فربما وفي لحظة لجأ الأب إلى طرقه القديمة في الإقناع والمحايلة، وحاول مرة أخرى إقناع ابنه بالحصول على شهادة جامعية. على أية حال، استسلم الأب في مواجهة إصرار ابنه وعزيمته، وتقبَّل قراره بأن يصبح كاتبًا. أمَّا بالنسبة إلى "ماركيز"، فقد كان كل شيء واضحًا تمامًا؛ لقد قرر أن يصبح كاتبًا أو صحفيًّا أو كليهما، وأنه لن يعير اهتمامًا لأي شخص ينتقده أو أي صعوبات تواجهه.

قال "لويس إينريكي" في مقابلة صحفية مع "سيلفيا جالفس،" تعليقًا على كتابه "جارثيا ماركيز" Los García Márquez:

"الحقيقة هي أنني لم أصدق قطُّ موضوع معارضة والدي له، لأنني أومن أيضًا أنه هو نفسه أراد أن يصبح كاتبًا. وقد شجّع ماركيز بالكثير من الطرق؛ مثلًا، عندما أوشك "جابيتو" (ماركيز) على البلوغ، والذي كان حينها هو سن الواحدة والعشرين، انتهز والدي فرصة قيامي برحلة إلى "بوجوتا" وأهداه آلة كاتبة، وكتب عليها: مبارك، من الآن فصاعدًا، أنت حر ومسؤول عن نفسك!".

- "جابرييل، لويزا، (سوكري، 6 أبريل، 1948)

في التاسع من أبريل عام 1948، كان محور الأحداث في "بوجوتا" هو خبر اغتيال "خورخي إلييثير خايتان" زعيم الحزب الليبرالي، ومرشحه لانتخابات رئاسة البلاد. أحدث خبر اغتياله ضجة كبرى، مع وقوع سلسلة من الاضطرابات التي اجتاحت العاصمة ومدنًا أخرى. عرفت تلك الأحداث باسم "البوجوتاثو" El Bogotazo. كان أخوه معه في هذه الفترة. صعقا وأصدقاؤهما وجميع من في الدولة بهذه الأخبار؛ حيث اشتعلت الفوضى بعدها، ونتج عنها مئات الوفيات مع نهب المحلات والمتاجر وإشعال النيران في المباني العامة، مع وجود قناصين فوق سطوح المباني. قال الكاتب بعد مرور الكثير من الأعوام: "لم نكن قد أدركنا بعد أن تلك الكارثة الكبرى ستظل مستمرة".

كتب الكثيرون عن تلك الأحداث التي شملت "بوجوتا" والقطر كله، والفوضى السائدة وثورة الشعب، والدور المخزي الذي لعبه المنتمون إلى الحزبين الليبرالي والمحافظ. لكن كان معظم ما كُتب عن تلك الفترة – هذا إن لم يكن كله – يعيبه انحيازه لطرف واحد. يمكن للجيل الجديد أن يقرأ الخمسين صفحة فقط من مذكرات "ماركيز" عن تلك الفترة كي يفهم الأمور

كما حدثت بالفعل؛ أو على الأقل يدرك ضخامة وخطورة هذه الأحداث كما أدركها "ماركيز". منذ تلك الحادثة، لن تعود بلادهم كما كانت من قبل أبدًا.

لجأ "ماركيز" وأخوه إلى الإقامة مع عم لهما كان يعيش على بعد عدة مبانٍ سكنية من منزل الطلبة الذي أقاما فيه؛ حيث ترك خلفه مسودتين أو ثلاثًا لقصصه، وكذلك قاموس جده، والكتاب الذي ألفه "ديوجانس اللايرتي" والذي كان جائزته بصفته أفضل طالب تخرج في المدرسة الثانوية. بعد مرور عدة أيام، رحل "ماركيز" إلى مدينة "كارتاخينا" وذلك بعدما أصبح لليبراليين ممثلون عنهم في وزارة المحافظين التي يرأسها "أوسبينا بيريز"، وأصبحت الاستثمارات الأجنبية و"مؤتمر الدول الأمريكية" في أمان، وقُمعت المظاهرات. لم يعد له مكان ليعيش فيه في "بوجوتا"؛ ولا جامعة ليدرس فيها؛ ولا قطار يقرأ فيه الشعر في طريق الذهاب والإياب؛ ولا مقاهي يلجأ إليها لكي يقرأ.

قبل عدة أشهر، استطاع الزعيم الليبرالي "دومينجو لوبيث إرسكواربياثا" – وهو أخو الشاعر المخضرم "لويس كارلوس لوبيث" – تأسيس صحيفة جديدة في "كارتاخينا" وأطلق عليها اسم "إل أونيبيرسال". كان رئيس تحريرها هو "كليمنت مانويل زابالا". وفي إحدى الليالي التي كان "ماركيز" الشاب يتجوّل فيها في المنطقة التي كانوا يبيعون فيها العبيد، قابل مصادفة الكاتب "مانويل زاباتا أوليفيًا"، وهو مؤلف رواية "تشامباكو، حي الزنوج" Chambacú, corral de negros/Chambacu Clack Slum، ورواية "القديس الذي وُلد في تشيما" En Chimá nace un santo/A Saint is born in Chima، بالإضافة إلى كتب أخرى. بعد مرور عدة أيام، قدمه "مانويل" للصحيفة. وهناك، كان في انتظار الكاتب الشاب عدد من المفاجآت. أولاها أن "كليمنت

مانويل زابالا" لديه خلفية عن القصص التي نشرها "ماركيز" في "بوجوتا"، وهو ما جعل "ماركيز" يشعر بالفخر. المفاجأة الثانية هي أن واحدًا من أهم كتاب الأعمدة في تلك الصحيفة الجديدة هو الكاتب والرسام "إكتور روخاس هيرازو"، وهو مدرس الفنون السابق عندما كان ملتحقًا بمدرسة "سان خوسيه" في "بارانكيا". آخر المفاجآت، هي أنه في يوم 20 مايو، وفي الصفحة رقم 4 من الصحيفة، ظهر عمود غير موقع عليه بعنوان "تحياتنا إلى جارثيا ماركيز" Saludos a García Márquez/Greetings to Garcia Marquez. وبعد سرد مختصر عن مسيرته الأدبية والنتائج الباهرة المتوقعة منه بفضل دراسته للقانون في جامعة "كارتاخينا"، أعلنت صحيفة "إل إل أونيبيرسال" أنها قد تعاقدت معه كي يكتب فيها عمودًا: "هذا الكاتب المثقف المجتهد سوف يعبِّر بأفكاره في تلك المرحلة الجديدة من عمله؛ حيث سيعبِّر بأفكاره في هذا العمود عن الناس والأشياء التي دائمًا ما تثير مخيلته التي لا تهدأ أبدًا". وفي اليوم التالي، الموافق 21 من مايو، كتب لأول مرة تحت عمود أسماه بـ"فقرة جديدة". لم يكن عمودًا يوميًا، على الرغم من أنه حمل كل خصائص الأعمدة اليومية. بعد ثمانية وثلاثين مقالًا شارك في كتابتها مع آخرين، انتهى به الأمر إلى القيام بكل أنواع الأدوار المختلفة التي تتطلبها الصحيفة: حرر التقارير الإخبارية، والمقالات، وغيرها. كان عدد الأعمدة التي شارك في كتابتها ونُشرت هي 36 عام 1948 واثنين فقط عام 1949.

نتيجة التطور التكنولوجي، تختفي العديد من الوسائل والإجراءات الصحفية. مثلًا، الصفحات المسطرة التي اعتاد المحررون أن يكتبوا عليها. شيءٌ آخر، وربما أكثر ما خافه الصحفيون وخصوصًا "ماركيز"، هو أن يفقد المحرر

قلمه الأحمر. لم يكن مهمًا أن يكشف المقال الصحفي an exposé الحقيقة المتعلقة بقضية أو شخص ما، أو مدى أهمية الجهود التي بُذلت كا تتماشى مواضيع تلك المقالات مع سياسة الصحيفة. فرئيس التحرير والمحرر في مقدورهما تطبيق معاييرهما الخاصة وقلب كل شيء رأسًا على عقب. كان "كليمنت زابالا" هو صاحب القلم الأحمر في "إل أونيبيرسال"، وبعد عدة أعوام، فعل "خوسيه سالجار" المثل مع جريدة "إل إسبكتادور". لم يعرف أحد أين هي الحقيقة حتى مع إعادة حكاية تلك النادرة كثيرًا: تقدَّم الكاتب الشاب من مكتب المحرر ومعه عموده. ودون أن ينبث بحرفٍ واحد، بدأ المحرر بالشطب على العديد من الفقرات، وإعادة صياغة بعض الجمل والفقرات. أصبح مستاءً بسبب كل هذه التصحيحات الكثيرة، وهو ينظر إلى النص الذي أصبح ممتلئًا بالكثير من الخطوط والأشياء غير المفهومة. في النهاية، أعطى "ماركيز" رده المعتاد في هذه الحالات: "حاول مرة أخرى، اقصف رقبة البجعة!".

مر "ماركيز" بهذه التجربة في "كارتاخينا" مع "كليمنت مانويل زابالا"، ثم تعرض لها مرة أخرى مع بعض أصدقائه عندما انتقل إلى "بارانكيا"، ثم مرة أخرى في منتصف الخمسينيات مع "خوسيه سالجار" في "بوجوتا". أسهموا جميعًا في كتاباته بملاحظاتهم وأقلامهم الحمراء التي لا ترحم. كانت الكتب التي رشَّحوها له، أو أولئك الذين قابلهم مصادفة، ساعدوه كذلك، وتكفلت بالباقي الثماني ساعات التي قضاها منكبًا على الآلة الكاتبة. بالطبع، لو أنه لم يكن موهوبًا، أو لو لم يملك ميلًا لكتابة القصص، ولو أنه لم يملك داخله نبعًا غامضًا لكل تلك الموهبة، فأي مجهود لم يكن ليأتي بأي فائدة. يمكنك أن تكتب بأسلوب محترم أو – إذا استخدمنا التعبير السائد – أن

تكون "صائبًا سياسيًّا"، لكن الأدب الحقيقي لا يمكن تحقيقه إلا إذا امتلكت قدرات ساحر حقيقي؛ وهو ما يمكن رؤيته من السطور الأولى لكتابات هذا المؤلف.. كتب مرة في ختام نص عنوانه "الهوس المبارك لسرد الحكايات" :The Blesses Mania of Storytelling

"إنني مقتنع تمامًا بأن العالم ينقسم إلى فئتين: تلك التي تجيد السرد والقص، والأخرى التي لا تجيده بتاتًا؛ أو على نطاق أوسع، أولئك الذين يعرفون كيف يتخلصون من فضلاتهم على نحو سلس ومريح، والآخرين الذين يعانون للتخلص منها. ما أود قوله هو أن الحكائين/الساردين يولدون كذلك، بالفطرة، ولا تتم صناعتهم عمدًا. وبالطبع، فإن الموهبة وحدها ليست كافية؛ فهؤلاء الذين يتمتعون بها، لكن تنقصهم الخبرة العملية، ينقصهم الكثير: الثقافة، التقنية، الخبرة.. لكن الموهبة الطبيعية هي أهم ما في هذا الموضوع. وهي غالبًا شيء متوارث في العائلة. لا أعرف ما إذا كانت في الجينات أم أنها تنشأ لدى الكاتب في أثناء النقاشات التي تتبع وجبة الغداء".

وفي حالة "ماركيز"، فالأمر واضح للغاية أن جزءًا كبيرًا من موهبته قد اكتسبه من عائلته؛ من النساء اللواتي ربَينه، ومن جده الذي جعله رفيقًا له في وحدته، ومن القصص التي كانت تُحكى يوميًّا داخل منزلهم؛ قصص عن الأموات الذين كانوا يتجولون بين غرف النوم، وعن قاتل يؤنبه ضميره بعد ارتكابه لجريمة قتل، وقصص أخرى عن أفعال بطولية لجنرالات متمردين، وأخيرًا عن العظمة الصورية لشركة الموز. لكنه امتلك كل شيء آخر؛ الموهبة، والاحترافية، والتكنيك، والانضباط، والذوق، والحس الجمالي.

امتلك "ماركيز" موهبة لاحظها هؤلاء الذين يقرؤون بتركيز عالٍ في قصصه الأولى: استخدامه المميز للغة، وقوة التصوير لديه، وملاحظته لأدق التفاصيل حوله وتذكرها، ظهر كل ذلك بوضوح أكبر عندما بدأ "ماركيز" الكتابة في عواميد الصحيفة. إن القراءة المتأنية لأكثر من أربعمئة من أعمدته التي ظهرت في جريدتي "إل أونيبيرسال" و"إل إيرالدو"، التي نُشرت بين يناير 1950 وحتى ديسمبر 1952، تؤكد أنه كاتب صاحب أسلوب يتطور باستمرار، مفعم بمهارات مدهشة، وحس فكاهة رائع، وسلوك متمرد يهزأ بالمخاطر، وهو ما يحدث عندما يقرأ أحدهم ويكتب بشكل مستمر.

في العديد من المناسبات، قيل بصفة مستمرة إن "ماركيز" قد وُلد ناضجًا؛ على الصعيد الثقافي، والسياسي والأيديولوجي، وأنه كان بالفعل يحمل صفات الكاتب والصحفي المحترف. لا يمكننا مجادلة هذه الحقيقة. فعلى العكس، إن ما قد يبعث ببعض الطمأنينة أن نعلم أنه لم يكتب بطريقة جيدة على الدوام. فعند قراءة أعمدته بين 1948 وحتى 1952 سنجد أمامنا كاتبًا يجاهد لكي يجد الكلمات المناسبة، وأنه بين الحين والآخر يستخدم الاستعارات والكنايات بطريقة مفرطة. وهو ما يُجسد أمامنا كاتبًا في أثناء سعيه لتجنب المألوف، سقط في فخ الصفات والضمائر المتكررة. أسقطه تهوره في فخ الارتباك؛ فعندما كان طالبًا مجتهدًا في المدرسة الداخلية في المناطق الجبلية، لم يجد أي صعوبة في الكتابة، كما لو أننا "ما زلنا نتحدث اللاتينية". لكننا لا يمكننا أن ننكر أنه على الرغم من كل هذا، كان وقتها أفضل كثيرًا من العديد من الكتاب، والصحفيين، لأنه منذ البداية اعتمد أسلوبًا ميزه عن الآخرين: فلا شيء يحمل قيمة أدبية أكثر من تصوير لتفاصيل لحياة الواقعية التي لا يلقي أحد بالًا لها.

وهو درس رفض تعلمه العديد من الكتاب الكولومبيين الشباب، ومن دون تقديم حتى ولو تبرير صغير لرفضهم ذلك؛ فهم رفضوا أن يكرسوا مجهودهم بأكمله للتعلم من الكلاسيكيات، واستخدام أدوات حرفة الكتابة.

هذا الشاب الذي يعاني داء الأدب، ذاك الذي كان يجول دومًا في شوارع "كارتاخينا"، وينام معظم الوقت فوق مقعد في المنتزه، في مواجهة عدد من التماثيل النصفية لشهداء استقلال البلاد، تاركًا خلفه ثلة من الأصدقاء وذكريات عزيزة عليه في كل مكان. صحيح أنه أهمل دراساته الجامعية، لكن انغماسه في الأدب تأكد وتعزز بسبب دائرة الأصدقاء التي اتسعت يوميًا إلى درجة أنه أصبح أفضل القراء وأكثرهم مثابرة على ارتياد مكتباتهم. أولًا، كان هناك "جوستابو إيبارا ميرلانو" في "كارتاخينا"، والذي أقنعه بالقراءة لـ"سوفوكليس"، و"ملفيل" و"هاوثورن". كان السبب في هذا هو الرعب الذي أصاب "جوستابو" عندما عبّر الكاتب الشاب عن ازدرائه للكلاسيكيات، كتب "جوستابو" في مذكراته:

"[...] دعاني إلى منزل والديه القائم عند شاطئ "مربلة". كان البحر الهائل هو خلفية ذلك المنزل. وفي داخل المنزل، مكتبة تحتل حائطًا طوله 12 مترًا. وتحتوي على الكتب التي عليك قراءتها لكي تعيش من دون أي ندم طوال حياتك".

بعد وقت قصير من ذلك، سوف تتكرر هذه القصة نفسها في مدينة "بارانكيا"، عندما تحدث "ألبارو سيبيدا ساموديو" بحماس عن مؤلفيه المفضلين، وسمح له بمشاهدة مكتبته قائلًا:

"هؤلاء هم الكتاب الوحيدون في العالم الذين يعرفون حقًا كيف يكتبون".

على الرغم من القيود الاقتصادية التي أجبرته على القيام بكل شيء من أجل النجاة في هذه الحياة. كما أن الارتباك الذي تنامى لديه بخصوص عدة مناحٍ من حياته كان لا يزال حاضرًا وبقوة؛ وعلى الرغم من كل هذا، كانت الحياة كريمة معه أو على الأقل فيما يخص الكتب. وصف "ماركيز" تلك الفترة بأنها: "أكثر سنوات عمري تذبذبًا"، و"لم تكن تلك هي أفضل الأوقات كي أشغل نفسي بالتفكير في أي شيء". أُجبر على العودة إلى منزل والديه في مدينة "سوكري" بسبب التهاب رئوي حاد لم تفلح معه أكثر المضادات الحيوية فعالية في ذلك الحين. لاحظت "إل أونيبيرسال" أن غيابه قد ترك فجوة في فريق كتابها. وبعد مرور عدد قليل من الأسابيع، نُشر خبر صغير يعلن بحماس وإخلاص عودته إليهم.

"في منطقة "لا موخانا" الموحشة الوعرة، وضع "ماركيز" اللمسات الأخيرة في رواية - سوف تُنشر قريبًا - عنوانها "قمنا بالفعل بجز القش" Ya cortamos el heno/We've Already cut the Hay. وقد أتيحت لنا فرصة الاطلاع على معظم النص الأصلي، ويمكن لنا بكل ثقة أن نصدر حكمًا خلاصته أنه يمثل أعظم الجهود المبذولة التي ظهرت في أيامنا هذه في كولومبيا، مما يجعلنا قادرين على إدراج وطننا باعتباره يسلك منهجًا مطلوبًا لوضع الرواية الكولومبية في مصاف الأدب العالمي المعاصر".

أمَّا أصدقاؤه في "بارانكيا" والذين تعرَّف إليهم مؤخرًا، ولكنه شعر وكأنه يعرفهم منذ أعوام، فقد أرسلوا إليه صندوقًا ممتلئًا بالكتب لكي يشعر ببعض الراحة بالقراءة في عزلته الإجبارية تلك: "كان بالصندوق ثلاثة وعشرون عملًا متميزًا من تأليف بعض الكتاب المعاصرين". أضاف في مذكراته:

"كانت الكتب كلها إسبانية، وقد اختيرت لغرض وحيد وهو تعلم الكتابة".

لم تسهم إقامته في مدينة "سوكري" بشيء فيما يخص استقراره: انقسمت حياته بين قضاء الوقت مع إخوته العشرة، وقراءته لأساطير حياته اليومية وهو وسط تلك الذرية الكبرى من الإخوة والأخوات الذين أصبح عددهم جميعًا عشرة؛ كان في يده في ذلك الحين كتاب عن أساطير مدينة "لاسيربيه" بعنوان "بلد الأسطورة". أراد زيارتها لكي يكتب عن "الواقعية الخارقة للطبيعة" أو "الواقعية السحرية". أراد كذلك أن يقابل مرة أخرى "نيجرومانت" زوجة ضابط الشرطة التي "تمتلك غريزة للحب تنتمي إلى نهر ثائر أكثر من انتمائها إلى بشر عادي"، وقد جعلته يفكر جديًا في البقاء في "سوكري" إلى الأبد:

"حينها، لم أعرف كيف يمكن أن أعيش": هكذا اعترف دون تردد في "عشتُ لأروي".

لدى عودته إلى "كارتاخينا"، قرر أن يترك وظيفته في صحيفة "إل أونيبيرسال" بحجة احتياجه إلى وقت حر حتى يكتب أول عمل كبير له وهو رواية عنوانها "المنزل" La Casa/The House. وكما اعترف هو فيما بعد: لم ينجز من هذه الرواية سوى عنوانها. قضى عشرين عامًا في السفر حول العالم والكتابة. عشرون عامًا من القراءة المستمرة والتعلم، لكي يقدم لبلده رواية تمثّل "أكثر ما هو مطلوب في أسلوب كتابة الرواية المعاصرة". بعد استقالته من الجريدة في "كارتاخينا"، اتجه إلى مدينة "بارانكيا"، ووصل إليها بالفعل في 15 ديسمبر 1949 وفي جيبه 200 بيزو.




أصدقاء..

"أوريليانو بابيلونيا"

إن الارتباك الذي عاناه روائي المستقبل خلال تلك الأعوام، ظهر جليًا في إنتاجه الأدبي. عاد "ماركيز" إلى الاهتمام مرة أخرى بالأدب بعد أن ألح عليه "إدواردو زالاميا"، وبدعم من "كليمنت زابالا". نُشرت قصص القصيرة الثلاث التالية في الملاحق الأدبي الجديد بجريدة "إل إسبكتادور"، و"مجلة الأحد"، وكانت عناوينها هي: "الموت الآخر"، و"حوار المرآة"، و"مرارة الثلاثة الذين يسيرون نيامًا". كتب "ماركيز" في مذكراته قائلًا:

"وعلى الرغم من أن أسلوبي البلاغي في تلك القصص كان أخف من القصص الأربع الأولى، شعرت وكأنني لم أخرج بعد من المستنقع الذي سقطت فيه".

"عشتُ لأروي"

لم يرضَ "ماركيز" بالنتيجة؛ فهو لم يرَ نهاية لذلك الطريق الذي بدأه، خصوصًا بعد انقضاء عامين كاملين على عمله صحفيًا في "كارتاخينا"، وبعد سقوطه في السنة الثالثة في كلية الحقوق، والحلم بروايته الأولى التي أعطاها اسم "المنزل". هكذا كان حاله عندما وصل إلى "بارانكيا".

في 5 يناير 1950، بدأ العمل بجريدة "إل إيرالدو"، وصدر له عمود تحت اسم "الزرافة" La Jirafa/ The Giraffe. كتب "ماركيز" تحت اسم مستعار هو "سبتيموس". في بعض الأحيان، كان يكتب ملاحظة بجوار نقطة ما في عموده يقول فيها "فكرة لرواية" ويوقع تحتها باسمه "جابرييل جارثيا ماركيز". كان كل ذلك يُنشر تحت اسم "الظرافة". أما الاسم المستعار

الذي كان يوقِّع به فيعود إلى شخصية "سبتيموس ووارين سميث" من رواية "فيرجينيا وولف" التي تحمل عنوان "السيدة دالاوي". بالنسبة إلى عنوان العمود "الظرافة"، فلعدة سنوات، لم ينتبه أحد إليه؛ ولكن على مدى ثلاثين عامًا، ظل النقاد يخمنون معنى هذا الاسم بمناقشات مطولة، إلى أن قام المؤلف بحل هذا اللغز في مذكراته عندما كتب: "إن اسم "الظرافة" هو الاسم السري الذي أطلقته على زوجتي، مرسيدس بارشا باردو".

بعد وصوله إلى "بارانكيا"، بدأت مرحلة جديدة في حياته؛ ليس لأنها مثَّلت انقطاعًا عما سبقها، لكن لأنه وهو في رحاب هذه المدينة، المعروفة باسم البوابة الذهبية لكولومبيا، تقابل أخيرًا مع أناس يشبهونه؛ إذا كانت تلك هي الكلمة المناسبة، وهم: "خيرمان بارجاس"، و"ألبارو ثيبيدا ساموديو"، و"ألفونسو فوينمايور" (عُرِف أيضًا باسم "خوسيه فيليكس فوينمايور)، و"رامون فينوس". عمل أول اثنين وهما "خيرمان" و"ألبارو" لحساب صحيفة "إل ناسيونال". وعمل "ماركيز" و"ألفونسو"، و"رامون فينوس" لحساب صحيفة "إل إيرالدو". كتب "رامون فينوس" في عمود عنوانه "برج الساعة"، وكان في الصفحة نفسها مع عمود "ماركيز". وهكذا، كان "ماركيز" يرى هؤلاء الكتاب يوميًّا، ليس فقط في غرفة الأخبار، ولكن أيضًا في "مكتبة العالم" التي امتلكها "خورخي روندون"، أو في "مقهى كولومبيا". بعد مرور عشرين عامًا تقريبًا، وفي الصفحات الأخيرة من روايته "مئة عام من العزلة"، خلَّد "ماركيز" أصدقاءه عن طريق تحويلهم إلى مجموعة رجال يتقابلون في

متجر "رامون: للكتب في الأعوام الأخيرة لـ"ماكوندو" لكي يناقشوا أكثر الطرق فعالية لـ"قتل الصراصير في القرون الوسطى":

"أصبحت هذه المناقشات بداية صداقة وثيقة. استمر أوريليانو بابيلونيا في الحضور بانتظام لينضم إلى الأربعة محاورين، هم ألبارو، وخيرمان، وألفونسو، وجارثيا ماركيز. وهم الأربعة أصدقاء الذين ظلوا الأقرب إليه في حياته كلها. بالنسبة إلى رجل مماثل له، دومًا ما يكون غارقًا في حقائق مكتوبة، مع تلك الجلسات العاصفة، التي تبدأ في المكتب من السادسة مساء وتنتهي فجرًا في أحد البارات، فقد كانت مقابلاتهم مصدرًا أساسيًا لإلهامه".

نشأ جو من التعقيد، وأواصر الصداقة الوطيدة والتضامن بينهم بسبب التواصل اليومي، والمناقشات الأدبية والصحفية التي لا تنتهي، واكتشافهم لمؤلفين جدد، والنشاط المحموم الذي نشأ حول جريدة "كرونيكا" الأسبوعية التي تهتم بالرياضة والأدب، والتي أصر "ألفونسو فيونمايور" على مشاركتهم بالكتابة فيها. عُرفوا وقتها باسم "جماعة بارانكيا" في تاريخ الأدب الكولومبي. شاركوا جميعًا في تلك الجريدة الأسبوعية، في صفحة عنوانها "أفضل إجازة أسبوعية ستحصل عليها". كان "ألفونسو" هو المدير، و"ماركيز" رئيس التحرير، وشكَّل لجنة التحرير "خيرمان بارجاس"، و"رامون فينوس"، و"فوينمايور"، و"ميرا ديلمار"، و"بينجامين سارتا"، و"أدالبيرتو رييس"، و"ألفونسو كاربونيل"، و"رافاييل مارياجا"، و"خوليو ماريو سانتودومينجو"، و"خوان ب. فيرنانديز"، و"أراماندو باراميدا موران"، و"بيرناندو ريستريبو"، و"روبيرتو بريتو"، و"ألبارو سيبيد ساموديو"، و"كارلوس أوسيو

نوخويرا"، و"ألفريدو ديلجادو". وأشرف على اللجنة الفنية "أليخاندرو أوبريجون"، و"أورلاندو ريفيرا" وكان يُعرف باسم "فيجوريتا". لم تكن الرسامة "سيسيليا بوراس" جزءًا من أي لجنة بالجريدة، لكنها شاركت في العديد من فعالياتهم، وخصوصًا حفلاتهم التي لا نهاية لها.

تشير الفصول الثلاثة الأخيرة في "مئة عام من العزلة" إلى لحظات ومواقف حدثت في تلك السنوات، مع إحالات متكررة إلى هؤلاء الأصدقاء الأربعة: فبسببهم، اكتشف"أورليانو" بيت الدعارة الذي تعمل فيه الفتيات من أجل شراء الطعام، وتمكن من أن يفهم مدى العمق البشري والفكري لبائع الكتب الحكيم. كتب: "كان حماسه للكلمة المكتوبة مزيجًا من الاحترام المهيب، والنميمة المهينة". ظهر تأثير أصدقائه فيه أيضًا في الليلة التي أثبت فيها "ألبارو" أن الأدب هو أفضل الألعاب التي اختُرعت من أجل السخرية من الناس.

في الوقت نفسه، بدأ "ماركيز" يرى نهاية للطريق الذي بدأه؛ أنهى أول رواية له بعد عام من العمل الشاق. وبعد ذلك المجهود المضني لم يُوفق، لأن الناشر الذي وضع فيه كل آماله رفض نشر روايته. كتب شارحًا ما حدث لـ"جونثالو جونثاليث"، أو "جوج"، في خطاب نُشر في "إل إسبكتادور"، في عدد يوم الأحد بتاريخ 30 مارس 1952، تحت عنوان: "نقد ذاتي". كتب:

"أنت تعلم بالفعل أن الناشر "لوسادا" قد رفض روايتي "الأوراق الذابلة". أنا ليس لدي أدنى شك في معرفة من هو المعتوه فيما حدث. هل تظنني على هذا القدر من الغباء كي أكرس عامًا كاملًا لكتابة هذه الرواية، وفي النهاية لا تُنشر! لا يا صديقي، لا، إنني كسول لدرجة تمنعني من أن أكون غبيًّا للغاية.

سأنشر هذه الرواية حتى ولو في الجرائد الشعبية، وستكون مقدمة الرواية عن لجنة التحرير ضيقة الأفق ومحدودة الفكر".

إن هذه العقبة، والتي تبدو هكذا من أول وهلة، لم ترهب هذا المؤلف. على العكس، فكما قرأنا في خطابه إلى "جوج"، أنه يؤكد قراره بأن يصبح كاتبًا. صحيح أنه لم يمتلك أي حل لحالته المادية المتأزمة، ولكن أي نقاش أو شك في اتخاذه الكتابة مهنة قد أصبحا من الماضي. كان المريض يتعافى من هوسه بالأدب، ولكن المرض أصبح جزءًا من طبيعته. هو لن يصبح مجرد شخص لديه ذاكرة استثنائية مكتظة بشظايا من المؤلفين المختلفين الذي قرأ لهم، لكنه سيصبح ساحرًا قادرًا على تحويل ذلك الميراث الأدبي إلى شيء مختلف تمامًا، وهدفه الوحيد هو أن يُري للجميع ألاعيبه وحيله.

سوف تصبح مكتبة "موندو" في "بارانكيا" واحدة من أماكنهم المفضلة للقاء منذ البداية؛ منذ أن فتحت أبوابها ومبناها الذي يقع بين شارعي "خيسوس" و"سان خوان"، ولكن بعد وقت قليل، انتقلت لقاءاتهم إلى بدروم "مسرح كولومبيا". في ذلك المكان، جذبتهم صناديق الكتب كالمغناطيس أو كالأطفال عديمي الصبر. احتوت تلك الصناديق على كتب من الخارج كانوا قد طلبوها منذ عدة أشهر. عندما أُغلقت المكتبة، انتقلوا إلى "مقهى كولومبيا"، وهو يقع على بعد عمارتين من المكتبة. التقوا كذلك في مقهى "جابي" (ومعناه "البائس") وأمامه دائمًا ما يجلس كلب لا ذيل له؛ كان زبونًا دائمًا مثلهم، وهو ما ألهم "ماركيز" أن يكتب عمود فكاهيًا وكاشفًا عن أحوال البشر بعنوان: "أسباب أن يكون المرء كلبًا" Motivos para ser perro (Reasons for Being a Dog).

"إذا مر عليّ يوم وسئمت تلك الجريدة التي تمتحن صبر العامة، وأصبح لي الحق في أن أكون مختلفًا تمامًا، فسأكرس نفسي لكي أصبح ذلك الكلب السمين الذي يتمتع بصحة جيدة، والذي يتجول عبر المنطقة التجارية بالمدينة ثم ينتهي به الأمر بالنوم كالمعتاد أمام مقهى "جابي" [...] على الأرجح، إن ذلك الكلب المثالي لا يحمل اسمًا يميزه عن غيره. ولا بدَّ وأنه لا يعاني بتاتًا أي هموم أو اهتمامات يومية مثل البشر، لأنه يعلم أنه ما إن يستيقظ يصبح واجبًا على المنطقة التجارية بأكملها أن تطعمه. إنه لا يعض أحدًا، ولا ينبح على أحد، ولأن العالم مكان معيب زيادة عن اللازم، وهو ما يجعل الكلب غير مهتم بكل ما يمر به من ظواهر عابرة. إن ذلك الكلب حكيم، ولديه تركيز عالٍ على ما يريد، وهو أيضًا مترفع وغير مبالٍ بما يحدث حوله في العالم. وما إن قُطع ذيله – فهو كلب بلا ذيل - أصبح حرًّا في التعبير عن مشاعره الطبيعية. إن كلبًا متأقلمًا مع فرديته بطريقة محمومة؛ فهو لم يعد يهز ذيله عند وصول أي أحد".

كان المكان الذي لا مثيل له مقارنة بأي مكان آخر في ترحيبه بهم واستقبالهم هو مطعم "لا كويبا" – "الكهف". وفيه كبرت مجموعتهم لتضم المزيد من الكتاب، والرسامين، والسياسيين، والمصورين، والمهندسين، بالإضافة إلى أصدقاء آخرين لهم توجهات مختلفة، مثل "ألبارو موتيس" في أي وقت كان يأتي فيه إلى المدينة. قبل أن يصبح "لا كويبا" هو ملاذهم المفضل، كانوا يتقابلون في متجر يُدعى "إل بايبين" في حي "بوسطن". تقع كنيسة "بريتوا سوكورّو" التي تزوج فيها "ماركيز" زوجته "مرسيدس

بارشا" في الحي نفسه، ولكنه حدث سيقع لاحقًا بعد ست سنوات، في 1958. كان متجر "إل بايبين" ضخمًا، فكان جزءًا منه عبارة عن عيادة أسنان يُفصل بينها وبين المتجر نفسه بستارة قماشية، والتي ستختفي في أحد الأيام عندما تظهر الحاجة إلى مساحة أكبر. احتاج "إل بايبين" إلى التعديل، خصوصًا بعد الشعبية المفاجئة التي اكتسبها بين دوائر اجتماعية معينة. في البداية، غزا المتجر مجموعة من الصيادين الذين احتلوا المائدة الوحيدة به. لهذا السبب، أصبح المكان "الملجأ الهادئ للصيادين"، وهو ما أعلنته اليافطة المعلقة على جدار خلف منضدة البيع. مع مرور الوقت، بدأ يجلس بالمكان صحفيون، ورسامون، وكتّاب، ومصورون، ومهندسون. نتيجة لذلك، أضاف مالكه "إدواردو بيلا فوينمايور" إلى اللافتة كلمة "ومثقفين"، حيث بدأ المكان بشكل غير محسوس من مجرد متجر متواضع لبار له شعبية كبيرة. حكى "إيريبيرتو فيوريللو" عن "فيرناندو بوتيرو" الذي اعتاد الذهاب إلى هناك باحثًا عن أصدقائه "أليخاندرو أوبريجون" و"إنريكي جراو". ومر "أنطونيو رودا" بالمكان وترك صورة له مع جميع أصدقائه الكاريبيين بالمكان. تقابل "خوسيه جوميز سيكريه" المدير الفني لمجموعة "OAS" الفنية مع الرسَّام الكولومبي "نوي ليون"، وبفضل تلك المقابلة السعيدة، انتشرت لوحات الفنان ذات الطابع "البدائي" – primitivist حول العالم.

كانت أسطورة "لا كويبا" عظيمة لدرجة أنه منذ أكثر من ثلاثين عامًا مضت، حاول "ألفونسو فوينمايور" متأثرًا بحنين اتسم بالأسى أن يعيد إحياء المكان. والآن، وفي القرن الواحد والعشرين، اكتسب ذلك المكان واقعيته بسبب ذكريات وحنين أولئك السابقين التي لا تزال متأصلة في

ذلك المتجر والذي تحوَّل إلى بار لا مثيل له يجتمع فيه الأصدقاء بسبب شخصيات زبائنه التي تجاوزت كل الحدود:

"سيظل "لا كويبا" كما هو، لكنه مختلف في الوقت نفسه. بعد نصف قرن من مولد أساطيرهم المتفردة والجمعية، نجد أن معظم الناس الذين أعطوه روحًا قد رحلوا عن الحياة، ولكن جزءًا من الموروث الروحي والجمالي الذي تركوه خلفهم، ربما نجده في فن وثقافة أبنائهم في "بارانكيا" حتى نهاية الزمن".

- عن العودة إلى الكهف، إل تييمبو، 28 ديسمبر، 2003

- (Heriberto Fiorillo, "De regreso a La Cueva (On returning to The Cave)," *El Tiempo*, December 28, 2003).

يجب أن نضيف هنا المساعدة الوجدانية وحضور الكاتب الأمريكي "ويليام فوكنر"، باعتباره الضوء المرشد للحكيم الكاتالوني الكاتب "خوسيه فيونمايور"، كذلك لأصدقائه. لعدة أعوام، استرعى هذا الكاتب القادم من جنوب الولايات المتحدة اهتمام الكاتب الكولومبي؛ فهو لم يكن فقط موضوع المناقشة المتكرر على مائدة "فينوس"، بل قرأوا كذلك بعض رواياته، مثل "بينما أرقد محتضرة"، و"النخيل البري"، و"نور في آب"، و"سارتوريس"، وروايات أخرى. كانت أعماله بمنزلة وحي وإلهام. كتب "فوكنر" في خطاب إلى "مالكولم كاولي"، بعدما كتب "كاولي" استهلالًا لـ"مختارات فوكنر للجيب"، كتب "فوكنر" يقول:

"إن كل ما في وطني يستحق الكتابة عنه, وبتحويلي الواقع إلى خيال ستكون لدي: مطلق الحرية كي أوظّف الموهبة التي منحني الله إيّاها - والتي لن أعيش ما يكفي من العمر لكي تنفد تمامًا - في الكتابة عن مكاني الذي وُلدت به, عن نصيبي من تلك الأرض الصغيرة في حجم طابع البريد, والتي تستحق أن أكتب عنها".

اعترف "ماركيز" بأنه يدين بالفضل لـ"فوكنر" خلال حواره الشهير مع "ماريو بارجاس يوسا" في "ليما"، بعد ثلاثة أشهر من صدور "مئة عام من العزلة"، قال:

"إن الأسلوب "الفوكنري" مؤثر وفعال عند حكي أي قصة واقعية في دول أمريكا اللاتينية. وهو ما اكتشفناه في "فوكنر" دون أن نعي هذا الاكتشاف: وهو أننا رأينا الواقعية, وأردنا وصفها, وأدركنا بأن الأساليب الأوروبية لم تسعفنا في ذلك, ولا حتى الأساليب الإسبانية التقليدية. فجأة, وجدنا أن الأسلوب "الفوكنري" هو المناسب لحكي القصة الواقعية".

- الرواية في أمريكا اللاتينية: حوار

(La novela en América Latina:Diálogo (The Novel in Latin America: Dialogue)).

أحيانًا كانت المناقشات في ليالي "بارانكيا" الحارة تتناول المظاهر الأدبية لأعمال الكتاب الأمريكيين، وفي هذه المناقشات الساخنة، يتعجب "جارثيا ماركيز" عمًا إذا كان "فوكنر" يداهنهم بنوع من البلاغة في أسس تكوين الرواية. كان تأثير "فوكنر" قويًا وغالبًا على المؤلف الشاب

لدرجة أنه تأثَّر بأسلوبه واتبع ما يقدمه هذا الكاتب من نصائح في أساليب الكتابة الأدبية.

"إن الفن لا يهتم بالمكان الذي سيعبِّر عنه. وإذا كنت تقصدني بكلامك، فإن أفضل وظيفة عُرضت عليَّ هي أن أكون مديرًا لبيت دعارة. أرى أن هذه هي أفضل بيئة يمكن لفنان أن يعمل بها؛ فهي توفر له حرية اقتصادية كاملة، فيتحرر من خوفه من الجوع، ويجد فوق رأسه سقف، وليس عليه القيام بشيء سوى بعض الحسابات البسيطة، وأن يذهب شهريًا إلى الشرطة ويدفع الإتاوة. يكون المكان هادئًا صباحًا، وهو أفضل وقت للعمل، ويتيح المساء ما يكفي من صخب الحياة الاجتماعية هذا إذا شئت المشاركة حتى لا يشعر بالملل".

("مهنة الكتابة" مقابلة فوكنر في مجلة باريس ريفيو)

- ("The Profession of Writing." Faulkner's interview in The Paris Review).

عاش ماركيز لعدة أشهر في فندق رخيص، أطلق عليه هو وأصدقاؤه اسم "ناطحة السحاب"، وكان قريبًا من كنيسة "سان نيكولاس" في قلب مدينة "بارانكيا". اعتاد رهن مخطوطاته لدى مكتب استقبال الفندق عندما لا يكون معه المال الكافي لتغطية تكلفة إقامته. شاركته العاهرات في معجون الأسنان والصابون، وفي أوقات الصباح المشمسة الهادئة، كن تدخلّن غرفته للبحث عن كارت لرجل بعيد أو للحصول على نصيحة سريعة فيما يتعلق بحياتهن العاطفية.

لم يفضِّل "فوكنر" المقابلات الصحفية، ولا الندوات التي يُطالب بالتحدث فيها، ولا المؤتمرات ولا الاجتماعات الأدبية مع كتاب آخرين غيره، كان يقول:

"أنا لستُ أديبًا. أنا مجرد فلّاح يحب سرد الحكايات".

أنهى اللقاء نفسه بقوله:

"أنا لستُ رجل أدب: أنا مجرد كاتب. كما أنني لست سعيدًا بالتحدث عن مشكلات تلك الصنعة".

بعد أن أنهى "ماركيز" إقامته في "ناطحة السحاب"، انتقل إلى منطقة "إل برادو"، وهو حي مرموق، وبالقليل من المال اشترى لنفسه عددًا من البنطلونات والقمصان المزينة بالزهور والطيور الملونة، وهو ما أكسبه، كما ذكر في مذكراته "شهرة سرية باعتباره شاذًا". في "كارتاخينا"، آمنت العائلات القديمة بأن ارتداء مثل هذه القمصان يتطلب شجاعة كبيرة. أطلق عليه سائقو التاكسي المتبجحون اسم "مجنون الهلاهيل". حكاية طريفة أخرى وهي علامة على الواقعية المدهشة لذلك الوقت، حيث كتب أن سائق تاكسي أقله ذات مرة من مطار "سوليداد" إلى فندق "ديل برادو" ثم أراده أن يدفع ضعف الأجرة التي ظهرت على العدَّاد، وكان ردَّه بعد أن اعترض "ماركيز" هو: "أها، هل ستصدق "المكنة" وتكذبني؟".

على أية حال، فإن أهم حدث خلال تلك الفترة من حياته في "بارانكيا"، كان كما ذكرنا سابقًا، هي رحلته إلى "أراكاتاكا" مع والدته في كرنفال عام 1950، كي يبيعا بيت جديه. المنزل الذي قضى فيه السبع سنوات

الأولى من عمره، والذي اكتشف فيه العالم عبر عيون جده، وموسوعته الضخمة التي تحتوي كل الكلمات. كان المنزل نفسه الذي رأى فيه العالم الغريب والمُخضع للنساء اللواتي اعتنين به في طفولته، حين اكتشف الرسم، والموسيقى، والسحر. كان المنزل نفسه والبلدة نفسها التي تحملت المجد الزائل لشركة الموز والانهيار التام للمعايير الإنسانية. إنها القرية نفسها التي غرقت جذورها في المنحدرات الشرقية للجانب الآخر من "سييرا نيفادا"، والتي منها وإليها تأتي أو ترحل القطارات ذات اللون الأصفر الباهت والتي تمر على المزارع والجسور مصدرة ضوضاء مزعجة تشبه البرق الذي سيعلن عن مجيء يوم الحساب.. إنها القرية التي لعبت الفتيات العاريات في جداولها وهن يضحكن.

وبعد عشرين عامًا، أصابته صدمة ذلك التناقض القاسي والمثبط للهمم بين الذكريات التي احتفظ بها الكاتب في جانب بعيد من ذاكرته، وتلك الرؤية المؤلمة لتحول كل ما يألفه إلى شيء لا ملامح له بسبب الزمن الذي لا يرحم. كان كل شيء ينهار؛ في البيت، وفي القرية، وكأن الوجود الإنساني قد اضمحل ثم اختفى، ولم يترك خلفه سوى أشباح ذكرته برواية "كومالا" – "Comala" لـ"خوان رولفو". توصَّل ذهنه إلى فكرة مذهلة؛ إن كل ما يحتاج إليه من أساس لعالمه السحري يوجد هناك أمامه؛ احتوت البلدة على كل العناصر، والشخصيات، والأحلام، والكوابيس التي ستملأ عالمه المُتخيل. وبفضل الوضوح الأسطوري الذي منحته إيَّاه السنوات، أصبحت تلك العناصر مصدرًا لا ينضب لكل كتبه؛ رؤيا شديدة الوضوح يميزها زمن وفضاء يغلفهما الحنين وعالم لا مثيل له. كتب في مذكراته قائلًا:

"منذ ذلك الحين وحتى اليوم، كنت تحت رحمة الشوق والحنين إلى الماضي".

فكانت الكتابة هي طريقته الوحيدة للتأقلم مع طغيان الحنين للماضي، ومن خوفه كطفل من الظلام، ومن الفراغ الذي خلفه موت جده لأمه داخله، وجاذبية عالم المرأة البعيد والمثير، باختصار، كانت الكتابة هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذ شيء ما من ذاكرته قبل أن يفقدها كاملة. سيكتب لكي يعيش، ولكي يجعل الحنين للماضي أكثر احتمالًا، وكذلك مرور الزمن الذي لا يرحم أحدًا.







مرة أخرى
العاصمة الموحشة

في 24 ديسمبر 1952، نشرت جريدة "إل إيرالدو" في صفحتها الأخيرة قصة كتبها "ماركيز"، وبها أنهى عمله بها. كان عنوانها هو "الشتاء"، وسبقتها ملاحظة تشير إلى أن هذه القصة هي فصل من روايته "الأوراق الذابلة". بعد مرور ثلاثة أعوام، عام 1955، ظهرت القصة نفسها في مجلة "ميتو" - Mito تحت عنوان معروف جيدًا للقراء وهو "إيزابيل تناجي نفسها وهي تراقب المطر في ماكوندو" - Monólogo de Isabel viendo llover en Macondo - Monologue of Isable Watching it Rain in Macondo. في العام نفسه، نُشرت "الأوراق الذابلة" كاملة في "بوجوتا" بغلاف رسمته الفنانة "سيسيليا بوراس"، وأهداها "ماركيز" إلى صديقه "خيرمان بارجاس". وفي تعريف للرواية نُشر في الجريدة عام 1952، وُضحت أصول الرواية وأنها تبدأ بسلسلة من التأملات عن الكاتب الكولومبي. جاء ذلك التعريف كنوع من الرد على رفض دار النشر "لوسادا" لها:

"إن جابرييل جارثيا ماركيز، الكاتب الكولومبي المعروف، سيتمكن يومًا ما من نشر روايته "الأوراق الذابلة". وعندما يحدث ذلك، فإن الأسلوب الممتاز والمنعش لجابرييل جارثيا ماركيز سيرسم الخط الفاصل في عالم الأدب الكولومبي الفقير، تمامًا كما فعل كتاب "أربعة أعوام داخل نفسي" للصحفي الكولومبي "إدواردو زالاميا بوردا" - *4 años a bordo de mí mismo* -. لذلك، فإن هؤلاء الذين يعرفون أسلوب "ماركيز" يتطلعون بحماس لأن يقبل ناشر كولومبي كبير أعماله قريبًا. ننشر له الآن في هذا العدد فصلًا من روايته

"الأوراق الذابلة". لم يشأ هذا الكاتب الشاب أن يكتب مجرد رواية، لكنه أراد أن ينتج عملًا يجمع كل الاعتبارات الأدبية الفنية".

كان "البارو موتيس"، الذي قابله "ماركيز" قبل خمسة أعوام في "كارتاخينا" عن طريق "جونثالو ماياربنو"، الذي كثيرًا ما زار أصدقاءه في "بارانكيا"، وكان واحدًا من المسؤولين مباشرة عن انتقال "ماركيز" إلى "بوجوتا" في يناير 1954، بصفته محررًا في صحيفة "إل إسبكتادور" بمرتب قدره تسعمئة بيزو شهريًّا. شغل "ماركيز" في هذه الصحيفة العديد من الوظائف، تمامًا مثلما فعل وهو في "كارتاخينا" و"بارانكيا". كان مراسلًا، ومحررًا، ومسجلًا متحمسًا بكتاباته كل ما حدث في المدينة تحت عنوان "الأفلام في بوجوتا: إصدارات الأسبوع".

لم تتوقع تلك المدينة المنعزلة عمًّا حولها ذلك الانفجار الثقافي؛ بمطارها وطرازها المعماري القديم الذي لم يواكب التطورات التي حدثت في المدن المجاورة لها مثل "فونتيبون"، و"أوساكين"، و"سواتشا" لكنها مثلت فاصلًا من المناطق العشوائية بينها وبين العاصمة. استطاع "ماركيز" أن يحتفظ بروابطه الوثيقة بالشاطئ الأطلنطي، وخصوصًا بأصدقائه في "كارتاخينا" و"بارانكيا". كانت تلك المدينة هي وسيلته للنجاة من ناحية، ومن ناحية أخرى، فقد ساعدته الثقافة الكاريبية التي أصبحت أقوى وأكثر مثابرة من خلال موسيقييها، ورساميها، وكتابها، وصحفييها. نجت الثقافة الكاريبية "في تلك المدينة الكئيبة المظلمة التي ما زال صوت عربة نائب الملك يتردد بعد كل هذا الوقت على أحجار شوارعها في لياليها الشبحية". ومع ذلك، قضى "ماركيز" وقته إمَّا حبيس غرفته

المؤجرة، وإمّا في مكتب "ألبارو موتيس"، وغرفة الأخبار بالجريدة، وصالات السينما المظلمة.

كان العمود الصحفي الذي يكتبه تحت عنوان "مهرج ملوّن يقف خلف الباب"، ونشرته له جريدة "إل إسبيكتادور" دليلًا على الحياتين اللتين عاشهما المؤلف في الكاريبي وفي العاصمة. كان عموده يمتلئ بالحنين إلى الماضي، وقد أعاد كتابته كمقدمة في العرض الافتتاحي لمتحف الفن الحديث في "كارتاخينا"، والذي استغرق تأسيسه عشرين سنة لكي يجدوا مكانًا مناسبًا في المدينة لكي يأوي كل اللوحات التي عُلِّقت به، ولكن فُقدت لوحة "مهرج ملوّن يقف خلف الباب".

"منذ أكثر من ثلاثين عامًا، رسمت "سيسيليا بوراس" لوحة بالحجم الطبيعي لمهرج على الباب الخلفي لمقصف في حي "جيتسماني"، وهو قريب للغاية من الشارع الصاخب "ميديا لونا" في "كارتاخينا". رسمته بفرشاة سميكة وألوان من تلك التي اعتاد البناؤون استعمالها في ترميم المنازل. في النهاية، فعلت شيئًا نادرًا ما فعلته مع لوحاتها الأخرى؛ وقعتها.

[...] بعد عدة أعوام، قابلت "إنريكي جراو" أمام باب الخروج لإحدى السينمات في "بوجوتا"، ولوقت طويل لم نفعل سوى التحدث عن الأفلام التي شاهدها كل منّا حتى اكتشفت بالصدفة أنه كان الرسّام الذي صمم غلاف أول قصة أنشرها في حياتي، وأن ذلك الغلاف أيضًا، كان أول واحد يرسمه في حياته لقصة. عاش "جراو" في شقة تطل نوافذها الخلفية على مقابر. وهناك تمتعنا بعدد من الحفلات الصاخبة، وفي أثناء لحظات الصمت العابرة، جلسنا نستمع إلى همهمة الموتى الذين يتعفنون

هناك في المقابر. أمّا "إدواردو راميريز بيلاميزار" - والذي أسدى لي معروفًا لن أنساه له وهو تصميم البروشور الإعلاني الذي كتبته بحكم الضرورة في الماضي - فعاش في منزل في "لا بيرسيفيرانسيا" قبل أن تصبح الإقامة هناك موضة بوقت طويل. كان منزلًا ضخمًا، وخاليًا، وأثاثه الوحيد هو سرير عارٍ وحامل لوحات. أمّا "أليخاندرو أوبريجون" فكان في تلك الأيام في طريقه إلى "بوجوتا"، وقد قابلته سابقًا في بيت دعارة "ببلار تيرنيرا" في "بارانكيا"، والذي احتلته السلاحف وطيور الكروان. أخبرني في أحد الأيام أنه يريد أن ينام في غرفتي، ولأن جرس الباب كان معطلًا، أخبرته أن يوقظني عن طريق إلقاء الحصاة على النافذة. وجد "أوبريجون" قالبًا من الطوب في مبنى مجاور، واستيقظت لأجد نفسي مغطى بسيل من الزجاج المهشم. دخل غرفتي دون تعليق. ثم أخرج معي مرتبة أخرى كنت أبقيها تحت سريري من أجل كل من أراد النوم في غرفتي. نام عليها بعد ذلك ولا شيء يغطيه سوى وشاح حريري إيطالي كان يربطه حول رقبته، وذراعيه متقاطعين فوق صدره مثل تلك التماثيل الراقدة في الكاتدرائيات القديمة. استيقظ مبكرًا، وبعينيه الزرقاوين الشفافتين ذات النظرة الحادة مصوبة نحو السقف، قال:

- "إريثرينا"، ما الذي تعنيه هذه الكلمة؟

- لا أعلم، لكن في يوم من الأيام سأعرف معناها وسأستخدمها.

احتجت إلى عشرين عامًا كي أجد لهذه الكلمة الغامضة مكانًا في واحدة من رواياتي الحديثة، وهي تقريبًا المدة نفسها من الزمن التي استغرقها متحف الفن الحديث في "كارتاخينا" لكي يعثر على جدار يعلق

عليه لوحاته من أجل الأجيال القادمة. وقد حدث وغلقت تلك اللوحات، ومع ذلك، لا تزال لوحة لمهرج مرسوم على ظهر باب مفقودة".

من الممكن أن نعثر على المزيد من كتاباته في تلك الفترة، مثل تلك التي كتبها بمناسبة افتتاح معرض "إل كاليخون" في المكتبة المركزية، والذي افتُتح بمعرض للوحات الرسَّام "أرماندو بيليجاس". ولكن، يمكن القول إن كتاباته الأساسية كانت أثناء عمله في "إل إسبكتادور" في أثناء إقامته في "بوجوتا"؛ حيث تميز بنقده الدقيق والبليغ للأفلام، وكذلك تقاريره الإخبارية، وأبرزها تلك التي حفظها قراؤه عن ظهر قلب، ويعرفها الجميع بـ"قصة غريق" - *Relato de un náufrago* (*The Story of a Shipwrecked Sailor*).

وقعت تلك الأحداث التي يحكي عنها في 28 فبراير 1955، حيث أُعلن عن وقوع ثمانية بحارة من طاقم المدمرة الكولومبية "كالداس" في البحر الكاريبي في أثناء عاصفة. في الخبر الذي كتبه "ماركيز" يقول إن الناجي الوحيد منهم هو البحار "لويس أليخاندرو بيلاسكو"، والذي ظهر بعد عشرة أيام على شاطئ مهجور على الساحل الكولومبي الشمالي. قال البحار إنه لم يكن هناك عاصفة في البحر الكاريبي ذلك اليوم، وإن المدمرة تخبطت في البحر بسبب الرياح الشديدة، وإن جزءًا من الحمولة لم يكن مربوطًا جيدًا، فسقطت في البحر وتبعها هو وسبعة من زملائه. كشف ذلك الاعتراف ثلاث نقاط خطيرة: تحميل بضائع على مدمرة حربية، وزيادة الحمولة مما نتج عنه عدم تمكُّن السفينة الحربية من المناورة لإنقاذ بحارتها، وأخيرًا، استخدام سفينة حربية في نقل بضائع منزلية مهربة، مثل: ثلاجات، وأجهزة صوت، وغسالات، إلخ.

نشرت "إل إسبكتادور" التقرير بعد شهر من وقوع الحادث، بعد أن فاض الكيل بالبحار من أكاذيب البحرية المثيرة للسخرية، واستغلاله في إعلانات الملابس ذات الماركات العالية، واستغلاله للتحدث مع وسائل الإعلام، لكنه أقبل على هذا الأمر بنوع من الاستغلال. نُشر التقرير في 14 جزء، وكُتب بصيغة المتكلم وكأن "لويس أليخاندرو" هو من كتبه، ولكن "ماركيز" هو الذي فعل ذلك. وبسبب ذلك التقرير، بيعت أعداد الجريدة المطبوعة بالكامل طوال الأسبوعين اللذين نُشر فيهما التقرير.

علَّق "ماركيز" على الموضوع بعد خمسة عشر عامًا قائلًا:

"كانت مشكلتي الأدبية الوحيدة هي أن أجعل القارئ يصدق أن ما حدث كان حقيقيًا، خصوصًا بعد سماحي بنشر ذلك التقرير تحت عنوان "قصة غريق". لكن، لم يتعلق الأمر بالعنوان فقط بل بالموافقة على كتابة التقرير بضمير المتكلم وأن نجعل "بالِيسكو" يوقِّع باسمه في نهايته".

على الرغم من الضغوطات والتهديدات التي تعرَّض لها البحار "بيلاسكو"، فهو لم ينكر كلمة واحدة، واضطر إلى أن يستقيل من البحرية ويختفي في الحياة المدنية الحزينة والمملة. لاحقًا، أرسلت الصحيفة "ماركيز" إلى "باريس" ليكون مراسلها في أوروبا، وقد علَّق على الأمر لاحقًا بأنه منفاه في باريس وأنه يشبه إلى حد كبير كونه تائهًا في البحر على طوف. على أية حال، أغلق الحكم العسكري الديكتاتوري برئاسة "روخاس بينيا" الصحيفة.

غطَّى "ماركيز" وهو هناك الحالة الصحية المتدهورة للبابا "بيوس الثاني عشر" في الفاتيكان، وغطَّى كذلك ما حدث في "مؤتمر جنيف

1954" الذي حضره ممثلون للدول الأربع العظمى (الولايات المتحدة، وإنجلترا، وفرنسا، والاتحاد السوفيتي). ملأت تلك الأحداث وقت المراسل الكولومبي في البداية، بالإضافة إلى شعوره بخيبة الأمل عندما اكتشف أن المراعي خارج باريس لا تختلف كثيرًا في خضرتها عن مرتفعات "بوجوتا". سافر "ماركيز" إلى باريس يوم الجمعة 15 يوليو 1955، وفي يوم الأحد الموافق 17 يوليو استقل القطار إلى جنيف ووصل في اليوم نفسه. عانت المدينة التي تقع على شواطئ بيحرة جنيف موجةً حارة، مماثلة لتلك السائدة في مدينة "بارانكيا" - (30 درجة مئوية) - لكنها لم تصحبها الرطوبة التي تشتهر بها هذه المدينة الساحلية. استمر هذا الوضع لمدة أسبوع. لم يجذب المؤتمر المنعقد اهتمام "ماركيز". في بداية شهر أغسطس، سافر الكاتب إلى روما، ومنها أرسل أربعة تقارير عن صحة البابا إلى الصحيفة في "بوجوتا". بعد مرور عدة أسابيع، رحل إلى البندقية لتغطية حدث استولى على كل اهتماماته، وهو "مهرجان البندقية السادس عشر للفن السينمائي". قضى أسبوعين يشاهد الأفلام في كل الأوقات، صباحًا وحتى وقت متأخر من الليل، كان مبهورًا بكل ما يراه لدرجة أنه شاهد القليل من تلك المدينة التي تتحمل بشكل عجيب موجات وتحركات القوارب الميكانيكية في قنواتها المختلفة، ولم يلحظ كذلك تلك الرائحة المقززة التي تنبعث من تلك القنوات الميتة في ظهر أيام الصيف.

بعد وقت قصير، وبعدما تحول لون أوراق الشجر إلى اللون الأصفر كعلامة خجولة على قدوم فصل الخريف، انتقل الكاتب إلى فيينا بغرض دخول الكتلة السوفييتية وزيارة بولندا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، وأوكرانيا، وروسيا، ولكن

تحذيرات قارئة الودع (الحظ) التي أنبأته بالحظ السيئ جعلته يصرف نظره عن الموضوع، ثم سارع بالتوجُّه إلى روما، حيث حضر عروض مركز الأفلام التجريبية الإيطالي – Centro Experimental de Cine. كان لا يزال مؤمنًا وسيظل كذلك على مدى العشر أعوام اللاحقة، بأنه استطاع أن يجد الأساليب الصحيحة للكتابة في السينما والتي ستساعده على التعبير عن ذلك العالم الذي يحتدم داخله. وعلى الرغم من الحماس الذي اكتنفه وهو يسجِّل نفسه للدراسة في إستوديوهات "شينشيتا"، فقد شعر بالملل من الجانب الأكاديمي للأمر، فترك المجال بعد مرور شهرين. ولذلك، وفي منتصف ديسمبر، وصل مرة أخرى إلى باريس ومعه القليل من المال؛ مئة فرنك. اشترى بها تذكرة العودة إلى كولومبيا. كان مصممًا على البقاء فترة أطول في تلك القارة العجوز. عندما كان في العاصمة الفرنسية، أقام في فندق "دي فلاندغ" - Hotel de Flandre، رقم 16 شارع "كوچاس"، والذي تمتلكه عائلة لاكفوا".

نفدت نقوده كلها في فبراير، ولم يتبقَ معه ما يكفي حتى سداد أجرة غرفته في ذلك الفندق، لذلك نقلته مدام "لاكفو" إلى العلية في الدور السابع حتى يتمكن من سداد ما عليه. بالنسبة إليها، سوف يصبح، مسيو "ماركيز"، الصحفي المقيم بالدور السابع. بعد مرور ثمانية عشر شهرًا، أصبح مدينًا لها بمبلغ ألف وعشرين فرنكًا، كان قد منحه إياه الرسام الكولومبي "هيرنان بيكو" كنوع من الكرم. وعندما حاول "ماركيز" إعطاء هذا المبلغ كله لمدام "لاكفو" رفضت أن تأخذه منه. هناك في باريس، وعلى مدى عام كامل، اكتشف الكاتب أن مشكلاته المادية أكثر ضغطًا وهو في قلب مدينة النور، أكثر مما كانت عليه عندما كان مستقرًّا في عاصمة بلاده.

أصبح بلا تذكرة عودة، ودون نقود أو وظيفة، فدخل في مرحلة من التقشف الشديد الذي سيستمر لمدة عام كامل. كان مضطرًا لأن "يكتب ليلًا ثم ينام باقي النهار" كي يكافح الجوع. وفي ربيع عام 1956، بدأ في كتابة قصة جديدة وترك روايته التي كانت تتحدث عن الإعلانات الخبيثة، والتي كان قد بدأها قبل عدة أسابيع. دارت القصة الجديدة عن كولونيل في "حرب الألف يوم"، والذي قاسى، كما قال أحدهم في إحدى المرات، من الصرامة "الأخلاقية"، ومن الانتظار الذي زاد على نصف قرن لوعود الحكومة القومية التي لم تنفذها. إنها حكاية رمزية عن الرجل الذي لا يستسلم أبدًا ولا يتقبل الهزيمة التي لا محالة من وقوعها والتي فرضها عليه الظلم والتخلي، واللامبالاة. إنها تحفة مكبوتة، لها دقة وإحكام الساعة، والتي بناها الكاتب خطوة تلو الأخرى، وديونه تتزايد في الفندق. كان يجمع الزجاجات الفارغة من المطاعم، والمجلات والجرائد القديمة المهملة على مداخل المنازل مستبدلًا إياها مقابل عدة فرنكات كي يستأنف معجزة البقاء اليومية.

وكما حول الكاتب أن يحقق المعجزة اليومية بالبقاء على قيد الحياة، وهو لا شيء سوى جلد على عظم، ولكن بإيمان راسخ في الكتابة. كان الكولونيل في القصة يحقق المعجزة نفسها كل يوم داخل مدينة منسية لا أمل فيها، مقتنعًا بأنه سيظل على قيد الحياة عندما يصل إليه الخطاب. كان لـ"ماركيز" إيمان لا يفتر في مبدأه الذي لطالما عبَّر عنه: "إن كل رواية جيدة تعكس صورة شاعرية للواقع"، ثم أعاد ذلك المبدأ بطريقة أخرى ولكن بالمعنى نفسه، ودون أن ينقص من هدفه الأخلاقي والثقافي، قال: "إن كل رواية جيدة ما هي إلا محاولة لتخمين حل لألغاز الحياة".

بدأ نوع من الراحة يشوب حياته حينها، وذلك حين رافق "بلينيو أبوليو ميندوثا" إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية آنذاك، والاتحاد السوفييتي، وهنجاريا، حيث استطاعت مدام "زاباتا أوليفيللا" أن تضمه إلى غرفتها من الموسيقيين والراقصين والراقصات للبالية الفولكلوري. كانت النتيجة الفورية لتلك الرحلة هي سلسلة من التقارير التي نُشرت في مجلة "كروموس" في "بوجوتا" تحت عنوان "تسعون يومًا خلف الستار الحديدي" - Ninety Days Behing the Iron Curtain.

سيعود لاحقًا في عام 1968 إلى تشيكوسلوفاكيا وهنجاريا بصحبة "كارلوس فوينتس" ضيفين لـ"ميلان كونديرا" ليعبرا عن مساندتهما لـ"ربيع براغ" المحطَّم.

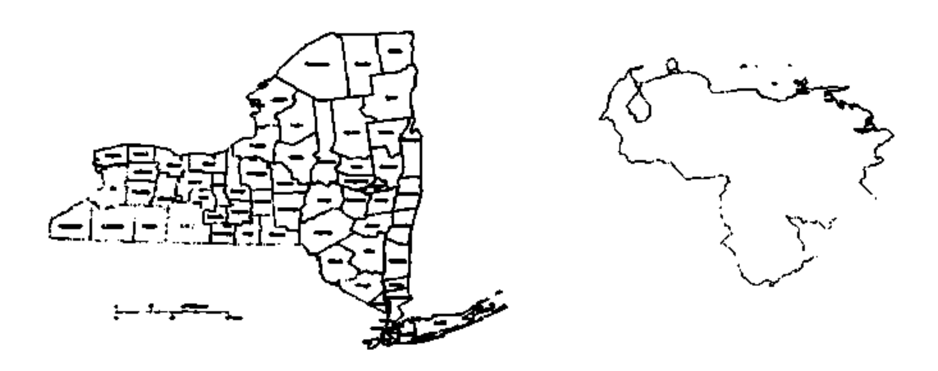
استطاع "ماركيز" النجاة بأعجوبة في أثناء فترة نفيه الذاتي في باريس، ولا تُعينه سوى إرادته العنيدة لكي يصبح كاتبًا مهما كان الثمن، وكذلك المبالغ البسيطة التي أعانه بها بين الحين والآخر أصدقاؤه في "بارانكيا"، وهم مؤسسو "جمعية الأصدقاء لمساعدة جابيتو" – the Society of Friends to Help Gabito، ساعدته على الاستمرار كذلك النقود القليلة التي أرسلتها إليه المجلة الفنزويلية مقابل تقاريره، والتي كان "بلينيو ميندوثا" هو رئيس تحريرها منذ عام 1956.

سيصل الكاتب إلى "كاراكاس" في 23 ديسمبر 1957، لكي يعمل لحساب عدد من المجلات والصحف الفنزويلية، ومن هناك سيسافر إلى كولومبيا. وفي مارس من السنة التالية، سيتزوج "مرسيدس بارشا". أما مجلة "ميتو"، والتي نشرت له من قبل "مونولوج إيزابيل وهي تراقب

المطر ينهمر في ماكوندو" - Monologue of Isabel Watching It Rain in Macondo، فقد نشرت له أيضًا ولأول مرة قصة "الكولونيل لا يجد من يكاتبه". على الرغم من هذا، فإن الكاتب سيستغرق ثلاثة أعوام أخرى حتى يجد الناشر "ألبيرتو أجويري" الذي اشترى حقوق النشر بمبلغ كبير للغاية حينها وقدره ثمانمئة بيزو. وقد وافق على دفع مقدمة قدرها 200 بيزو.

هكذا سارت الأمور، بلا وقوف، ولعدة سنوات، وحتى أسابيع قليلة بعد نشر الطبعة الأولى من رواية "مئة عام من العزلة" والتي عُرضت للبيع أولًا في "بوينس آيرس".





كاراكاس- بوجوتا

هافانا- نيويورك

عاد "ماركيز" إلى أمريكا اللاتينية بعد عامين ونصف العام من رحلته إلى أوروبا كمراسل لصحيفة "إل إسبكتادور". لكن وصوله إلى "كاراكاس" لم يخفف من عبء متاعبه السابقة التي عاناها وهو في القارة العجوز، ولا حتى من عبء المتاعب التي سوف يواجهها في المستقبل، ولكن وسط كل هذا، سُمح له بفترة راحة قصيرة قادته فيها إلى الزواج. بين سقوط نظام حكم "ماركوس بيريث خيمينيث" في فنزويلا في 22 و23 يناير عام 1958، وزيارة "نيكسون" لفنزويلا في 13 مايو من العام نفسه - حدثان تسببا في الكثير من الاحتجاجات والعصيان المدني في كاراكاس – وبين كل هذا، استطاع الكاتب أن يجد وقتًا لأن يرحل إلى "بارانكيا" ويتزوج "مرسيدس بارشا باردو" في يوم الجمعة الموافق 21 مارس في كنيسة "بيربتو سوكورُّو" في إحدى ضواحي "بوسطن"، وهو ما وضع نهاية لثلاثة عشر عامًا من المغازلة، وخطوبة استمرت لأربعة أعوام.

قابلها في حفل راقص للطلبة في "سوكري"، وكانت "مرسيدس" حينها في الثالثة عشرة من عمرها، وقد أنهت لتوها المرحلة الابتدائية. قرر الكاتب منذ أن رآها أن تلك الفتاة هي التي ستكون رفيقته في رحلة الحياة. كانت "مرسيدس" من أصل مصري. وُلد جدها الأكبر في سوريا، وجدها المباشر في الإسكندرية. وكما وصف الراوي في نهاية "مئة عام من العزلة"، عندما تحدث عن جابرييل وحبيبته "مرسيدس"، بأن جمال "مرسيدس" يشبه "جمال ثعبان النيل المتخفي". وفي حياته اليومية، وكلما تحدث الكاتب عنها، أشار إليها بـ"التمساح المقدس". كانا تقريبًا جارين وهما في "سوكري"، ثم رحلت مع عائلتها إلى "بارانكيا"، ثم ما

لبثت وأن التحقت بمدرسة داخلية في "ميديلين"، لذلك لم يريا بعضهما كثيرًا ولم يتح لهما الكثير من الوقت لكي يطورا علاقتهما. على أية حال، كانت "مرسيدس" صبورًا، واحتفظت بمشاعرها لنفسها، وكانت تكتب الرسائل، وتراقب العالم يمر من صيدلية والدها، وانتظرت في صبر.

لكن، ومع تصاعد الأحداث في أمريكا اللاتينية، لم يعد للصحفيين في "كاراكاس" لحظة راحة واحدة. اقترب منهم عقد من الاضطرابات والصدوع السياسية في العديد من الدول. كانت الفترة التي رحبت فيها واشنطن بصعود الدكتاتورية إلى الحكم. إن التاريخ يعيد نفسه لمئتي عام على الأقل. تميز النصف الثاني من خمسينيات القرن العشرين بالعديد من الانتكاسات التي تشبه لعبة الدومينو لعدد من هذه النظم: "خوان دومينجو بيرون" عام 1955 في الأرجنتين، و"مانويل أودريا" في بيرو عام 1956، و"أنستاثيو سوموثا" في نيكاراجوا، كان هو أول من حكم لفترة زادت على الأربعين عامًا، حيث تسلق سُلَّم الحكم الأبدي وظل أعلاه لأربعة وثلاثين عامًا في تلك الدولة الصغيرة في أمريكا الوسطى؛ وفي العام التالي، حان دور "جوستابو روخاس بينيًّا" في كولومبيا، وفي بداية عام 1958، وصلت تلك الموجة إلى "كاراكاس" وهرب "ماركوس بيريث خيمينيث" في رحلة ليلية على متن طائرة إلى "سانتو دومينجو". وفي ديسمبر من العام نفسه، نُفي "فولجينسيو باتيستا" من كوبا بعد أن سيطر على الساحة السياسية لبلاده منذ الحادثة الشهيرة عام 1933 وهي "ثورة رقباء الجيش" – Sergeants' Revolt. وبعد مرور عامين، انتهت تلك السلسلة من القلاقل في جمهورية الدومينيكان، والتي حكمها أكثر النظم الدكتاتورية مثابرة وتمسكًا بالسلطة، حيث نُحِّي رئيسها العنيد المدمن للقوة،

صاحب الخمس نجوم، والذي تخطى كل مثيري الحروب في عدد الميداليات التي منحها لنفسه، الجنرال "رافاييل ليونيداس تروخيو مولينا". بعد 31 عامًا من الحكم المطلق، بدعم غير مشروط وكامل من الولايات المتحدة الأمريكية.

في الوقت نفسه، وفي "كاراكاس" البعيدة، المحاصرة بقوة مترددة، وقبل الفجر بقليل في 23 يناير 1958، شهد الكاتب الشاب منظرًا سوف يتذكره دومًا، وسيكون واحدًا من أكثر أفكاره تطورًا، وظلًّا سيظل يتبعه دائمًا. ومع مرور الوقت، انتهى الأمر بما رآه الكاتب ليصبح كيانًا قويًّا للغاية يطارده دائمًا، لدرجة أنه أصبح النقطة الفاصلة في تكوين ورسم روايته "خريف البطريرك". الرواية التي كتبها بعد مرور سبعة عشر عامًا بعد ما شهده، وتحكي عن عجوز متهالك يمسك بيد فتاة صغيرة عفيفة.

يروي "داسُّو سالديفار" في كتابه عن حياة جارثيا ماركيز "رحلة إلى الأصل" (1977) Viaje a la Semilla (Journey to the Seed) تلك اللحظة عندما كان الكاتب مثل كثيرين من الصحفيين، منتظرًا في غرفة ملحقة بالقصر الرئاسي الفنزويلي أخبارًا عن مستقبل هذا البلد:

"كان الوقت نحو الرابعة صباحًا؛ قضى رجال من الجيش، الذين انقسموا إلى ديمقراطيين ومناصرين للانقلاب، الليل كله يتناقشون في مسألة تكوين المجلس العسكري الحاكم. فجأة، فُتح باب القاعة، ودخل واحد من الضباط الذين ينتمون إلى الجانب الخاسر في المناقشات، وكان يمسك بمسدسه نصف الآلي، ويتراجع خلفًا، وحذاؤه الثقيل يترك خلفه آثارًا من الطين على سجاجيد القصر، وقبل أن يغادر إلى منفاه [...] وفي تلك اللحظة [...] فهمت لأول مرة معنى القوة، وحدست غموضها".

بعد مرور عام تقريبًا، وقع حادث مهم في القارة وسينجح في الاستيلاء الكامل على انتباه "ماركيز". في الثامن من يناير 1959، دخل "فيديل كاسترو" مدينة "هافانا" منتصرًا، ويصاحبه مجموعة من الثوار الرومانسيين الذين استقروا في الأيام الأخيرة من عام 1956 على شاطئ "لاس كولوراداس" على متن السفينة "جرانما". انضم "كاسترو" إلى "حزب الشعب الكوبي" عام 1947، أي قبل اثني عشر عامًا عندما كان لا يزال في العشرين من عمره. وفي العام التالي، شهد "كاسترو" ما حدث في "بوجوتا" عندما أُغتيل "خورخي إليسير خايتان". وصل "كاسترو" إلى بوجوتا قبل ستة أيام من وقوع هذا الحادث مندوبًا عن جامعة "هافانا" لحضور مؤتمر طلابي في الوقت نفسه الذي انعقد فيه مؤتمر الدول الأمريكية.

لم يتصور أحد أن هذين الشابين اللذين كانا في العمر نفسه تقريبًا سينتهي بهما الأمر أن يصبحا في أعوام قليلة من أكثر الشخصيات أهمية في الأربعة عقود التالية. ولد كلاهما عام 1927، فـ"ماركيز" بالكاد يكبر "كاسترو" بخمسة أشهر. لم يعرفا بعضهما حينها، على الرغم من أنهما عاشا الأحداث نفسها وشهدا مظاهر الدمار والتخريب نفسها. سيتقابلان بعد أحد عشر عامًا، عندما دخل "كاسترو" "هافانا" على رأس رجاله، بينما الكاتب، الذي لم يصبح مشهورًا بعد، قد استطاع أن ينهي كتابة "الكولونيل لا يجد من يكاتبه"، وهي أكثر رواياته روعة وكمالًا. سيطلق "بورخيس" على ذلك الأمر: "المصادفة البحتة".

هذا هو ما يتذكره "كاسترو" في تقرير قدمه إلى مجلة "كامبيو" في السابع من أكتوبر 2002، بعد ظهور مذكرات "ماركيز" مباشرة:

"كنت وجابو في مدينة "بوجوتا" في ذلك اليوم الحزين، 9 أبريل عام 1948، عندما اغتالوا الرئيس "خايتان". كنا في العمر نفسه، 21 عامًا، وكان كلانا يطمح في وظيفة في مجال القانون. على الأقل هذا ما آمن به كلانا حينها. لم نسمع إطلاقًا عن بعضنا بعضًا. لم يعرفنا أحد أيضًا، ولا حتى نحن عرفنا أنفسنا".

مثَّل النصر الذي حققته الثورة الكوبية لمعظم سكان أمريكا اللاتينية حدثًا غير مسبوق، وقد فتح الكثير من النوافذ للمستقبل، وخلق الكثير من التوقعات والأمنيات. لم يكن "ماركيز" أو زميله في المغامرات وسوء الحظ في "كاراكاس"، "بلينيو أبوليو ميندوثا". كان كلاهما واعيًا بما يدور في كوبا، وعلى هذا قررا السفر إلى "هافانا" لعدة أيام، لكي يختبرا بنفسيهما الثورة والهياج الشعبي المتزايد هناك، وكذلك مشاهدة أول جلسات المحاكمات العلنية لمجرمي دكتاتورية "باتيستا". بعد مرور عدة أشهر لاحقة، ومن "بوجوتا" سيدعو "بلينيو" الكاتب الذي كان لا يزال في "كاراكاس" حينها، لكي يؤسسا وكالة أخبر الثورة، "برينسا لاتينا" في العاصمة الكولومبية. كانت تلك الوكالة مجرد مكتب في قلب العاصمة، مجهز بـ"تيليكس"، وراديو يعمل أربعًا وعشرين ساعة يوميًا وعدد من الآلات الكاتبة.

ولكي يكتمل سيناريو تلك الأيام غير المستقرة، وقع حدثان آخران في حياة "ماركيز". كان أحدهما عائليًا، والآخر أدبيًا. ففي الرابع والعشرين من أغسطس، وُلد ابنه الأول "رودريجو" - الاسم نفسه الذي ستحلم "أمارانتا" لاحقًا بعدة أعوام بأنه اسم واحد من الأطفال الاثنين التي أرادت أن تلدهما في "مئة عام من العزلة". أمَّا الحدث الأدبي، فكان إقامة أول معرض للكتاب في كولومبيا، والذي روَّج له الكاتب "البيروفي"،

"مانويل سكوربتا". وقد كانت "الأوراق الذابلة" – التي رفض ناشر أرجنتيني نشرها منذ خمسة أعوام - في قائمة أكثر الكتب تعبيرًا عن الأدب الكولومبي. وهو ما حفَّز "ماركيز" لكي يكتب مقالًا شديد اللهجة تحت عنوان: "الأدب الكولومبي، احتيالٌ على الأمة" La literatura colombiana, un fraude a la nación (Colombian Literature, a Fraud on the Nation). أشار الكاتب في مقاله إلى أن العناوين العشرة التي تُعدُّ الأكثر تعبيرًا عن الأدب الكولومبي ما هي إلا كتب احتوت على جهد مئتي عام من العمل المستمر، ومع ذلك، فلم يوجد في كولومبيا ما يستحق بأن يدعوه أحد بالتراث الأدبي. أشار كذلك إلى أن ما ينقص كولومبيا هو الكتاب المحترفون، وأن ما يدعونه بـ"الأدب الكولومبي"، قد كتبه رجال متعبون في إجازات نهاية الأسبوع؛ مع الغياب الكامل لأي نقد أدبي جاد وبنَّاء. باختصار، عملية احتيال على الأمة.

حصل الكاتب على إرشادات ساعدته على تحقيق الوضوح الذي لم يتمكَّن منه في بداياته؛ حيث ألهمته الطبعة الثانية لروايته الأولى ونهاية قصة الكولونيل المتقاعد الذي ينتظر معاشه. كانت تلك الظروف السعيدة هي ما سمحت له، وفي وقت قصير، بالانتهاء من النسخة الأولى من ذلك "المجلد الضخم"؛ وهو عبارة عن مجموعة هائلة من الأوراق التي كتبها والتي ربطها جيدًا معًا بخيط سميك واصطحبها معه في كل مكان. حينها بدأ الكتابة المنتظمة للمجموعة القصصية "جنازة الأم الكبيرة" – Big Mama's Funerals.

هل كان ذلك "المجلد الضخم" - الشهير - هو المسودة الأولى للرواية التي حكى فيها عن الملصقات الساخرة، والتي توقَّف عن كتابتها عندما كان في

باريس وهو في العشرين كي يُكمل كتابة قصة الكولونيل المتقاعد؟ غالبًا، هذا هو ما حدث، لأن الجزء الذي تركه من تلك المسودة رهنًا حتى يدفع إيجار غرفته في ذلك الفندق الرث بـ"بارانكيا"؛ كانت هي المسودة نفسها التي أطلق عليها أحدهم عنوان: "لقد انتهينا بالفعل" "We Have Already Cut the Hay"، والتي أحيانًا ما أشار إليها "ماركيز" بعنوان "المنزل" – The House. إذًا، لا بدَّ أن هذه المسودة هي ما وضعت حدًّا لتردده في نشر " الأوراق الذابلة" - Leaf Storm. يمكننا أن نستنتج من كل ذلك أن ذلك "المجلد الضخم" كان في الأصل مسودة "في ساعة نحس" – La Mala Hora – In Evil Hour والتي حازت عام 1962 "جائزة إيسو للرواية" – the Esso Novel Prize.

تشابهت حياة الكاتب مع بداية الستينيات؛ حيث سيطرت عليها حالة من التوتر وعدم الاستقرار. لم يمتلك "ماركيز" الوقت للقيام بأي شيء آخر سوى الاهتمام بعمله المتنامي في وكالة الأخبار، وبعائلته المستمرة في النمو، ووضوح الرؤية الذي بدأ يشعر به في عمله الأدبي. على الرغم من ذلك، وقبل نهاية العام، عاد الكاتب إلى "هافانا" لكي يتلقى التعليمات وللحصول على بعض التدريبات كي يؤسس فرعًا آخر للوكالة الإخبارية "برينسا لاتينا" – Prinsa Latina في بلد آخر. وهناك، قابل "رودولفو وولش"، وهو كاتب أرجنتيني مخضرم، أبلغ "ماركيز" عن اختفائه بعد أن تعارفا بعشرين عامًا للمجلس العسكري الأرجنتيني؛ لكن بلا جدوى، لأن "وولش" قد سقط ضحية للنظام العسكري الخسيس. عندما كانا في "هافانا"، عملا ليلًا ونهارًا لكي ينشرا أخبار الثورة؛ لمواجهة سيل البرقيات الإخبارية التي أرسلتها وكالات الأنباء الأمريكية.

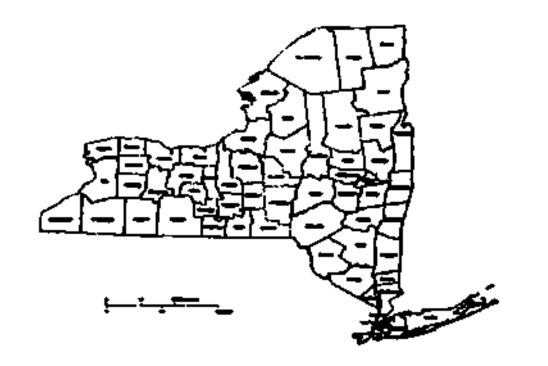
"كان العمل في وكالة "برينسا لاتينا" كثيرًا جدًّا؛ حيث استمر لأربع وعشرين ساعة يوميًّا، لدرجة أنه في إحدى المرات، تجرأ "ماركيز" بالتعليق بكل لباقة وحنكة أنه "لو أن شيئًا سيصيب تلك الثورة بالفشل، فإن ذلك الشيء سيكون فواتير الكهرباء".

كانت "مونتريال" هي الوجهة المفترضة الجديدة للكاتب الشاب وعائلته لكي يؤسس فرع الوكالة الإخبارية الجديد هناك. قبيل ذلك بعدة أسابيع، سافر ثلاثتهم - "مرسيدس"، و"رودريجو"، و"ماركيز" - من كوبا إلى "نيويورك" في انتظار الفيزا الكندية، والتي تمنى ألَّا تتأخر عليهم لأكثر من شهرين؛ لكنها لم يحصلوا عليها قطُّ. فجأة، تحوَّل عالمه إلى غرفة صغيرة في فندق بمنطقة "مانهاتن" ومكتب كئيب في مجمَّع "مركز روكفلر"؛ حيث فرع الوكالة في الولايات المتحدة. استقال "ماركيز" في إصرار منه للعودة إلى امتيازات الحياة الأدبية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ملل الانتظار، أو لأنه لم يشعر بالراحة مع كل تلك الأسرار التي أحاطت بالمشهد السياسي الكوبي. وقد وصف تلك الرحلة التي ترك فيها الولايات المتحدة الأمريكية في عمود صحفي تحت عنوان "العودة إلى المكسيك":

"[...] قبل أن أبدأ العمل مراسلًا في فرع الوكالة الإخبارية الكوبية في نيويورك، لم أرَ في حياتي وظيفة تماثلها في خطورة تعرضي للاغتيال في أي وقت [...] لم أتحمَّل الوضع، فحملنا "رودريجو"، وأخذنا أول باص متجه إلى الجنوب [...] حينها، كان كل شيء جنونيًا، وقد أحببنا ذلك الجنون: حاولنا الوصول إلى كولومبيا عن طريق عبور حقول القطن

والمدن التي تتكون من أغلبية من السود في الولايات المتحدة. كان مرشدي الوحيد هو ما نذكرته من روايات "ويليام فوكنر".

هكذا كان الأمر؛ استقل "باص" تابعًا لشركة "جراي هاوند" هو، و"مرسيدس"، و"رودريجو"، ومعهم ثلاثمئة دولار في طريقهم إلى جنوب هذا البلد لكي يرى بنفسه المناظر والأجواء التي قرأها في روايات أستاذه الذي فاز بجائزة نوبل في الآداب عام 1949.







إن المسكيك..

في نهاية الجنوب

تطلبت الرحلة إلى جنوب الولايات المتحدة الوقوف في عدة محطات على الطريق، مثل "نيو أورلينز". المكان الآخر الذي نعرف أنه توقف فيه هو مدينة "لاريدو" التي تقع على الضفة الشمالية لنهر "ريو جراند"، وعلى الحدود مع المكسيك. كانت تلك العائلة لتستمتع بزيارة العديد من المدن التي تشكِّل القوس بين هاتين النقطتين من خليج المكسيك. من المُرجَّح أن "ماركيز" لم يزر "أكسفورد" ولا "نيو ألباني" - جنة فوكنر الريفية - التي تقع شمالًا، وأنه عبر نهر "المسيسيبي" إلى الجنوب، كي يصل بشكل مباشر إلى "نيو أورلينز". ربما حتى يكون المرء محقًّا في ظنه بأن "ماركيز" مر بمدينة "موبيل" بولاية "ألاباما" قبل أن يصل إلى مسقط رأس "فوكنر" في الجنوب، وقد نبع ذلك الظن من أن المدمرة الكولومبية "كالداس" وعلى ظهرها البحَّار "لويس أليخاندرو بيلاسكو" كانت قد غادرت من هناك في بداية عام 1955.

وصل "ماركيز" ومعه "مرسيدس"، و"رودريجو" بالقطار إلى "مكسيكو سيتي" يوم الأحد الموافق الثاني من يوليو عام 1961. كان "ألبارو موتيس" في انتظارهم في المحطة. في اليوم نفسه، أطلق "إرنست همنجواي" النار على نفسه برصاصة من بندقية وضعها في فمه؛ في تمام الساعة السابعة والنصف صباحًا في منزل بعيد في مدينة "كيتشوم" بولاية "أيداهو". أُعجِب به "ماركيز" عندما لمحه سريعًا منذ عدة سنوات عندما كان في باريس ويتمشى في "بولفارد سان ميشيل". وهكذا، وبعد أسبوع من وصول "ماركيز" إلى العاصمة المكسيكية، نُشر له مقال في المجلة الأدبية المكسيكية عن "همنجواي" تحت عنوان: "مات رجل ميتة طبيعية". كتب فيه أن الإرث الأدبي لذلك الكاتب

الأمريكي سيظل حيًا في تاريخ الأدب، ليس بسبب مهارته الأدبية، ولكن لأنه تمكَّن من فهم الطبيعة البشرية، وهذا على الرغم من أنه اعتُبِر أقل شأنًا من "فوكنر"، بل وأقل من آخرين من مشاهير "الجيل الضائع".

عانى الكاتب وعائلته بعض العقبات في محاولتهم للاستقرار في ذلك البلد الجديد. على الرغم من أن الصفة التي ميزت "مكسيكو سيتي" لم تكن كثرة السكان حينها – والتي أصبحت كذلك في القرن الواحد والعشرين – فقد كان تعداد السكان مع ذلك أربعة ملايين نسمة، وقد كانت على وشك أن تخسر إلى الأبد ذلك الضوء الذي لا مثيل له، والذي سمح لمذيعي الراديو بالإعلان بفخر أنها "المدينة ذات الهواء الأكثر نقاءً". من ناحيتها، لم تبدُ السلطات مهتمة للغاية بالمهاجرين؛ لذلك كان الحصول على تصريح عمل يحتاج إلى صبر لا نهاية له، مع متاعب الوقوف في طوابير طويلة بدت وكأن لا نهاية لها. كان "ماركيز" محظوظًا للغاية لأنه تقابل مع "ألبارو موتيس"، والذي كان قد وصل إلى العاصمة المكسيكية قبل خمس سنوات، وتمكَّن من تكوين علاقات مع مجموعة كبيرة من العاملين في مجال الفنون، والأدب، والسينما، والثقافة. كان "موتيس" قد قضى سنة وثلاثة أشهر في السجن بعد أن اشتكته جريدة "مقال كولومبيا" – Esso of Colombia، لأنه كان يأخذ من أموال الإعلانات الخاصة بالجريدة لكي يساعد كل من احتاج إلى مساعدة. عندما وصل "ماركيز" إلى المكسيك، كان قد مر على خروج "موتيس" من سجن "ليكومبيري" سنة ونصف السنة. تمتع الرجل بحريته الجديدة، وبدا وكأنه كان يبدأ حياة جديدة. تذكرت الكاتبة الإسبانية "ماريا لويزا إليو" بعد أربعين عامًا في مقابلة مع مجلة "كامبيو" في السابع من أكتوبر عام 2000 تحت عنوان "ذاكرة أوركيدا استوائية":

"اتصل بي "ألبارو موتيس" في إحدى الليالي، وقال لي: "تعالي لتناول العشاء في منزلي، لأنني في انتظار صديق يزور "مكسيكو سيتي" لفترة قصيرة". كان هناك الكثير الذي وجب أن يتم من أجل نشر - ومن أجل حتى كتابة - "مئة عام من العزلة". كان الحضور في بيته ليلتها هم "كارمن"، و"ألبارو"، وزوجي "چومي جارثيا أسكوت"، وأنا. أخيرًا، فُتح الباب، ودخل منه "جابو" وقد كان حينها شابًا صغيرًا للغاية ونحيلًا. قدَّمه "موتيس" لنا، ثم قال له بعد فترة: "احكِ لنا قصة يا جابو". لكن "جابو" كان محرجًا قليلًا. في النهاية، حكى لنا - بخجل وعلى مضض - قصة تلك السفينة التي شاهدها قبل فترة، لا أعلم أين بالضبط، وأنها في "مئة عام من العزلة" تظهر في منتصف الغابة. أخبرنا كذلك أنه في عصر أحد الأيام، في بلدته، أمطرت السماء وردًا. إنني من "بامبلونا". إنني ابنة حرب مرت بمواقف رهيبة في الفترة التي تلت انتهاء الحرب؛ لذلك سألته: "ما الذي تعنيه بأن السماء أمطرت وردًا؟"، أجابني: "نعم، أمطرت السماء وردًا بدلًا من أن تمطر ماءً". عندما أجابني بذلك، شعرتُ وكأنني أتحدث مع شخص قادم من عالم آخر؛ وكأنه هو ذلك الغجري الذي باع المغنطيس لخوسيه أركاديو بوينديا".

كانت واحدة من أولى الوظائف التي اشتغلها "ماركيز"، والتي ساعده أصدقاؤه للحصول عليها، هي أن يجمع عددًا من الأخبار الصحفية والتي أذاعها فيما بعد على إذاعة "راديو أونيبيرسيداد". ساعده "ألبارو موتيس" بعد ذلك بقليل على أن يحصل على وظيفة إدارة مجلتين تابعتين لـ"جوستابو ألاتريستي" وهما مجلة "لا فاميليا" – العائلة – و"كوينتوس بارا تودوس" – قصص للجميع. كان الشرط الوحيد لكي يبدأ العمل هو ألا يظهر اسمه في قائمة العاملين، ولا أن يوقع باسمه على أي مقالة. كانت كلتا

الصحيفتين ذات توجهات مختلفة؛ اهتمت الأولى بنشر الإشاعات - نوع من الصحف الصفراء حينها - واهتمت الأخرى بأخبار الجرائم العنيفة. وفي الوقت الذي استمر فيه "ماركيز" بمحاربة مخاوفه، اتسعت دائرة أصدقائه، لحسن الحظ؛ حيث تعرَّف إلى بعض من أصدقاء "موتيس"، مثل "أوكتابيو باز"، و"كارلوس فوينتس"، "وخوان خوسيه أريولا"، و"خايمي جارثيا تيريس"، و"فيرناندو بينيتيث"، و"بينسنت روجو"، و"رامون زيراو"، و"چومي جارثيا أسكوت"، و"ماريا لويزا إليو"، و"إيلينا بونياتوسكا"، و"خوسيه دي لا كولينا"، و"لويس بونيويل"، و"خوان رولفو".

حينها، كان "ماركيز" قد ألَّف بالفعل عددًا لا بأس به من الكتب، لكن لم يُنشر منها شيء، مثل: "الأوراق الذابلة" و"الكولونيل لا يجد من يكاتبه" و"جنازة الأم الكبيرة"، والتي كتبها عندما كان في "بوجوتا"، وكذلك "في ساعة نحس" والتي أصبح لها أخيرًا نسخة أولى صالحة للنشر. على أية حال لم يكن كل ذلك هو أصل المشكلة:

"إن مشكلتي الكبرى ككاتب روائي هو أنني شعرت وكأنني قد وصلت إلى طريق مسدود بعد أن انتهيت من كتابة تلك الروايات - والتي لم تحقق حتى أي مبيعات، بل وبعضها رفضه ناشرون لا يريدون المخاطرة. حاولت أن أجد منفذًا بأي طريقة لكي أهرب من كل ذلك [...] أحسست بأنني ما زلت أريد أن أكتب الكثير من الكتب، ولكن لكي أكتبها، كان عليَّ أن أتمكن من خلق أسلوب شاعري ومقنع، لكنني كنت عاجزًا عن ذلك".

(حنين قصير لخوان رولفو، 7 ديسمبر 1980).

صرَّح بعد مرور عدة أعوام وهو بصحبة "ماريو بارجاس يوسا"، بأن العديد من المؤلفين الذين وُلدوا بين 1900 و1940 كانوا على دراية بأن أساليب الكتابة الإسبانية لا فائدة تُرجى منها، وكذلك الحال مع الأساليب الفرنسية، والألمانية، والإنجليزية؛ فهم لم يتمكنوا من استخدامها لتليق بواقعهم المحلي، والذي لكي يتمكنوا من التعبير عنه بشكل مقنع، وجب على لغتهم أن تكون شاعرية ومقنعة، لكي تتمكن من التعبير - مثلًا - عن واقع الحياة في أمريكا اللاتينية. كانت مساعدة "ألبارو موتيس" له منحة إلهية؛ لعائلته وله، فهو لم يتمكن من الاندماج مع الوسط المكسيكي. كان لا يزال يكافح لكي يصبح كاتبًا، ويكافح في الوقت نفسه شياطينه. كتب:

"في تلك الأيام، عندما صعد "ألبارو موتيس" الطوابق السبعة حتى شقتي ومعه حزمة من الكتب، ثم أخرج منها أقل كتاب في عدد الصفحات، وقال وهو يضحك بشدة: "توقف عن إضاعة الوقت، واقرأ هذا الكتاب. ربما تتعلم منه شيئًا ما". كان الكتاب هو "بدرو بارامو" لـ"خوان رولفو".

لم أستطع النوم قبل أن أنهي قراءة الكتاب للمرة الثانية تلك الليلة. لم أصدم هكذا منذ أن قرأت "المسخ" لـ"كافكا" والتي قرأتها عندما كنت مقيمًا ببيت طلاب كئيب في "بوجوتا" منذ عشرة أعوام تقريبًا. في اليوم التالي قرأت له أيضًا "السهل يحترق"، ولم يتغير إعجابي به".

كتب "ماركيز" ذلك في أحد عواميده تحت عنوان "حنين قصير لخوان رولفو" والذي - لسبب ما مجهول - حُذف من كل طبعات أعماله الصحفية المجمعة. أثَّرت كتابات ذلك الكاتب المكسيكي في "ماركيز"، وكانت بمنزلة وحي ونوع من التجلي والإدراك الحسي.

أمَّا بالنسبة إلى رواية "في ساعة نحس" - أطلق عليها "ماركيز" في البداية عنوان "في تلك المدينة القذرة"- فقد عمل على تحسينها في الفترة التي عانى فيها ماليًا، وقد أصبحت جاهزة للنشر بعد رحلة طويلة بدأت من باريس، ومرت بـ"كاراكاس"، و"بوجوتا"، ثم "نيويورك"، وأخيرًا انتهت في "مكسيكو سيتي"، ولكن، واجهته مشكلة. أراد "ماركيز" أن يعثر على دار نشر توزِّع إصداراتها في القارة بأكملها، إضافة إلى أنه أرادها أن تصدر في الوقت نفسه بأكثر من لغة. في ذلك الوقت، أعلنت "مقال كولومبيا" – " Esso of Colombia" عن مسابقة كانت لها سمعة جيدة على مستوى كولومبيا، كانت تلك الجائزة هي "جائزة إيسو للرواية". أقنعه "جييرمو أنجولو" و"ألبارو موتيس" أن يتقدم للجائزة بـ"في ساعة نحس". فازت الرواية بالجائزة، ولكن حدث شيء رفضه "ماركيز" تمامًا. كان جزء من الجائزة أن تُطبع الرواية وتُوزَّع في إسبانيا، وهناك، قرر الناشرون أن يغيروا من أسلوب "ماركيز" تمامًا، وأن يجردوها من لغتها العامية التي ميزتها. رفض "ماركيز" تلك الطبعة، واعتبر الطبعة التي نشرتها "إيديسيوني إيرا" بعد أربع سنوات هي الطبعة الوحيدة والأولى للرواية. وفي صفحة حقوق التأليف والنشر التي صدرت في المكسيك، كتب "ماركيز" الآتي:

"في المرة الأولى التي نُشِرت فيها "في ساعة نحس" عام 1962، أعطى محرِّر ما الحرية لنفسه كي يغيِّر بعض المصطلحات بهذه الرواية تحت ادعاء الحفاظ على نقاء اللغة؛ وبقيامه بذلك أصاب أسلوبي بالجمود. وبهذه المناسبة، سمح المؤلف لنفسه باستعادة تلك الأخطاء

الاصطلاحية وذلك الأسلوب البربري، باسم جلالته وإرادته النافذة. إن هذه إذًا هي الطبعة الأولى من رواية في ساعة نحس".

على الرغم مما حدث مع الطبعة الإسبانية، فكان لدى الكاتب ما يكفيه من الأسباب كي يكون سعيدًا؛ فمع صدور "الكولونيل لا يجد من يكاتبه"، و"في ساعة نحس"، وجد "ماركيز" حلًّا فعالًا لأكثر المسائل حساسية له وللأدب الكولومبي في القرن العشرين: المسؤولية التي تقع على عاتق الكاتب لكي يصف الحقيقة كما يراها، ودوره في أن يشعر قراؤه بأنه ينتمي إليهم وأنه مثلهم، وسلوك أولئك الذين يكتبون في بلدٍ ليس له تراث أدبي، ولا خيال يقف في مواجهة الحياة اليومية، وفي مواجهة الأوجه العديدة للدراما البشرية. كان - قبل ثلاث سنوات - قد وجد حلولًا نظرية لتلك المشكلات؛ حيث كتب عنها في مقال عنوانه "اثنان أو ثلاثة أشياء عن الروايات التي تتطرق لموضوع العنف".

يجب أن نضيف إلى تلك الروايتين، مجموعة القصص القصيرة في "جنازة الأم الكبيرة" والتي نشرتها جامعة "فيراكروز". في السادس عشر من أبريل عام 1962، وُلد ابنه الثاني. سمَّاه "جونثالو"، وهو الاسم الثاني الذي ستحلم به "أمارانتا" وستعطيه لأحد أبنائها في "مئة عام من العزلة". كان "ماركيز" واثقًا من أن إرسال روايته إلى النقاد، والصحف، وتوزيعها على منافذ البيع سوف يخرجه من خانة الكاتب المجهول.

كان توزيع الكتب في تلك الأيام - وما زال حتى اليوم - واحدًا من المآسي التي يجد المؤلفون، والناشرون، والقراء أنفسهم مجبرين على مواجهتها. لهذا السبب تطلب نشر كل أعماله بعد "مئة عام من العزلة" مجهودًا شديدًا لكي يصدر كل عمل في تاريخ مناسب، وكذلك أن تُرسل مقتطفات وفصول من أعماله إلى

مختلف البرامج والصحف لكي يتحدث عنها الإعلاميون والمشاهير، وأيضًا، أن تُوزَّع في جميع المكتبات، إلخ، لكي يحصلوا على انتباه القرَّاء الكامل أسابيع قبل أن يُنشر أي شيء. ومثل أي منتج يوزَّع على مستوى العالم، فإن عملية النشر كذلك معقدة ودقيقة؛ حيث يعتمد مستقبل الكتاب على رد الفعل الأولي له.

كان حب "ماركيز" للسينما من الأمور التي ظلت معلقة في تلك السنوات، والتي أراد أن يجد له منفذًا قبل أن يبدأ في كتابة "مئة عام من العزلة". كان مؤمنًا أن لعالم السينما قوة هي الأفضل في التعبير عن حياة الإنسان المعاصر والمواقف الدرامية التي يعيشها، وأنها بالتالي أفضل أداة للتعبير عن العالم الثائر بداخله. كانت الفرصة الأولى التي سنحت له كي يعمل في مجال السينما المكسيكية، والتي شارك بها الكثير من أصدقائه، هو الفيلم الذي اقتُبس من "الديك الذهبي" - El Gallo de oro/ The Golden Cockerel من تأليف "خوان رولفو". وهكذا، ترك عمله في الإعلانات، وفي إدارة مجلات "جوستابو ألاتريستي"، وركَّز كل جهده في كتابة السيناريو. كتب المسودة الأولى سريعًا، لكن المنتج "مانويل بارباتشانو بونس" لاحظ شيئًا اعتبره ضعفًا في النص؛ كان الحوار كولومبي النزعة وليس مكسيكيًّا. في تلك اللحظة، انضم إلى فريق العمل "كارلوس فوينتس"، والذي كان بالفعل روائيًّا مشهورًا، ومن أعماله: "المنطقة الأكثر شفافية" - La region más transparente/Where the Air is Clear، و"موت أرتيميو كروث" - La muerte de Artemio Cruz /The Death of Artemio Cruz. اشترك كلاهما في حبهما لأعمال "رولفو"، لدرجة أنهما حاولا في وقتٍ لاحق أن يحولا روايته "بيدرو بارامو" إلى فيلم. على الرغم

من أن التعاون الأول لهما كان ناجحًا، فقد فشل الثاني بسبب تدخلات المخرج الكثيرة وأهواء المخرج، لدرجة أنهما قررا ألا يكملا الأمر.

انشغل أكثر بالسينما، عندما اقتُبس أحد الأفلام من قصة له عنوانها "لا لصوص في هذه المدينة" – /En ester pueblo no hay ladrones There are no Thieves in this Town، وهو نفسه كتب سيناريو لفيلم عنوانه "حان الوقت الموت" – Tiempo de morir/Time to Die، والذي أخرجه المخرج المكسيكي "أرتورو ربستاين" لأول مرة عام 1965، ثم المخرج الكولومبي "خورخي آلي تريانا" عام 1982. مثَّل "ماركيز" وعدد من أصدقائه في هذا الفيلم. أدى "ماركيز" دور عامل شباك التذاكر؛ و"لويس بونويل" في دور القس؛ و"خوان رولفو" و"كارلوس مونسيياس" في دور لاعبي الدومينو؛ و"خوسيه لويس كويباس" و"إيميليو جارثيا ريبرا" في دور لاعبي البلياردو. اشترك معه "كارلوس فيونتيس" مرة أخرى في كتابة الحوار. انتهت تلك التجربة السينمائية عندما عُرض على "ماركيز"، و"لويس ألكوريثا"، و"لويس بونويل" وظيفة كتابة السيناريوهات براتب ثابت. أخرج "ألكوريثا" عددًا من الأفلام، مثل: "الميكانيكيون القوميون" National Mechanics، وكذلك فيلم "بريساجيو" – Presagio/Presage (1974)، وكتب عددًا من السيناريوهات مثل "هيكل السيدة موراليس العظمي" – The Skeleton of Mrs. Morales. لم يلبث "ماركيز" أن استقال من تلك الوظيفة، بعد أن أدرك أن السينما ليست سوى صناعة تجارية، وأنه لن يحصل على الحرية التي أرادها عند العمل بها، وأن كاتب السيناريو ما هو

إلا ترس صغير في هذه الماكينة الضخمة، وأنه لا هوية له ولا شيء يميزه عن غيره، إضافة إلى أنه دائمًا تحت رحمة المخرج وأهوائه.

أصبح "ماركيز" حرًا من "التشتت" بعد أن خاض تجربة السينما، وتقبَّل حقيقة أنها لن تقدِّم له الإمكانيات التي ظن عندما كان في روما - بل وقبل ذلك - بأنها ملك له. وهكذا تقبَّل حقيقة أن الكتابة لا بديل لها. كان الحل بسيطًا للغاية: "اكتب حتى لا تموت".

"اكتب حتى لا تموت".. حتى ولو ظل مجهولًا؟ لا، ربما لم يكن هذا هو المعنى الذي قصده "ماركيز". وقع حدثان خلال تلك الأعوام، خرجا به من مظلة عدم التعرف عليه أو الاهتمام به - على الأقل من جهة الناشرين والقراء - وأكسبته في وقت أقصر مما توقع الشهرة والتقدير. كان أوَّل حدث هو مقابلته مع الكاتب التشيلي "لويس هارس" الذي قرأ بعضًا من كتب "ماركيز" التي نُشرت حتى ذلك الحين. الحدث الثاني كان "كارمين بالثيلس"، وهي وكيلة أدبية كتالونية، وقد تعرَّف إليها قبل أن تصبح واحدة من أهم أعلام نشر كل ما هو مكتوب باللغة الإسبانية عالميًا؛ حيث مثلت مئات الكتَّاب. وقد تمكنت من الإحساس بموهبة "ماركيز" الأدبية الساحرة والتي ستظهر في وقت قصير. تقابلا عام 1965، وظلت وكيلته الأدبية الرسمية حتى ثلاثة أعوام مضت.



كهف المافيا

هناك العديد من القصص والحكايات التي نُسجت حول رحلة كتابة "مئة عام من العزلة"، أعظم رواياته، على الرغم من أن "ماركيز" نفسه له تفضيلات أخرى. تتراوح هذه القصص بين قصص اخترعها "ماركيز" عندما تحدث عن "مئة عام من العزلة" - كما فعل دائمًا - والصحفيون يحاصرونه، خصوصًا بعد أن حققت الرواية المركز الأول في المبيعات، والقصص التي حكاها أصدقاؤه، وأخرى لمحللي الرواية ودارسيها، ولكاتبي السيرة الذاتية. وإذا أضفت إلى كل هؤلاء المقالات المكتوبة عنه، والأطروحات التي تُكتب للحصول على درجات جامعية، وكذلك المقابلات الصحفية، ستجد أن عدد تلك القصص قد أصبح خياليًّا ومثيرًا للحيرة.

تقود مثل هذه الظروف إلى حدوث مواقف غير مألوفة، مثل تلك التي عاناها الرجل العجوز لكن الصامد في رواية "خريف البطريرك"، مع حبه الذي لا نهاية له للسلطة. في موقفٍ ما، نراه وهو يُنقل في موكب سيارات، ولكن السيارات كانت تسير بترتيب مختلف عمَّا هو معتاد، فينتهي به الأمر فاقدًا الإحساس بالواقع، لدرجة أنه لم يعد يدري أي سيارة يركب. شيء مشابه لهذا يصيب قرَّاء "ماركيز" عندما يضعون رواياته جانبًا، رغبة منهم في معرفة المزيد عن الكاتب الكولومبي نفسه.

حدث الأمر نفسه بدرجة أقل لأولئك الذين يحكون قصة كتابة رواية "مئة عام من العزلة"، والظروف التي مر بها "ماركيز" في أثناء كتابتها، ومحاولاته لإنهائها في العام الذي سبق نشر الرواية. هذا يعني العامين ما

بين منتصف عام 1965 حتى 5 يونيو 1967، وهو التاريخ الذي عُرِض فيه الكتاب للبيع في العاصمة الأرجنتينية.

الكتابة الفعلية لهذه الرواية كانت بين هذين التاريخين، لكن البعض يعارض بالقول إنها استغرقت من ماركيز ثلاثين شهرًا تقريبًا؛ في حين يؤكد "ماركيز" أن كتابة الرواية استغرقت ثمانية عشر شهرًا؛ بدأت من أول أكتوبر صباحًا، ويدعي آخرون أنه لم يبدأ فيها مبكرًا مثلًا في يناير، ولا متأخرًا في شهر أكتوبر. لكن لو أنه استغرق في كتابتها ثمانية عشر شهرًا أو أربعة عشر، فما الذي يهم في ذلك؟

إذًا فالواقعي أكثر هو أن نصدق ما صرَّح به المؤلف، حتى ولو لو يكن هذا هو ما حدث فعلًا: ظل لثمانية عشر شهرًا حبيس منزله في غرفة المعيشة التي حوَّلها إلى استديو، عُرف هذا المكان وسط أصدقائه باسم "كهف المافيا".

استلزم الأمر منه سنة ونصف السنة؛ لكي يدرك أن اللغة الشعرية والواقعية التي ستناسب روايته هي تلك التي تحدثتها جدته "مينا" عندما كان يخطئ فتعاقبه بأن تقيده في مقعد في أحد أركان المنزل في "أراكاتاكا"، فيجلس هناك وحوله تماثيل القديسين مراقبة له. كانت الطريقة نفسها التي تحدثت بها العمة "فرانسيسكا سيمودوسيا ميخيا" وهي تشرح له أن البيضة الفاسدة هي في الحقيقة بيضة ثعبان وأنهم لا بدَّ وأن يحرقوها في الفناء. ربما كانت اللهجة والوجه الجامد هما نفسهما اللذان تقمصهما جده الكولونيل "نيكولاس ريكاردو ماركيز ميخيا" (باباليلو)، عندما أراه البحر للمرة الأولى وهو ولد صغير وسأله "ما الذي يوجد على الشاطئ الآخر؟"، فجاء رد جده أنه "على الجانب الآخر، لا

يوجد أي شاطئ". إنها اللهجة نفسها التي كتب بها كافكا الجملة الأولى لروايته "المسخ"، أو "رولفو" في روايته "بيدرو بارامو".

تسلمت "مرسيدس" مسؤولية إدارة المنزل بالكامل بالخمسة آلاف دولار التي أعطاها لها "ماركيز"، كما باعت السيارة التي اشتروها بأموال الجائزة التي حصل عليها "في ساعة نحس"، لتنفق على المنزل. بعد مرور عام ونصف العام، وبعد أن انتهى ما معها من أموال، اضطرت "مرسيدس" إلى أن تلجأ إلى مصادر أخرى؛ مثل إقناع الجزار وصاحب البيت بأن تتعامل معهما بالأجل. وبحلول الوقت الذي انتهى فيه "ماركيز" من كتابة الرواية، كانا في حالة مادية صعبة لدرجة أنهما اضطرا إلى أن يقسما صفحاتها الستمئة إلى نصفين، ثم رهنا آخر ما يمتلكان من أثاث منزلي لكي يتمكنا من إرسالهما إلى بوينس آيرس. تذكَّر "ماركيز" تعليق "مرسيدس" المقتضب بعد إرسال النصفين، حيث قالت: "لا ينقصنا الآن سوى أن تفشل هذه الرواية".

يختلف أسلوب الكتابة من مؤلف لآخر؛ فمثلًا نجد أن "هيمنجواي" فضَّل أن يكتب وهو واقف على قدميه، وأن يكتفي بنقل وزنه من ساق إلى أخرى، وعندما سُئل عن سبب قيامه بذلك أجاب: "كي أتعب سريعًا فلا أكتب أي هراء". أمَّا "فوكنر"، فقال إن كل ما يحتاج إليه هو الورق، والقلم، والويسكي، والسجائر. أمَّا "ماركيز" فكانت لديه طريقة عملية وفعَّالة ساعدته على أن يظل متصلًا بالقصة وألا يفقد ترابطها أو زخمها. كانت إحدى الصعوبات التي واجهته في أثناء كتابته "مئة عام من العزلة" هي أن يربط ما كتبه في الليلة السابقة بما سيكتبه صباح اليوم التالي. لذلك توصل إلى أن الطريقة الوحيدة التي ستساعده على الربط بين كل شيء هو ألا يكتب كل ما لديه من

أفكار مرة واحدة، وهو شيء مشابه لإستراتيجية "هيمنجواي" الذي جادل بالقول إنه ليس من الحكمة أن "تُفرغ البئر ماءها"، أو أن يلقي بكل ما لديه على الورق. وهو ما فعله "ماركيز"؛ لم يكتب كل ما لديه من أفكار وأحداث، اكتفى بكتابة أفكاره المكتملة، لكي يستطيع أن يركّز بعدها على جعل الأفكار الأخرى المتناثرة داخله متكاملة وصالحة للكتابة. وبهذه الطريقة، استطاع الكاتب الكولومبي صاحب الـ"نوبل" أن يكتشف وسيلة فعّالة ورائعة: بعد أن يظل يكتب لست ساعات صباحًا، يتوقف عن الكتابة في فترة الظهر ليستريح. بعدها يصحح ما كتبه صباحًا بخط اليد. ثم يعود إلى الكتابة بعدها حتى وقت متأخر من الليل، ثم يتوقف مرة أخرى ويعود إلى العمل مجددًا صباح اليوم التالي. وفي الصباح التالي يطبق كل التصحيحات والملاحظات التي كتبها يدويًا في اليوم السابق، وبعدها يبدأ عمل اليوم الجديد بسلاسة نسبية.

كانت هذه هي طريقته في العمل على الرواية التي ستجلب له الشهرة والمجد. وفي المساء، عندما كان أصدقاؤه يأتون لزيارته، اعتاد إخبارهم بمدى تقدمه في العمل، أو التحدث عن الشخصيات التي أحبها أكثر. في الأيام التي تلت ذلك، كان "موتيس" يحكي بحماس لأصدقائهما المشتركين عن تفاصيل وحكايات مختلفة عن الرواية، لذا ففي النهاية، أصبح هناك نسختان من الرواية؛ تلك التي كتبها "ماركيز"، والثانية التي حكاها "موتيس" في اليوم التالي. في مقابلة أجرتها "ماريا لويزا إليو" مع مجلة "كامبيو"، قالت:

"ذهبنا إلى محاضرة لـ"كارلوس فوينتس"، ألقاها مباشرة قبل رحيله إلى أوروبا: كان "جابو" معنا، و"مرسيدس"، و"ريتا ماسيدو"، و"كارمن"، و"جومي"، وأنا. قال "ألبارو": "أعدت زوجتي الأرز الكاتالوني، تعالوا إلى منزلي للعشاء".

حينها بدأ "جابو" يتحدث عن رواية كان يكتبها. وصفها بأنها ستصبح رواية لا مثيل لها، كبيرة للغاية، ومن عالم آخر. لطالما عُرفت بين أصدقائي بأنني متنبئة لا يُشق لها غبار، كنت دائمًا ما أستطيع التنبؤ بالفائز في أي شيء. في تلك اللحظة، وفي أثناء استماعي له يتحدث، أخبرته: "إذا كنت تكتب رواية بتلك المواصفات، فإن العالم فسيتغير العالم كما نعرفه. إذا كتبتها، فستصبح الرجل الذي أعاد كتابة الإنجيل". سألني "جابو" حينها: "هل تعجبك فكرة الرواية؟"، أجبته: "أعتقد أنه كتاب رائع"، فعقّب قائلًا: "إذًا، فسأهديه لكِ".

إن "ماركيز" لم يكتب مجرد رواية، بل إنه شن حربًا كانت قد بدأت منذ عشرين عامًا سابقة له، وكان هو الجندي الأخير الذي يطلق آخر ما يحمل من رصاص من أعماق "كهفه". كافح لكي يجد الصوت المناسب والمنظور الضروري. اختبر العديد من الأساليب والمناهج مع قراءات لا نهاية لها، باحثًا عن أسلوبه الخاص حيث حارب الاستخدام المفرط للصفات، وإغراء الوقوع في فخ الصيغ المبتذلة والكليشيهات المكررة، التي وجدها في كل مكان. عشرون عامًا وهو يكافح من أجل أن يتعلم كتابة رواية في بلد حُرِم من تراث أدبي، ولكي يكتشف أن اللغة المناسبة والمقنعة للكتابة هي اللغة الشاعرية لجدته التي استخدمتها لتمارس سلطتها عليه، اللغة التي تحدثها جده وفتح بها العالم أمامه. عشرون عامًا دون كلل لكي يكتشف مميزات البساطة:

"في تلك الليلة الطويلة، وبينما العقيد خيرينيلدو ماركيز يستذكر أمسياته الميتة في حجرة خياطة آمارنتا، حكّ الكولونيل أوريليانو بوينديا قشرة وحدته القاسية، لساعات طويلة، في محاولة لكسرها. كانت لحظات سعادته الوحيدة، منذ ذلك المساء البعيد الذي أخذه فيه أبوه ليتعرف

إلى الجليد، هي تلك التي أمضاها في مشغل الصياغة، حيث كان الوقت ينقضي وهو يركّب الأسماك الذهبية الصغيرة. لقد وجد نفسه مضطرًا إلى إشعال نيران اثنتين وثلاثين حربًا، واضطر إلى خرق كل عهوده مع الموت والتمرغ كخنزير في مزبلة المجد، كيف يكتشف، بتأخير يقارب الأربعين عامًا، امتيازات البساطة".

ظهرت الرواية في المكتبات وأكشاك الصحف في بوينس آيرس في الخامس من يونيو 1967، ونشرتها "إديتوريال سودأمريكانا" – Editorial Sudamericana. ربما بسبب مجموعة من الظروف التي حدثت، كان نشرها ممكنًا. في النصف الثاني من عام 1965، كان "ماركيز" على وشك أن يكتشف أسلوبه الخاص. كان في طريقه إلى "أكابولكو" في إجازة مع عائلته عندما فهم كل شيء. وعندما عاد من هذه الرحلة، عزل نفسه لثمانية عشر شهرًا. قبل أن يحدث كل هذا، وصل الكاتب "لويس هارس" إلى المكسيك. كان يحضِّر لكتابٍ عن أشهر تسعة كتَّاب يقودون المشهد الأدبي في أمريكا اللاتينية. كان كتابه ذاك بمنزلة مرجع أدبي لتلك المنطقة. عندما أجرى مقابلة مع "فيونتس"، وهو واحد من التسعة، أخبره عن "ماركيز" وأعطاه بعضًا من كتبه، لأن "هارس" لم تكن لديه أدنى فكرة عنه. وبعد أن قرأ له، أجرى مقابلة مع الكاتب الكولومبي. بعد عدة شهور وقبيل انتهاء العام، كان لا يزال في بوينس آيرس، تكرر المشهد نفسه؛ تحدث "هارس" مع "فرانسيسكو بورؤا" المدير التنفيذي والمحرر بدار "سودأمريكانا". قال له إن كتابه يجب أن يضم عشرة مؤلفين وليس تسعة. العاشر هو "ماركيز". لم يكن "بورؤا" قد قرأ أي شيء لـ"ماركيز"، لذلك أعاره "هارس" بعضًا من كتبه التي أحضرها معه من المكسيك.

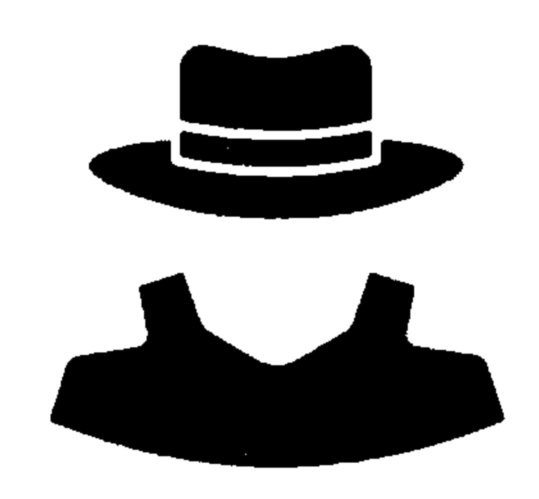
كان "فرانسيسكو بوروًا" ماهرًا في التعرُّف إلى الكتابة الجيدة، وعندما قرأ لـ"ماركيز" شعر وكأنه أمام اكتشاف عظيم. كان رد فعله الأول سريع؛ أرسل خطابًا إلى الكاتب الكولومبي عبَّر فيه عن اهتمامه ورغبته الأكيدة في إعادة طبع كتبه. أجابه ماركيز أن هذا أمر مستحيل لأنه متعاقد مع ناشرين آخرين بخصوص هذه الكتب وأن هؤلاء الناشرين أصدقاء له أيضًا، لكنه عرض عليه رواية أخرى "قاربت على الانتهاء منها". طلب منه "بوروًا" أن يخبره شيئًا عن هذه الرواية الجديدة، فأرسل إليه "ماركيز" أربعة فصول منها. جاء رد فعل" بوروًا" سريعًا للغاية، أرسل له عقدًا وخمسمئة دولار كمقدمة. أخيرًا، تعرَّف أحدهم على الإمكانيات التي حملتها رواياته وقصصه! بالنسبة إلى "ماركيز"، الذي ظل منتظرًا فرصة مثل تلك لخمسة عشر عامًا، لم يفكِّر حتى في النقاش أو المساومة. أراد حقًّا أن تُنشر روايته، ومن أفضل من "سودأمريكانا" لتنشرها له، خصوصًا أنها تمتعت لوقت طويل بنوع من الشهرة الأسطورية. وقَّع "ماركيز" العقد في العاشر من سبتمبر عام 1966. كان قد انتهى من كتابة الرواية بطريقة مبدئية، ولكنه احتاج إلى عدة أشهر أخرى لمراجعتها في "كهفه"، حيث كان يقضي عشر ساعات أو أكثر يوميًا.

إضافة إلى حكاية "ألبارو موتيس" الشفهية عمَّا مر به "ماركيز" في أثناء كتابة هذه الرواية، فقد عُرِف بعد ذلك أنه كان هناك عدة نسخ مكتوبة من "مئة عام من العزلة". اعتاد "ماركيز" عند الانتهاء من أحد الفصول والتأكد من أنه شكله ومعناه قد اكتملا، يعطيه لسكرتيرة لتكتب منه نسخة على الآلة الكاتبة، كانت هناك نسخة أصل وعدة نسخ منها نتيجة لخوفه المرضي من أن يضيع منه أو أن يختفي. بخلاف النسخة المكتوبة على الآلة الكاتبة التي أرسلها إلى

"بورؤا"، والتي يبدو أنها هي أيضًا قد اختفت، لا علم لدينا عمًّا حدث مع النسخ المتبقية والتي تبادلها أصدقاؤه في المكسيك وكولومبيا، وقد حاول أخوه "إليخيو" عبثًا أن يجد تلك النسخ. في كتابه "ما وراء أسرار ميلكياديس" – Tras las Claves de Melquíades، يحكي "إليخيو" بأسلوب كتابة جيد للغاية عن رحلة بحثه تلك؛ حيث بدأ تلك الرحلة بتكتم وتفانٍ يستحقان الإعجاب، وكتب أيضًا عن مراحل تطور الرواية. من المفارقات الغريبة أنه لا توجد نسخة أصلية لرواية هي الأشهر والأكثر قراءة في القرن الواحد والعشرين. إن الأوراق التي يمكن اعتبارها أصلية هي تلك التي استلمها "ماركيز" من الناشر وعلّق عليها بملاحظاته وتصحيحاته بخط يده. كان هناك 180 ورقة، وكل واحدة طولها 30 سم والتي أعطاها بعد فترة لـ"لويس ألكوريثا" وزوجته، كتب لهما: "إلى لويس وجانيت، إهداء مكرر، لكنه من قلبي؛ "من الصديق الذي يحبكما أكثر من أي إنسان في هذا العالم" جابو 1967".

إذًا، كانت تلك الأوراق هدية من "ماركيز" لـ"لويس ألكوريثا" و"جانيت ريزنفيلد". أمَّا الرواية نفسها فقد أهداها لـ"جومي جارثيا أسكوت"، وهو شاعر كولومبي رائع وتقريبًا غير معروف في كولومبيا، وإلى زوجته "ماريا لويسا إليخيو"، وهي إسبانية هاجرت إلى المكسيك مع عائلتها في أثناء الحرب الأهلية. كانت كاتبة سينمائية وممثلة، أدت دورًا في فيلم "على الشرفة الخالية" – En el balcón vacío. كان "ماركيز" يثق بها ويأتمنها على أفكاره في أثناء كتابته لـ"مئة عام من العزلة"، وهو بذلك جعلها – كما قالت هي نفسها عدة مرات – شخصًا محظوظًا. صدرت لها مجموعة قصصية مؤثرة ورائعة تحت عنوان "وقت البكاء" –

Tiempo de Llorar، وهي حكايات عن أحلام العودة - التي تكاد تكون مستحيلة - إلى مدينة طفولتها. أشار "ألبارو موتيس" في مقدمة النسخة الإسبانية من مجموعتها القصصية إلى أن "قراءتها تدخلك في دائرة لا نهاية لها من الحزن، والأحلام، وألم المنفى.. ذلك المنفى الداخلي الذي نحمله جميعًا، والذي لا يستطيع تمييزه وإدراكه سوى قليلين".



كالنيران الجامحة

عندما أخبر "باكو بوروًا" وفريق النشر في دار "سودأمريكانا" "ماركيز" أن الطبعة الأولى لهذه الرواية سوف تكون في حدود ثمانمئة ألف نسخة، شعر "ماركيز" بالذهول، فجاء تعليقه: "أليس هذا كثيرًا للغاية؟"، لكنهم أكدوا له أنهم سيبيعون هذه النسخ في المدة ما بين شهري يونيو وديسمبر. وهكذا، وعلى الرغم من كل هذه التنبؤات والشكوك، بيعت كل هذه النسخ في أول خمسة عشر يومًا، ولم يصل إلى "مكسيكو سيتي" سوى عدد قليل من النسخ، وهو ما حدث أيضًا في "بوجوتا". بعدها طبعوا عشرة آلاف نسخة جديدة على عجلٍ، ومع ذلك لم تلبي كل رغبات الشراء.

وصل "ماركيز" إلى "بوينس آيرس" في 20 يونيو كي يقوم بالدعاية لروايته، فأسرع الناشر لكي يصدر الطبعة الثانية.

كان "ماركيز" ووكيلته الأدبية "كارمين بالثيلس" وبالطبع "فرانسيسكو بوروًا" يؤمنون بأن أي كتاب جديد يحتاج إلى أن يُقدَّم بطريقة مناسبة للجمهور. ومن هذا المنطلق، قضى ثلاثتهم جزءًا كبيرًا من وقتهم بإرسال ونشر مقتطفات من الرواية في الصحف والمجلات وبرامج الراديو. لذلك ظهرت العديد من المقتطفات في الصحف والمجلات مثل مجلة "نويفو موندو"، و"آمارو"، و"إيكو" وصحيفة "إل إسبكتادور". كما نُشِر الفصل الأول بأكمله في جريدة "بوجوتا" في 1 مايو 1966. عند المقارنة بين كل هذه المقتطفات التي وُزِعت مع النص الأصلي للرواية التي نُشرت لاحقًا بعد ثلاثة عشر شهرًا، سوف نخرج بأكثر من خمسين

اختلافًا، وجميعها لا تعطينا أي دليل على مآل النص الأصلي، لكن ما جمع بينها كان أن جميعها أعطت شكلًا أكثر تحديدًا للحياة في "ماكوندو".

النشر الأولي لأجزاء من الرواية، وتعليقات الصحافة، وسعادة الأصدقاء (مثل فوينتس وكورتاثر وآخرين) التي لا حدود لها، والذين قرأوها كاملة أو أجزاءً منها، إضافة إلى المحادثات الحماسية بين أول من قرأوها، كل ذلك ولَّد في البداية ما يمكن أن نطلق عليه اسم "همهمة قاريَّة"؛ ثم تبعها مطالبات دولية استمرت خمسة عقود.. اعتراف دولي بدا وكأنه لا نهاية له.

لدى وصوله إلى "بوينس آيرس" بعد أسبوعين من نشر الرواية، بدا وكأن أحدًا لا يعرفه على الرغم من أنه كان يسير في الشوارع وسط نسخ الصحيفة الأسبوعية "برايميرا بلانا" Primera Plana التي وضعت صورته على أول صفحة لها، مع مقالة طويلة ومكثفة عنه بداخلها. على أية حال، تغيَّر الأمر تمامًا بعد مرور عدة أيام. قال "توماس إلوي مارتينيث" المحرر في صحيفة "برايميرا بلانا" إنه في إحدى الليالي، ربما الثالثة أو الرابعة بعد وصول "ماركيز" إلى المدينة معه زوجته "مرسيدس"، حضروا حفل العرض الأول لمسرحية ما، ومنذ تلك اللحظة أيقن "مارتينيث" أن هذا الرجل قد دخل ساحة الشهرة بقدمه اليمنى. كتب قائلًا في مقالة بعنوان "اليوم الذي بدأ فيه كل شيء" - El día que empezó todo:

"خطت "مرسيدس" و"جابو" متجهين إلى مقاعد الجلوس في المسرح، وقد بديا مرتبكين بسبب الحضور الذين ارتدوا معاطف الفرو والريش اللامع. كان المسرح مظلمًا، ولكن لسبب ما تبعتهما دائرة الضوء. كانا على وشك الجلوس عندما صاح أحدهم بـ"برافو" وبدأ يصفِّق بقوة. صاحت امرأة أخرى بعده قائلة:

"هذا من أجل روايتك". وقف جميع الحضور في المسرح. في تلك اللحظة، رأيت الشهرة تهبط من السماء، ملفوفة في طيات من الورق المتوهج الذي يخطف الأبصار، وغمرت "ماركيز" بضوء ليس للزمان قوة للتأثير في قوته".

استقبلته الدول الأخرى بالحفاوة نفسها التي استقبلته بها الدول التي تتحدث الإسبانية. وفي خلال عدة شهور، استطاعت "كارمين بالثيلس" ووكالتها الأدبية أن تبيع حقوق ترجمة الرواية لعشرين لغة أخرى. حصل الناشر الفرنسي "سوييه" Seuil على حقوق الترجمة في أبريل، وهو ما يعني أنه حصل عليها قبل صدور الطبعة الإسبانية. ولا بدَّ أن الناشر الإيطالي الشهير "فيلترينيلي" Feltrinelli قد فعل الأمر نفسه، لأن الطبعة الإيطالية الأولى ظهرت في مايو 1968، والمعلومات التي كانت على الغلاف خلقت المزيد من التوقعات: "إن الرواية التي يعمل الكاتب عليها حاليًا ستصدر بعنوان "خريف البطريرك"، وهي قصة مدهشة عن الاستبداد". ظهرت الطبعة الدانماركية عام 1969، والإنجليزية عام 1970، والمجرية بعد أربعة أعوام من نشرها في "بوينس آيرس". هناك شائعات في عالم النشر بأن "مئة عام من العزلة" بيع منها ما يزيد على الخمسين مليون نسخة في الأربعين لغة التي صدرت بها.

مع نهاية يونيو، عاد "ماركيز" و"مرسيدس" إلى "مكسيكو سيتي"، عازمين على حزم حقائبهما والانتقال إلى برشلونة. سيفعلان ذلك، وسيعيشان في تلك المدينة، حتى تنتهي كتابة رواية "خريف البطريرك" وتُنشر، ثم سيعودان إلى "مكسيكو سيتي". حدث ما مهَّد رحيلهما ذلك عن القارة القديمة؛ سافر "ماركيز" أولًا إلى "كاراكاس" لكي يحضر "مؤتمر

أدب أمريكا اللاتينية"Latin American Literature Congress، ولكي يحضر كذلك إعلان جائزة "رومولو غاييغوس الدولية للرواية" والتي كان "ماريو بارجاس يوسًّا" هو أول من فاز بها عن روايته "المنزل الأخضر" – La Casa Verde. تقابل الاثنان في مطار "كاراكاس"، حيث بدأت صداقة استمرت عدة سنوات حتى انتهت بسبب ما وصفه "داسو سالديفار" حين قال: "تسببت انشغالات الحياة، والصداقة، والسياسة في التفريق بينهما، حيث أدت بكل منهما في طريق مختلف عن الآخر...".

بعد أن قضى الكاتبان عدة أيام في "كاراكاس"، رحلا إلى "بوجوتا"، حيث كان في انتظارهما ماراثون من اللقاءات أخذتهما من اجتماع مائدة مستديرة مع صحيفة "إل تييمبو"، إلى حفلات جلسات لتوقيع الكتب في مكتبة "كونتيمبورينيا" Librería Contemporánea التي تقع في شمال المدينة. تقابلا مجددًا في بداية شهر سبتمبر، ثم في "ليما" في خضَّم أمواج المجد التي غمرتهما، وهناك في عاصمة بيرو، تبادلا النقاش الشهير الذي يخص الأدب اللاتيني، والذي نُشِر في العام التالي تحت عنوان "الرواية في أمريكا اللاتينية: حوار".

اشترك "ماركيز" بحماس في كل تلك الاجتماعات، لكنه لم يتقبَّل بشكل كامل ذلك الحصار المستمر، وأضواء الكاميرات، والأسئلة المستمرة المكررة، والتي لم يستطع عند إجابتها أن يخفي تعبيره الضجر مقلدًا جدته دون أن يدري. حيث سأله أحد الصحفيين في إحدى المرات سؤالًا ظنه مبدعًا ولم يسأله أحد لـ"ماركيز" من قبل، كان السؤال عن رأيه ككاتب في رواياته. لم يستطع "ماركيز" أن يقاوم هذا الإغراء فأجابه قائلًا: "في الحقيقة أنا لم

أكتب هذه الروايات، زوجتي هي التي فعلت، لكنها تقول إنها سيئة للغاية وإنها محرجة من أن توقع عليها، لذلك أوقِّع أنا نيابة عنها".

تسلَّم "ماركيز" العديد من الجوائز والتكريمات قبل أن يحصل على النوبل. على الرغم من ذلك، كانت أفضل جائزة حصل عليها، هي المدح الذي تلقَّاه من زملائه من الكتاب المحترفين؛ لم يكن مدحًا مدفوعًا ومحفوفًا بنوايا سياسية، ولكنه كان من أشخاص ينبع عملهم من خلال الجلوس طوال اليوم أمام ورقة بيضاء خالية، وفجأة يأتيهم الإلهام فيخرجون بكتاب متكامل، تمامًا كما حدث معه في "مئة عام من العزلة"، وكما حدث مع "رولفو"، و"كاربنتير"، و"فوينتس"، و"كورتاثر". حدث كل هذا منذ أكثر من ثلاثين عامًا سابقة، حدث وكثيرون غير منتبهين لما يحدث، لذا فإن إعادة حكي تلك القصة يستحق ذلك، لكي ننقذها من النسيان حتى ولو مؤقتًا.

في الصفحات الأخيرة في واحدة من أكثر الروايات إرباكًا، واضطرابًا وجمالًا من روايات "إيتالو كالفينو" (1923- 1985) بعنوان "لو أن مسافرًا في ليلة شتاء" (1979)، نجد الراوي الذي اختبر الآلاف من تقلبات الحظ بطول الرواية، يقرر في الفصل الأخير، أن يبدأ بتشذيب ممنهج، لأن العالم معقد للغاية ومتشابك. بعد أن انتهى من تشذيب المارة، والثكنات، والمستشفيات، والمتاحف، والمحاكم، والجامعات، والنُصُب التذكارية، والمكتبات، والمؤسسات الأكاديمية، والمتاجر، والاستهلاك، والإنتاج، والمواد الخام، وموارد الطاقة، شرح باختصار الأشياء القليلة التي لم يمسسها وظلت باقية، ومن ضمنهم كانت ورقة مطبوعة:

"ها أنا ذا عابرًا السطح الخالي الذي هو العالم. هناك رياح تمر فوق آخر ما تبقى من العالم المستمر في الاختفاء: حفنة من العنب الناضج، التي تبدو وكأنها قد قُطِفت الآن، وجورب صوفي لطفل، ومصباح كهربائي جيد الصنع، وصفحة ربما أُزيلت من رواية إسبانية عليها اسم امرأة: أمارانتا".





الكتابة..

أرخص في أوروبا

استقر "ماركيز" في برشلونة مع عائلته، وعمله على كتابة "خريف البطريرك". لن يتمكن أحد الآن من تذكر ما إذا كان من الأرخص أم الأغلى أن يكتب في أوروبا حينها، لكننا كذلك نستطيع أن نتفهم أنه فعل ذلك لكي يبعد نفسه قليلًا من الحمى الشديدة التي انتشرت في أمريكا اللاتينية مع ظهور رواية "مئة عام من العزلة". على أية حال، كانت برشلونة مدينة عالمية، كانت كذلك حينها، وما زالت هكذا إلى الآن. استطاع "ماركيز" إلى حدٍ ما أن يتجنب الصحفيين ونزوات محبينه، فحيث إنه كان مقيمًا في مركز عالم نشر اللغة الإسبانية، لكن العاصمة الكتالونية لم تكن لتسمح له بأن يهرب من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي هزت العالم كله حينها. لكنه لم يكن هناك من أجل ذلك السبب، على العكس، كان تأييده لبعض القضايا وأفكاره السياسية هما السبب في تورطه في عدة أمور.

خلال الخمسة أشهر الأولى من ذلك العام، ثار الطلاب الفرنسيون ضد المؤسسات الأكاديمية والحكومة وحصلوا على دعم العُمّال، وأصبحت الأمة بأكملها في حالة من الشلل. تلك الأحداث والتي عُرِفت فيما بعد باسم "أحداث مايو 68" انتشرت في كل مكان كالزيت المسكوب. "مذبحة تلاتيلولكو" في 2 أكتوبر من العام نفسه في "ساحة الحضارات الثلاثة" "مكسيكو سيتي"، كانت واحدة من النتائج التراجيدية لموجة الاحتجاجات الطلابية التي هزت عواصم العالم الكبرى. في الشهر نفسه، وعلى الجانب الآخر من الأطلنطي، غزت الدبابات السوفييتية مع ستمئة ألف جندي دولة صغيرة في وسط أوروبا هي تشيكوسلوفاكيا، ووضعت حدًا لـ"ربيع براغ"، والذي كان أملًا

غير واقعي لآلاف من المواطنين الذين أرادوا أن يحرروا النظام ويخففوا من الهيمنة السوفييتية عليهم. زار "ماركيز" "براغ" بعدها بثلاثة أشهر، تمامًا كما زار "هافانا" بعد عدة أيام من انتصار "فيدل كاسترو". ظل في "براغ" لمدة أسبوع بصحبة "خوليو كورتاثر"، و"كارلوس فوينتس" في تلك المدينة التي سيطرت عليها الدبابات الروسية. كان مضيفهم هو الكاتب التشيكي الحاصل على الجنسية الفرنسية "ميلان كونديرا":

"[...] جاء ثلاثة روائيين من أمريكا اللاتينية إلى براغ، حيث دعاهم "اتحاد المؤلفين"، وهم "خوليو كورتاثر"، و"جابرييل جارثيا ماركيز"، و"كارلوس فوينتس". جاؤوا في سرية تامة بصفتهم مؤلفين، لكي يروا ما يحدث، ولكي يفهموا، ويشجعوا زملاءهم التشيك. قضيتُ أسبوعًا لا يُنسى معهم. أصبحنا أصدقاء. تمكنت بعد أن غادر أن أقرأ الترجمة التشيكية غير المنقحة لروايته "مئة عام من العزلة". وبعد مغادرتهم أصبحت قادرًا أن أقرأ الترجمة باللغة التشيكية لرواية "مئة عام من العزلة".

(الخريف في براغ، مجلة كامبيو 2002)، – Otoño en Praga
(Autumn in Prague) ," Bogota, Cambio, 2002).

في مارس 1970، في برشلونة، نشرت دار "توسكاتس" Tusquests لأول مرة قصة يعرفها القراء جيدًا؛ قصة البحار الذي ظل لعشرة أيام تائهًا في البحر فوق طوف بلا طعام أو شراب، والذي اعتُبر بطلًا في بلده، تحبه الحسناوات، ويكسب الثروات من المشاركة في الإعلانات، ثم كرهته الحكومة، ونسيه الجميع إلى الأبد. كانت الأربع عشرة حلقة التي قصت تفاصيل مغامرة البحار "أليخاندرو لويس بالاسكو"، ونُشرت في صحيفة

"إل إسبكتادور" قبل خمسة عشر عامًا، عنوانها هو "الحقيقة خلف مغامرتي". في مقدمة الطبعة الإسبانية وعنوانها "تاريخ هذه القصة"، شرح "ماركيز" السبب الذي دعاه إلى أن يكتبها بضمير المتكلم، وتوقيعه لها باسم البحار، ولماذا، بعد مرور عدة أعوام، ارتبط اسمه بها.

في 5 سبتمبر من العام نفسه، فاز المرشح "سلفادور الليندي"، المرشح عن "الحزب الاشتراكي" Popular Unity Party في انتخابات جمهورية تشيلي الرئاسية. بعدها بعام، فاز "بابلو نيرودا" بجائزة نوبل في الآداب. لم يستطع التشيليون السيطرة على سعادتهم بعدها، وكذلك كان "ماركيز"، الذي شعر بالسعادة والرضا، سياسيًا وأدبيًا؛ حيث كان صديقًا لـ"سلفادور الليندي"، وشاركه اتجاهاته السياسية، وكان كذلك صديقًا لـ"بابلو نيرودا"، وقرأ له وزاره في بيته في "إيسلا نيجرا".

في الوقت نفسه، صدرت لـ"ماركيز" كتبًا أخرى، قبل أن تُنشر روايته عن الدكتاتور، ونال جائزة "رومولو غاييغوس الدولية للرواية" عن "مئة عام من العزلة". كان رد الفعل بعد فوزه بتلك الجائزة عالميًا وسبب جدالًا واسع المستوى. والسبب؟ تبرَّع "ماركيز" بمبلغ الجائزة وقدره 22500 دولار، حيث كان مبلغًا عالي القيمة وقتها، إلى حركة "ماس MAS" وهي حركة اشتراكية انفصلت عن الحزب الشيوعي الفنزويلي، بقيادة "تيودورو بيتكوف".

مع نهاية عام 1972، أصدرت دار النشر الكتالونية "باريل للنشر" قصة "إيريندرا البريئة وقصصًا أخرى" لـ"ماركيز" وضمت قصصًا مثل: "رجل عجوز بجناحين كبيرين"، وأجمل غريق في العالم"، و"بلاكمان الطيب بائع المعجزات". في بداية العام التالي، نُشرت له

مجموعة مختارة من مقالاته التي كتبها بين 1957 و1958 في "كاراكاس" تحت عنوان: "عندما كنت سعيدًا وغير معروف".

لكن هذه السعادة ما كان لها أن تستمر، لأن شعب تشيلي وكل من يتعاطفون مع الاشتراكية، رأوا أن الأمر "أروَع من أن يُصدق"، صرَّح "ريتشارد نيكسون" ووزير خارجيته "هنري كيسنجر" منذ البداية وفي عدة مناسبات، قبل أن يصوت مجلس الشيوخ التشيلي في أكتوبر 1970، وبعد أن حصل "الليندي" على الأغلبية المطلوبة كي يصبح رئيسًا للجمهورية، بأن حكومة "الليندي" و"الحزب الاشتراكي" ليس مرحبًا بها في نصف الكرة الجنوبي. فبطرق مباشرة أو غير مباشرة، تسببت واشنطن في عدم استقرار وزعزعة حكومات دول أمريكا الجنوبية. إضافة إلى المشكلات الداخلية التي نشأت في إدارة "الليندي"، ثم وأخيرًا المؤامرة التي حاكها اليمين، وانتهت بتحالفه مع الجيش فأدت إلى انقلاب 11 سبتمبر 1973 بقيادة "أوجستو بينوشيه". مات "سلفادور الليندي"، الرئيس المنتخب بإرادة الشعب، في قصر "لا مونيدا" مدافعًا عن الدستور. بعدها باثني عشر يومًا، متأثرًا بموت صديقه المأسوي، وبما تمر به بلاده من أحداث أظلمت مستقبلها، مات "نيرودا" في عيادة بسانتياجو. بعدها بعام واحد، ظلت جراح تشيلي مفتوحة، واختفى الآلاف الناس قصريًا، وأُلغيت كل الضمانات السياسية، وأصبح الجنرال "بينوشيه" الحاكم المطلق للبلاد بعده تغيير الدستور التشيلي. ظل رئيسًا لسبعة عشر عامًا كانت تشيلي خلالها وكأنها في ليل دائم حالك السواد.

أعلن "ماركيز" بعدها أنه لن ينشر شيئًا طالما ظل "بينوشيه" في الحكم، لكنه لم يلبث أن نشر في العام التالي، لأنه سرعان ما أدرك أن

الصمت يفيد الدكتاتور أكثر وسيجعله متمسكًا بكرسيه أكثر. أدرك أن سلاح الكاتب - إذا كان للكاتب أي سلاح - ليس الصمت، وإنما الكلمة. الكلمة المكتوبة. عاد "ماركيز" إلى بيئته المعتادة، وفي عام 1974 نُشرت له مجموعة قصصية تضم سبع قصص تحت عنوان "عينا كلب أزرق"، نُشرت المجموعة بشكل متفرق أولًا في "إل إسبكتادور" من عام 1947 حتى عام 1954، إضافة إلى قصة "إيزابيل تحدث نفسها وهي تراقب السماء الممطرة في ماكوندو"، والتي نشرتها مجلة "ميتو" عام 1955.

الكلمة المكتوبة. في الصحافة والأدب. في فبراير 1974، أُسِسَت مجلة "ألترناتيفا" في "بوجوتا". كان مبدؤها الأساسي واضحًا في عنوانها: "التفكير هو المقاومة". ربما كانت هذه المجلة هي أفضل ما امتلكته المعارضة لخمسة أعوام، حيث استمرت خلالها دون إعلانات، على الرغم من أن بعض قطاعات اليسار المتطرف وصفتها بأنها "الذيل الإصلاحي لوسائل الإعلام الجماهيرية"، في حين وصفها اليمين بأنها "جماعة تخريبية غير مسلحة". كان "ماركيز" من ضمن داعميها المتحمسين، حيث تبرع بعشرة آلاف كان قد حصل عليها من "جائزة جامعة أريزونا" لكي يكوِّن "لجنة المسجونين السياسيين في كولومبيا".

في أول عدد من المجلة، كتب صاحب النوبل المستقبلي "ماركيز" تقريرًا فضح به الانقلاب العسكري في تشيلي ومثبتًا به التزامه بدعم المجلة. تلقت "ألترناتيفا" دعمًا وتأييدًا منذ البداية، حيث طُبِع منها عشرة آلاف نسخة وتضاعفت أربع مرات مع صدور العدد الرابع منها. هكذا كان النجاح الذي حققته على الرغم من الخلافات الداخلية بها. وفي عام 1978، أصبحت أكثر من مجرد مجلة إخبارية؛ كانت حركة سياسية: Firmes. في ذلك العام كان

هناك أربعة يتنافسون في الانتخابات الرئاسية بكولومبيا، لذلك بدأت "ألترناتيفا" حملة تطالب الجميع بالاتحاد والتكاتف، وجمعت أكثر من خمسمئة ألف توقيع لهذا الغرض، لكن كان لدى أحدهم نبوءة شؤم وقد تحققت بالفعل: "إن "ألترناتيفا ستجعل ما لم يكن مقبولًا أمس، مقبولًا اليوم!". ربما كانت تلك التجربة المؤلمة هي ما جعلت شخصية "سيمون بوليفار" في رواية "ماركيز" التي كتبها عام 1989، "الجنرال في متاهته" يقول: "إن كولومبيا بلد لا يمكن لأحد أن يحكمه، لأن كل كولومبي هو بلد".

في العام التالي لتأسيس المجلة، نُشِرت رواية "خريف البطريرك" التي انتظرها قرّاء "ماركيز" بفارغ الصبر، خصوصًا بعد قراءتهم "مئة عام من العزلة". في مكتبة "كونتيمبورانيا" Libreria Contemporanea في "بوجوتا" على سبيل المثال، كانت هناك قائمة مشترين ينتظرون الحصول على نسختهم من "خريف البطريرك" بفارغ الصبر. بالنسبة إلى الطبعة الإسبانية من الرواية فقد كانت كارثة فيما يخص تصميمها وتحريرها. لم يعبِّر الغلاف عن الرواية، وتساقطت صفحاتها عند تقليبها – تعبيرًا عن خريفٍ حقيقي – لأنها كانت ملصقة بصمغ وليست مخاطة. احتج "ماركيز"، وقبل نهاية العام، حاولت "سودأمريكانا" تصحيح الأمر.

في النصف الأول من عام 1970، ازدهرت الكثير من روايات أمريكا اللاتينية التي تدور بشكل رئيس حول الدكتاتور. هذا الاتجاه يمكن تتبعه منذ القرن التاسع عشر بصدور رواية "أماليا" من تأليف الكاتب "خوسيه مارمول"، لكن حدث نوع من النهوض في القرن العشرين. من العناوين التي ظهرت وتستحق الإشارة: أصدر الكاتب "رامون ديل بايي إنكلان" عام 1926 رواية سياسية

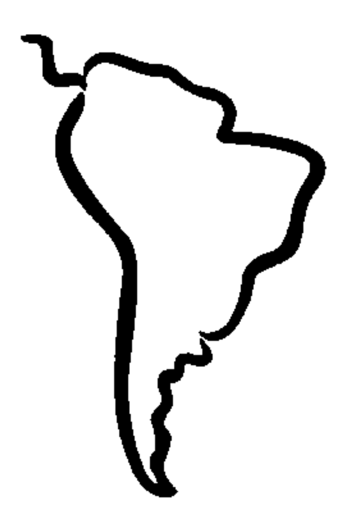
ساخرة تحت عنوان "بانديراس الطاغية" فكان أول من أسس مفهوم الرواية السياسية الساخرة في أدب أمريكا اللاتينية. بعد ذلك بعشرين عامًا، نشر "ميجيل أنخيل أستورياس" رواية "الرئيس". ثم في عام 1974، ظهرت ثلاث روايات: "اقتل الأسد" من تأليف "خورخي إيبارغوينغويتيا"، ورواية "أنا، الأعلى" من تأليف "أوجستو راو باستوس"، كذلك رواية "أسلوب المنهج" من تأليف "أليخو كاربنتير". لكن غزارة هذه النوعية في سوق الروايات لم يمنع رواية "ماركيز" من أن تباع بغزارة.

في نهاية الأمر، وحتى بعد انهيار حكم القليل من الأنظمة الدكتاتورية بمنطقة الكاريبي، عادت تلك الأنظمة إلى السيطرة مجددًا في أمريكا اللاتينية. إضافة إلى "بينوشيه" الذي أمسك بحكم تشيلي بمخالبه، كان هناك أيضًا "ألفريدو سترويسنر" الذي حكم براجواي منذ عام 1954 وحتى عام 1989 عندما حدث انقلاب أزاحه عن الحكم. حدث أمر مشابه في بوليفيا حيث حكم "هوجو بانزر" عام 1971؛ وصل إلى السلطة بعد الانقلاب رقم 187 خلال 146 عامًا من تاريخ الجمهورية. وكأن كل ما سبق لا يكفي، في العام التالي لظهور رواية "ماركيز"، أطاح الجيش الأرجنتيني بحكم "إيزابيل بيرون"، التي أصبحت رئيسة الأرجنتين بعد وفاة زوجها "خوان بيرون".

أصبح جنوب القارة ملطخًا؛ اختفى العمال والطلبة قصريًا، عُرِض أطفال الأمهات المعتقلات للتبني دون ترك أي أثر لهم، قُتِل الصحفيون والكتَّاب. قليلون ممن حالفهم الحظ نُفُوا بعد قضائهم لعدة سنوات في السجن. اختفى كل من الكاتب "هارولدو كونتي" و"رودولفو والش" ولم يرَهما أحدٌ مرة أخرى.

كانت رواية "خريف البطريرك" أكثر روايات "ماركيز" تعقيدًا وصعوبة في قراءتها وفهمها مقارنة بباقي أعماله. إن التغيير المستمر لصوت الراوي فيها يجبر القارئ على أن يقرأها بصوت عالٍ لكي يشعر بأن راويًا آخر قد استلم ناصية الحكي. على الرغم من تلك الصعوبة، فإنها لا تنقص من مجهود الكاتب الذي أراد أن يظهر من خلال العديد من الأصوات والزوايا الأوجه المختلفة للسلطة المطلقة. كل ذلك في إعادة خلق مذهلة للبيئة الكاريبية – من زاوية انعكست 180 درجة – من داخل قصر الأسى؛ حيث يقضي البطريرك لياليه نائمًا والقلق يملؤه في حين يترك مصباحه مضاءً وفي متناول يده لكي يستطيع الهرب في أي وقت.





مرة أخرى..

في أمريكا اللاتينية

عاد ماركيز إلى المكسيك مرة أخرى قبل نهاية عام 1976. ستظل المكسيك هي المكان الذي يعود إليه دائمًا، حيث تجذبه بدائية "مكسيكو سيتي" وأصدقاؤه الكثيرون الذين كانوا لا يزالون مقيمين بها. ستصبح "كارتاخينا دي إندياس" مع مرور الزمن مدينة أخرى لها الصفات نفسها. لاحقًا في العام نفسه، نشرت مؤسسة الثقافة الكولومبية مجموعة مقالات له ظهرت في مختلف الصحف القومية والمجلات تحت عنوان (وقائع وتقارير) Crónicas y reportajes (Chronicles and Reports)، والتي نُشرت فيما بعد في طبعة ضمت مقالاته.

بعد عامين، كان الفاتيكان يحاول أن يجد استقرارًا لم يستطع تحقيقه عدة مرات. كان هناك ثلاثة باباوات في عام واحد: البابا بولس السادس، وجون بول، وجون بول الثاني. في الوقت نفسه، كان الناشرون ما زالوا يبحثون عن كتابات جديدة لـ"ماركيز"، وهو السبب في ظهور سلسلة المقالات التي نُشرت له في مجلة "كروموس" Cromos، تحت عنوان "تسعون يومًا خلف الستار الحديدي" – Ninety Days Behind the Iron Curtain. ثم نُشرت عام 1978 في كتاب لا ألوان به تحت عنوان "رحلات عبر الدول الاشتراكية" De Viaje por los Países Socialistas (Travels Through Socialist Countries). لم يفقد صلته بالسينما كذلك، حيث اشترك في كتابة العديد من السيناريوهات. في عام 1979 صُوِّر فيلم "عزيزتي ماري" – María de mi corazón – إخراج "خايمي أومبرتو إيرموسيُّو".

في الوقت نفسه، عادت المشكلات السياسية للظهور مجددًا، لتسبب نوعًا آخر من اليأس. أحيت ثورة الساندينية الأمل في أمريكا اللاتينية عندما قامت بقيادة "الجبهة الساندينية للتحرير الوطني" ضد "أناستاسيو سوموزا" في نيكاراجوا (1979). سافر "ماركيز" إلى نيكاراجوا واحتفل بالنصر الذي حققته "الجبهة الساندينية" في لقاء حضره "توماس بورج"، و"دانييل أورتيجا"، و"سيرجيو راميريز"، و"إرنستو كاردينال"، و"ياسر عرفات"، و"خوليو كورتاثر" وآخرون.

في أكتوبر 1980، بدأت كل من صحيفتي "إل إسبكتادور" و"البابيس" في مدريد بنشر عمود لـ"ماركيز" كتب فيه عن أحداث وقعت في مناطق مختلفة، وأن يكتب عن بعض الأشخاص، وبعض القصص، بل وحتى أن يعبِّر بحرية عن آرائه فيما يخص بالسياسات الداخلية الكولومبية. جُمعت هذه المقالات وعددها 173 مقالًا في خمسة أجزاء شملت مقالاته الصحفية، تحت عنوان "إصدارات صحفية" – Press Releases. في النهاية، لم تتمكن مجلة "ألترناتيفا" من أن تنجو من المصاعب التي تعرضت لها سواء من المساهمين الأساسيين بها، أو بسبب الديون المتراكمة عليها، وتوقفت تمامًا عن الصدور وهي في أوجِّها في أبريل 1980، بعد أن حققت نضجها الصحفي، وكوَّنت شبكة واسعة وممتدة من المراسلين المحليين والدوليين.

في أبريل 1981 نُشرت روايته "سرد أحداث موت معلن"، وقد مثَّلت علامة فارقة في "منطقة لا مانشا" كما أسمى البعض المنطقة التي تحتوي البلدان المتحدثة بالإسبانية. طُبعت الرواية في أربع دور نشر بشكل متزامن، وهي "بروخويرا" في إسبانيا، و"أوفيخا" في كولومبيا، و"سودأمريكانا" في

الأرجنتين، و"ديانا" في المكسيك لكي تظهر الرواية في كل مكان في اليوم نفسه. أخيرًا، تحقق حلمه ذو العشرين عامًا، وأصبح حتى اليوم تقليدًا في عالم النشر. حينها، تحدث كثيرون عن هذه الرواية قبل أن تُعرض للبيع، وظهرت العديد من المقتطفات في عدة جرائد ومجلات، وتحدثت عنها الوسائل الإعلامية المختلفة وعن رحلة النشر: الاحتياطات التي اتُخِذت لحماية النص الأصلي من التسريب، أطنان الورق المطلوبة، وجالونات الحبر اللازمة، باختصار، الخطوات والإجراءات التي تختص بطباعة كتاب. في الوقت الذي ظهرت فيه الرواية في المكتبات، كان الفضول قد ملأ القرَّاء بالفعل. كانت الرواية الأكثر توزيعًا في العالم، حيث بلغ عدد نسخ الطبعة الأولى مليونًا ونصف المليون نسخة، وأصبحت الأكثر مبيعًا في إسبانيا. قال ماركيز "إنها أفضل رواياتي" في مقابلة في جريدة "البابيس" في اليوم الذي نُشرت به.

اقتبس "ماركيز" رواية "سرد أحداث موت معلن" من حقيقة تاريخية، فهي إعادة خلق لحدث شهده المؤلف وعائلته. إنها قصة تضحية لا لزوم لها وعنف غير مبرر عندما تسود العواطف القبلية والشرائع القديمة الموروثة الخاصة بمفهوم الشرف الذي يهمين بشكل أقوى من أي اعتبارات أخرى، شاملًا معايير التسامح الأساسية. أدخل "ماركيز" في قصته عائلته، ونفسه، وخمسين شخصية أخرى بأسمائهم الحقيقية، لكنهم أحيانًا يتصرفون كمجموعة واحدة، وهم بذلك يخلقون جوًا غريبًا في الرواية بما لا يشبه أي أسلوب له في رواية أخرى.

لكن المؤلف، وهو غير سعيد بذلك، أظهر مدى براعته الأدبية عندما أخبر القارئ في السطور الأولى:

"في اليوم الذي ذهبوا إليه ليقتلوه، استيقظ سانتياجو نصار في الخامسة والنصف صباحًا ينتظر المركب الذس سيحضر فيها الأسقف".

لكن مع ذلك، يستمر القارئ في القراءة، مدفوعًا بفضوله، والرغبة المستمرة في معرفة كيف وصلوا إلى هذا الموقف، فكما علَق "ماركيز" على لسان إحدى شخصياته "كان في حالة كاملة من العجز"، وهو ما سبب التضحية عديمة الجدوى لـ"سانتياجو نصار". وقعت الأحداث المذكورة في هذه الرواية عام 1944، لكن تذكره لتفاصيلها كان عام 1971، وبدأ كتابتها عام 1980. إن هذه واحدة من أهم ما ميز أسلوب "ماركيز" في الكتابة؛ أولًا، على الأحداث أن تنضج في ذاكرته جيدًا. تعلَّم "ماركيز" مبكرًا أنه لكي يكتب أيًا من قصصه، فعليه أن يعطيها الوقت الذي تحتاج إليه لكي تختمر وتنضج.

قبل نهاية عام 1981، نشرت "إل إسبكتادور" قصته "آثار دمائك على الثلج" – El rastro de tu sangre en la nieve. امتلأت المكتبات كذلك بكتاب آخر لـ"ماركيز" عنوانه "أعمدة ساحلية" – Coastal Columns، وهو المجلد الأول لمقالاته الإخبارية، حرره الكاتب الفرنسي "جاك جيلارد" (1943–2008) وهو أيضًا من كتب المقدمة. احتوى المجلد على أعمدته "فقرة جديدة" New Paragraph، و"الزرافة" – The Giraffe، وكذلك الثمانية والثلاثين مقالًا التي نُشرت في "إل أونيبيرسال"، في مدينة "كارتاخينا"، والأربعمئة وسبعة مقالات الأخرى نُشرت في "إل إيرالدو" بمدينة "بارانكيا". احتوى ذلك المجلد، وعدد صفحاته ثمانمئة صفحة، على خمسمئة مقال، وجميعها ترينا دليلًا على طريقة الكاتب المتأنية في الكتابة

وعرض الحقائق. تظهر قراءات "ماركيز" المتأنية العديد من المزايا، والأحداث، والشخصيات، والظروف، والتعبيرات التي سيجدها القارئ وقد مُزجت بمهارة كبيرة في "مئة عام من العزلة". وهذا يوحي بأمرين، أولًا: استغرق "ماركيز" عشرين عامًا لكي يتعلم كتابة الرواية التي جلبت له المجد والشهرة. ثانيًا: إن خمسمئة مقال هي أقرب ما يمكن دعوته بملاحظات وتعليقات "ماركيز" قبل كتابته لأي من رواياته.

عندما سأله "إيرنستو جونثاليث بيرميخو" في مقالة بعنوان "الآن، مائتا عام من العزلة" في مجلة ترويّنفو عام 1970، عن مكان الملاحظات السابقة لكتابة "مئة عام من العزلة"، تقّمص "ماركيز" وجه جدته "مينا" المتحجر وأجابه:

"أنا أكتب ملاحظات ومسودات يومية فقط عمّا أكتب [...] وعندما أنتهي، أنادي زوجتي، ونفتح درجًا كبيرًا، حيث نحتفظ بجميع ملاحظاتي ومسوداتي لهذه الرواية. [...] وهذا الدرج سأحمله معي إلى القبر يا صديقي!!" (pp. 12-18).

من المحتمل أن هذا هو ما حدث حقًّا، وأنه قال الحقيقة عندما أجابه بهذا. على أية حال، فبين يدي قرّاء "أعمدة ساحلية" مستند قيِّم به لمحات للتحولات والتغيرات لعملية الخلق الأدبية التي قام بها الكاتب، أو على الأقل، يمكنهم أن يفهموا التاريخ الأدبي للكاتب الذي وُلد في "أراكاتاكا".

أحيانًا ما لا ترتبط حالة الأدب بالواقع وكذلك الأمر بالنسبة إلى السياسة، على الأقل هذا هو الواقع في بلد مثل كولومبيا التي لم تنشر حتى الآن ولو طبعة واحدة جيدة لروايات وقصص "ماركيز". أي بلد آخر كان ليهتم بنشر طبعة تليق باسمه.

في 25 مارس 1981، قبل عدة أسابيع من ظهور رواية "سرد أحداث موت معلن" وبعد شهور قليلة من نشر مقالات "أعمدة ساحلية"، لجأ "ماركيز" إلى السفارة المكسيكية، ثم غادر كولومبيا سريعًا عندما علم أن منزله سوف يتعرض لإغارة، وأنه سيُقبض عليه والتحقيق معه بسبب معارفه واتصالاته بجماعات يسارية مسلحة وتمويله لتدريب هذه الجماعات في كوبا. هذه الحادثة المخزية وضعت السلطات الكولومبية في موقف جعلها تبدو غبية، وأكدت ثلاث صفات خاصة بهذا البلد: عدم كفاءة الحكومة، والنقص الشامل للشفافية في الحكومة، ومدى استقامة الإعلام. كتب "ماركيز" في عمودين صحفيين عن موقفه وأسباب تصرفاته، وأيضًا عن رأيه عمَّا إذا كانت تفسيرات السلطة تستحق التصديق أم لا. كتب العمود تحت عنوان "وداع قصير لرائحة الجوافة" – Brief Note of Goodbye to the Smell of Guava، في 3 أبريل 1981. وكان العمود الثاني تحت عنوان "نهاية حادثة غير مرغوب فيها"، نُشِر بعد خمسة أيام لاحقة. يقول في الأول:

"بعد خمسة وعشرين عامًا، أصبحت لديَّ نية أكيدة وسعيدة لكي أعيش في وطني، ولكن في تلك البيئة الحافلة بالكثير من الارتجال والأخطاء، وصلتني أنباء مؤكدة أن أمرًا باعتقالي قد صدر من القضاء العسكري. ليس لديَّ ما أخفيه ولم أستعمل يومًا سلاحًا سوى آلتي الكاتبة، لكنني أعلم كيف تتصرف السلطات العسكرية في حوادث مماثلة، مثل ما حدث مع شخصية محترمة مثل "لويس بيدالس". ظننت أنني سأقلل من احترامي لنفسي إذا سهلت عليهم تنفيذ مثل هذه الإجراءات. أكدت لي السلطات المدنية، التي أحتفظ داخلها بالعديد من

الأصدقاء القدامى، أن لا شيء يُخطط ضدي. لكن في حكومة يقول فيها أحدهم شيئًا ويفعل الآخرون شيئًا آخر، وحيث يحتفظ العسكريون بأسرارٍ لا يعلم المدنيون أي شيء عنها، فمن المستحيل أن يميز الحرء بين ما هو حقيقي وما هو غير ذلك [...]. لذلك، والألم يملؤني، أجبرت على الرحيل - لا أعلم حتى متى - وهجر حنيني المؤلم إلى رائحة الجوافة".

في الوقت الذي أعلنت فيه الحكومة الكولومبية حالة الطوارئ التي استهدفت بها كل قطاعات المجتمع المدني، منحت الحكومة الفرنسية الكاتب وسام فيلق الشرف مع رتبة قائد عام، وفي العام التالي، منحته الحكومة المكسيكية أكبر جائزة لديها، جائزة النسر الأزتيكي.

ستأتي هذه الأعوام الحلوة المرة ومعها أيام أشد مرارة. في 31 يوليو، سقطت طائرة "عمر توريخوس" ومات في بنما. وعندما سُئل "ماركيز" عن سبب عدم حضوره الجنازة، أجاب: "أنا لا أدفن أصدقائي". تكرر موقفه ذاك، لكن ربما لم يحضر لأنه ظن أن ملك الموت سيظن أنه يتحداه، خصوصًا أنه كان سيصحب الجنرال في تلك الرحلة.

كما هو الحال في الأعوام السابقة، كان هناك أيضًا في عام 1981 قائمة بالمرشحين للحصول على جائزة نوبل للآداب. ليس مؤكدًا ما إذا كانت هذه القائمة هي من اجتهادات الصحفيين الباحثين عن الأخبار، أم من المرشحين الدائمين ذاتهم الذين دومًا ما يقامرون لعل حظهم يصيب في النهاية، أم أنها أخبار تسربها الأكاديمية السويدية لاختبار رد فعل الرأي العام. على أية حال، كان اسم الكاتب مع باقي المرشحين المحتملين، والذين لا يتذكر أحدٌ أسماءهم الآن. ذُكِر اسم الكاتب البلغاري من أصول يهودية

"إلياس كانتي"، وهو معروف لكثير من القراء، والذي إلى حد ما يمكن تذكره بروايته المعنونة "طريق الإيمان". هذه الرواية هي الأولى من تأليفه. نشرت عام 1935، وقتها كان الكاتب يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، وطبقًا لمقولة "كلوديو ماجريس": "إنها ما زالت رائعته، ومن أعظم الكتب التي صدرت خلال القرن العشرين، إنها رؤية ومثال مرعب من الجنون المطبق التي خضع لها يومًا المنطق الغربي".

كان بعض الكولومبيين على دراية بهذه التوقعات المبكرة وتناسوا الموضوع كلية، حيث كان لأمريكا اللاتينية خبرة سابقة لا تُنسى في هذا الشأن؛ ظل "خورخي لويس بورخيس" في قائمة المرشحين لعدة سنوات. على أية حال، أمِل الجميع أن الشيء نفسه لن يحدث لـ"ماركيز". على الرغم من أن الكاتب "فيديادر سوراجبراساد نيبول"، انتظر تقريبًا خمسة وثلاثين عامًا حتى يحصل عليها، فحالته هذه تعتبر مثالًا واضحًا لعجز الأكاديمية السويدية من تحديد مؤكد لاسم الكاتب الفائز بالجائزة.

بالنسبة إلى البعض، كان هذا "الاعتراف" بـ"ماركيز"، على الرغم من أنه يستحقه – غير ضروري. لأنه أصبح منذ عدة سنوات أكثر الكتّاب شعبية وقراءة مقارنة بأي كاتب آخر على مستوى العالم. وبالنسبة إلى آخرين، فإن هذا الكاتب المولود في مدينة "أراكاتاكا"، استطاع بـ"مئة عام من العزلة"، أن يحقق الخلود، تمامًا كما فعل "ميلكياديس" في الرواية وتنبأ قبل مئة عام بنهاية عشيرة "بونديا". وبالنسبة إلى كثيرين، استطاع المؤلف أن يتغلب على الكثير من العقبات التي تعتبر بالنسبة إلى أي شخص آخر عسيرة الحل تمامًا، لذا ودون الاعتراف بتميزه وتفرده ككاتب، استطاع أن يبني عالمًا خياليًا متفردًا

لا يتكرر في الأدب. لذا، وفوق كل شيء، فإن اعتراف الأكاديمية به لن يكون سوى تأكيدًا لما يراه الجميع فيه؛ "ماركيز" هو مؤلف أفضل رواية كُتبت باللغة الإسبانية منذ رواية "دون كيخوتيه".

في مايو 1982، أصبح عضوًا في تحكيم الدورة الخامسة والثلاثين بمهرجان "كان" السينمائي، ونشر كتاب "رائحة الجوافة". وهو حواراته التي أجراها معه "بلينيو أبوليو ميندوثا" وهو كتاب جامع لمسيرته وحياته كاتبًا وصحفيًا.

وبعد رفضه عدة مرات، وافق أن يجري حوارًا مع مجلة "بلاي بوي". أجرت "كلوديا درايفوس" المقابلة معه في باريس، واستمرت لعشرين ساعة. نُشر الحوار في فبراير من العام التالي، وفيها فسَّر بداية أسطورة المدينة الخيالية "ماكوندو"، عندما ذهب بصحبة والدته إلى "أراكاتاكا" لكي يبيعا منزل جديه، قال:

"[...] إن المشاعر التي سيطرت عليَّ هي أن المدينة بأكملها قد ماتت. حتى هؤلاء الذين ظلوا على قيد الحياة بدوا كالموتى. تذكرت من عرفتهم بها في السابق، وقد أصبحوا الآن في عداد الموتى. أدركتُ حينها أن كل القصص التي كتبتها حتى ذلك الحين لم تكن سوى اجتهادات فكرية لا صلة لها بالواقع. عندما عدت إلى "بارانكيا"، جلست إلى الآلة الكاتبة على الفور وبدأت أكتب أول رواية لي، مدينة "ماكوندو" هي مسرح أحداثها الأساسي".

عاد "خيرمان أرسينيجاس" إلى كولومبيا عام 1978 كي يحتل وظيفة في جامعة "دي لوس أنديز"، أولًا، عميدًا لكلية الفلسفة والآداب ثم أستاذًا في "كاندرا دي أميركا". في الوقت نفسه، أسس وأصبح محرر مجلة "كوريو دي

لوس أنديز". قابل في منتصف عام 1982، مدرسًا للآداب عند باب الخروج لمسرح "كولون". عرض عليه ذلك المدرس أن يقله حتى منزله بسيارته، لأن الأستاذ "أرسينيجاس" كان سيستقل سيارة تاكسي حتى منزله. كانا وهما والسيارة تعبر المدينة، عندما سأله "أرسينيجاس": "ماذا سنفعل في المجلة إذا فاز "ماركيز" بـ"نوبل"؟". لم يسمع المدرس أي إشاعات بخصوص هذا الأمر، لكن إجابته كانت حادة وصريحة:

"لن يمنحوه إيّاها! أيضًا يا لها من مصيبة! هل تتصور ما الذي سوف يحدث؟ ومن ذاك الذي سوف يستفيد من ذلك؟ ومن سوف يكون قادرًا على التهام وابتلاع هذا القطر بذلك النشاط المتوهج للقوميين؟ سوف نصبح في موقف لا يطاق".

تغيَّر مجرى حديثهما في أثناء مرورهما من أمام المتحف الوطني. تذكَّر "أرسينيجاس" حفل افتتاح المتحف في 9 أبريل 1948، وفي الوقت نفسه على بعد عدة شوارع، كانوا يغتالون "جيتان"، ولكن عندما وصلا إلى منزله، سأله "أرسينيجاس" مجددًا: "لو منحوا "نوبل" لـ"ماركيز"، ماذا سنفعل في المجلة؟"، أجابه المدرس:

"أخبرتك أنهم لن يفعلوا، وإذا حدث ذلك، فلديَّ نسخة من أعمدته الصحفية التي كتبها في "إل إيرالدو"، لكنها لم تسجل في كتاب "جاك جيلادر" المعنون "الأعمدة الساحلية". لذا إذا أعطوا ماركيز جائزة نوبل، يمكن لك أن تنشر هذا المقال بمقدمة من عندك".

خرج "أرسينيجاس" من السيارة بجهد بالغ، تقدم في العمر حتى بدا وكأنه جزع شجرة جاف. كان التعبير الذي ارتسم على وجهه يشي بأنه

غير مقتنع بهذا الاقتراح، قال: "إلى اللقاء أيها الشاب الجامح، أنا ممتن لك إلى أبعد حد ممكن". تذكر عندما دخل منزله، أنه قابل "ماركيز" منذ سبعة وعشرين عامًا عندما كان صحفيًا شابًا في الثمانية والعشرين من عمره ويغطي قمة جينيف عام 1955 مراسلًا لصحيفة "إل إسبكتادور"، وكان "أرسينيجاس" في ذلك الحين، يبلغ من العمر خمسة وخمسين عامًا ويعمل مراسلًا لصحيفة "إل تييمبو".

بعد مرور ثلاثة أشهر، في ثالث خميس من شهر أكتوبر، كانت السماء غائمة لكن دون أية علامات على هبوب عاصفة. مع ذلك، وبعد السابعة صباحًا بدقيقة واحدة، أعلن "خوان خوسين" في الراديو بصوت منفعل: "كولومبيا! فاز "جابرييل جارثيا ماركيز" بنوبل في الأدب". أما المدرس الذي اعتاد منذ حواره مع الأستاذ "أرسينيجاس" أن يستمع إلى أخبار الصباح، فأسقط من يده كل شيء وطلب رقم الأستاذ من دون التفكير في عدم لياقة مكالمة أحد في هذا الوقت المبكر،

"شيء مدهش، لقد منحوا جارثيا ماركيز جائزة نوبل في الآداب". أجابه أرسينيجاس:

"ونحن سنذهب إلى الجحيم!"،

ثم وضع السماعة.



لا تزعجني مرة أخرى..

بموضوع نوبل هذا

على الرغم من أن شهرين ما زالا يسبقان الاحتفال الرسمي للجائزة التي يسلمها الملك السويدي "كارل جوستاف" للفائز، فإن الاحتفالات بدأت في كولومبيا بعد دقائق من إذاعة الخبر، وبدأت العديد من المجموعات التخطيط لمصاحبته إلى ستوكهولم في العاشر من ديسمبر. أصبح صخب الوطنيين مستوليًا على القطر كله. كان هناك الكثير من المكالمات التليفونية، والزهور، والتهاني، والأصدقاء الذين أرادوا أن يهنئوا "ماركيز" شخصيًّا، وصحفيون تواصلوا معه من أجل مقابلات حصرية، وهو ما دفع به وبزوجته إلى اللجوء إلى أحد الفنادق غير المعروفة للهروب من كل ذلك. كانت أولى المقابلات الصحفية التي أجراها في اليوم التالي مع صحفي مجلة "كروموز" Cromos "إيربيرتو فيوريّو". طبقًا لهذه المقابلة، ختم الصحفي المقابلة بالقول إنه: "وهو يودعني، ويستعد لدخول استوديو الكتابة الخاصة به، التفت إليَّ فجأة وتحدث بجدية قائلًا: "وأرجو ألا تزعجني مرة أخرى بموضوع جائزة نوبل هذا". كان طلبه ذلك بمنزلة رد فعل لم يعبِّر بشكل كامل عن حالة عدم الثبات التي سيطرت عليه. وفي الكتاب السيرة الذاتية "جابرييل جارثيا ماركيز: حياته" كتب مؤلفه "جيرالد مارتن" قائلًا إن تلك الحالة من عدم الثبات قد امتدت لتصيب جميع من بمنزله، "صاحت مرسيدس قائلة: "يا إلهي، ما هذا الذي يحدث لنا!".

بعد ثلاثة أيام، في 24 أكتوبر، كتب سلمان رشدي في صحيفة "صن داي تايمز":

"إنها واحدة من أصوب الاختيارات التي صدرت من المسؤولين عن نوبل منذ عدة أعوام. إنه واحد من قلائل السحرة في زماننا الحالي في عالم الأدب. إنه

فنان يمتلك ميزة كتابة أعمال فنية على أعلى مستوى تصل إلى قلوب الناس وتسحرهم. ورائعة ماركيز "مئة عام من العزلة" أعتبرها واحدة من اثنين من الأعمال المتكاملة المهمة في عالم الأدب منذ نهاية الحرب".

كان ذلك رأي جميع من عرفوا أن "ماركيز" هو الفائز بـ"نوبل"؛ لم يحصل اختيار للأكاديمية على مثل هذا القبول من قبل.

ما أسعد قراءه أكثر كان صدور مجموعة ثانية لمقالاته الصحفية في مجلدين في نوفمبر تحت عنوان "وسط أهالي بوجوتا". وكما حدث فيما سبق من مجموعات مقالاته الصحفية، كان محررها هو "جاك جيلارد"، وهو أستاذ الأدب الإسباني- الأمريكي في "جامعة تولوز" بفرنسا، وقد أمضى أعوامًا عدة من حياته المهنية يدرس ويبحث في أعمال "ماركيز"، و"ألبارو سبيدا"، و"ريمون فينياس" و"مارفل مورينو".

"وسط أهالي بوجوتا" هو مجموعة لمقالات "ماركيز" التي نُشرت في "إل إسبكتادور" بين عامي 1954 و1955.

ألقى "ماركيز" خطاب قبوله الجائزة - أسماه "عزلة أمريكا اللاتينية" - في القاعة الرئيسة للأكاديمية السويدية يوم 8 ديسمبر، أي قبل يومين من الاحتفال الرسمي، كما هو معتاد. قبل أن يلقي خطابه بساعات أعطاه لـ"ألفونسو فيونمايور" كي يقرأه ويعطيه رأيه فيه. حكى "فوينمايور" قصة ما حدث "عرض من عروض جائزة نوبل"، وكانت ضمن مجموعة مقالات بعنوان "من أراكاتاكا حتى ستوكهولم".

"يا مايسترو، اقرأ هذا وأخبرني.."

حيث فهم من عيني، أنني أبحث عن مقعد أجلس عليه، قال:

"اجلس أو أرقد على السرير، لكن تذكر أن هيمنجواي، كامو، الرجل العجوز فوكنر- ذاك الذي نعرفه، وبعض النساء مثل سيلما وجابريللا نمن أيضًا على هذا السرير".

قلت: "نام عليه أيضًا الكاتب جيد، الذي لا أود أن يلتصق بي شيئًا يخصه".

سألني "ما الذي تظنه؟".

أجبت: "شيء عظيم، إنه أمر مفيد لي. والآن كما أظن، أفهم مركزك السياسي والكثير من الأمور الأخرى...".

ثم أخبرني "ما الذي قرأته توًا، هل هو "مئة عام من العزلة أم أقل...؟".

كتب "ماركيز" خطابه "عزلة أمريكا اللاتينية" من أجل الأوروبيين تحديدًا. كان ليوصف بالغباء لو أنه لم يستغل فرصة كتلك. إنهم يصرون على "وضعنا في القالب نفسه الذي يضعون أنفسهم فيه دون أن يأخذوا في اعتبارهم أن الحياة تختلف من إنسان لآخر، وأن البحث عن هوية الفرد صعب ويكاد يكون مستحيلًا بالنسبة إلينا". بدأ خطبته بعرض مفصل عن "أنطونيو بيجافيتا" ورحلاته عبر أمريكا الجنوبية لكي يرى العالم أن الأدب اللاتيني نبع من حكاياته عن تلك المغامرات. "إن هذا الكتاب الصغير المدهش، الذي نرى فيه لمحة من رواياتنا الآن، ليس الدليل الوحيد المدهش عن واقعنا في ذلك الوقت. إن "حكايات الإنديز" – " The Chronicles of the Indies" قد أعطانا الكثير من القصص والحكايات لنرويها". بدأ بعدها الحديث عن الصراعات السياسية والاجتماعية في المنطقة، وعن أولئك الذين نُفوا خارج بلادهم، والذين يختفون قسريًا،

والجرائم التي ترتكبها الدولة، ثم ختم قائلًا بقوة: "وهذا، أيها الأصدقاء هو قلب عزلتنا".

لم ينسَ في خطبته أن يذكر أولئك الذين فازوا بالجائزة قبله وشكرهم لأنهم أعدوه لقبول هذه الجائزة والتعبير عن امتنانه. ذكر بعض الأسماء، لكن ليس جميعهم، ربما مال إلى ذكر أسماء الذين أحبهم منهم وأُعجب بهم. أولئك الذين ذكرهم تحلّوا بنوع من الإيمان في البشرية وفي الكلمة المكتوبة: "توماس مان"، و"بابلو نيرودا"، وبالطبع، أستاذه في الكتابة، "ويليام فوكنر". قال في الفقرة التي اختتم بها خطبته:

"في يوم مثل هذا، فإن معلمي، ويليام فوكنر قال وهو يقف في مكاني هذا "أنا أرفض فكرة نهاية الإنسانية". لم أكن لأشعر بأنني أستحق أن أقف مكانه هنا لو أنني لم أكن على دراية تامة بأنه وللأول مرة منذ نشأة الإنسانية، أن المأساة الكبرى التي رفض هو قبولها منذ اثنين وثلاثين عامًا أصبحت الآن حقيقة علمية بسيطة. والآن ونحن في مواجهة ذلك الواقع المهيمن الذي بدا كنوع من اليوتوبيا عبر تاريخ البشرية، فإن الحكّائين أمثالي، يمكنهم أن يصدقوا أي شيء، وأن يشعروا بأنهم يملكون الحق في أن الوقت لن يفوتهم أبدًا لكي نبدأ في خلق نوع آخر من اليوتوبيا الخاصة بنا؛ يوتوبيا لا حدود لها، مستمرة إلى الأبد، حيث لا يتحكم أحد في الطريقة التي يموت بها الآخرون، وحيث يمكن للحب أن يصبح حقيقة، والسعادة ممكنة، وأن تحصل العائلات التي حُكم عليها بأن تقضي مئة عام من العزلة على فرصة ثانية للحياة على هذه الأرض".

قبل اثنين وثلاثين عامًا، في 8 ديسمبر 1950، قال "الرجل العجوز الذي نعرفه" – "فوكنر" كما وصفه "ماركيز" – في خطابه إنه في تلك المهنة لا

مكان سوى للحقائق القديمة والمعتقدات الراسخة في القلب، "الحقائق الكونية القديمة – فإذا خلت أي قصة منها فسيكون مصيرها الزوال – مثل الحب، والشرف، والرأفة، والكرامة، والتعاطف، والتضحية". وأضاف أنه يستغل فرصة وقوفه في ذلك المكان لكي ينصح "من يستمع إليه من الشباب الذين أفنوا أنفسهم من أجل الكرب والمعاناة، ومنهم سيقف واحدٌ في هذا المكان الذي أقف فيه الآن". وهو ما كان، فحين وقف العجوز الأمريكي الجنوبي، في ستوكهولم في درجة حرارة تحت الصفر، كان هناك شاب هزيل في الثالثة والعشرين من عمره، يعاني حرارة شمس "بارانكيا"، ويكتب عن فوز أستاذه بـ"نوبل" بشعور واضح بالاحتجاج:

"على غير المعتاد، دائمًا ما تُمنح جائزة نوبل للآداب إلى مؤلف له سمعة ممتازة، بل وحتى له أهمية باعتباره أعظم روائي في العالم والأكثر قبولًا خلال كل الأزمان. لعل المايسترو "ويليام فوكنر، في منزله المنعزل بمدينة أكسفورد، ولاية ميسوري، قد وصلت إليه أنباء عن فوزه بالجائزة فاستقبل الخبر ببرود رجل يرى زائرًا قد جاءه متأخرًا، ولن يضيف شيئًا كثيرًا لعمله الصبور كاتبًا روائيًا. لكن، بديلًا عن ذلك، سوف يتركه متمتعًا بميزة غير مريحة هي أن يصبح مسايرًا لموضة زمانه".

على الرغم من أن "ماركيز" لم يأخذ راحة من الكتابة عام 1983، فإن الحقيقة هي أن إنتاجه الأدبي لم يخرج سوى في عموده الأسبوعي في صحيفتي "إل إسبكتادور" و"البابيس". ففي كل حال، أعطاه فوزه بـ"نوبل" منظورًا مختلفًا وإمكانيات جديدة لكي يشارك في أشياء أخرى.

سأله "إيربيرتو فيوريو" في مقابلة لصحيفة "كروموس" في اليوم التالي للإعلان عن الجائزة: "ما الذي تقدمه جائزة نوبل للكاتب؟"، أجابه قائلًا:

"لا أعرف. يعتمد الأمر على الظروف [...] تمنحك "نوبل" قراءً أكثر عددًا ونوعًا من القوة. وعندما أقول سلاحًا سياسيًّا مثلًا، فأنا لا أعني انتخابات مجلس الشعب مثلًا؛ بل أعني إمكانية الإسهام في حل مشكلات مثل تلك التي تعانيها بلاد أمريكا الوسطى أو أمريكا اللاتينية على وجه العموم، وهذا هو ما يهمني حقًّا".

المساعدة على حل المشكلات سواء عن طريق المشاركة الصريحة أو تقديم النصيحة سرًّا، دون فقدان الإحساس بالواقع، ودون تجاهل الالتزامات الملقاة على عاتق كل كاتب ثوري، كل هذا سيتحقق فقط عند الكتابة بشكل جيد، وهو بالطبع أمر شديد الأهمية بالنسبة إليه. الأمر الآخر الذي توصل إليه في تلك الأيام هو أن جائزة "نوبل" تُمنح للمؤلفين الذين كتبوا بالفعل كبرى أعمالهم. لكنه كان لا يزال يريد أن يقول الكثير من الأشياء، وأن يكتب العديد من القصص؛ لكن تلك الجائزة وضعته كمؤلف حصل على أرقى جائزة يمكنه أن يطمح إليها تحت الاختبار. تنبأ البعض أن "ماركيز" لن يكتب مرة أخرى، وأن تلك الجائزة كانت بمنزلة الطعنة المميتة التي أصابت مخيلة الكاتب ومهارته الروائية في مقتل.

خلال ذلك الوقت، وعندما بدأت أفكاره ومعتقداته تستقر، وبعد أن مرت ضجة الاحتفالات بحصوله على الجائزة، أصبح لديه وقت كافٍ لأن يعبِّر صراحة عن آرائه السياسية في أمريكا الوسطى وكولومبيا، وأن يشرف ورشة كتابة أقامتها "سيمانا" وأن يقابل "خايمي بايتمان"، قائد الحركة الثورية "M19" في فبراير، قبل شهرين من اختفاء الطائرة التي استقلها

"بايتمان" مسافرًا من "سانتا مارتا" إلى "بنما"، حيث اختفت في مكان ما في غابات "دارين" أو ربما تكون قد وقعت في البحر الكاريبي. بعدها بعدة أشهر، نشرت مجلة "سيمانا" مقالًا مفصلًا كتبه "ماركيز" تحت عنوان: "بايتمان: غموض لا نهاية له"، وفيه يرسم لوحة لذلك القائد الأعلى ومؤكدًا استعداد حركة "M19" على أن تبدأ في الحوار مع الحكومة ومقابلة ممثلي الرئيس. كان هذا هو سبب رحلته غير المخطط لها إلى "بنما". بعدها، وصف "ماركيز" بالتفصيل جهود فرق الإنقاذ للعثور على الطائرة المفقودة:

"بحثت الطائرات التابعة لدولة بنما روتينيًا على الطائرة المفقودة لمدة ثمانية أيام. وكل أنواع المؤسسات العامة والخاصة صممت على إتاحة فرصة بحث تستمر عدة أسابيع أخرى. ثم جندت الفرقة M19 شبكة تبحث في مساحة تزيد على خمسين ألف كيلومتر مربع، ولمدة سبعين يومًا، أدوا مجهودات مضنية للبحث في تلك المعالم المجهولة من غابات "أورابا"، على جانب حدود كولومبيا، ثم على جانب الجانب الآخر من الحدود مع شوكو حتى عاصمة بنما نفسها. وطبقًا لمعلومات البحث التي قدمتها جهات البحث، يتضح أنه كان هناك ما بين عشرين إلى ثلاثين طائرة سقطت في هذه المنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وعُثِر على أربعة منها فقط. واحدة من الدوريات التي كانت تبحث عن طائرة إسكوبار (أنطونيو إسكوبار، وهو الطيار)، عثرت على حطام هذه الطائرة التي سقطت عام 1963, كانت مشتبكة في أشجار الغابة على بعد عشرين مترًا من طريق للسفر، آخرون عثروا على معدات دفاع أمريكية لا أحد يعلم منذ متى مفقودة، في مملكة متسعة لا نهائية من

أوراق وأغصان الأشجار والمستنقعات، فيها بالكاد تستطيع أشعة الشمس أن تنفذ، وحيث تغلف الأوراق والأغصان أي طائرة وتستقر هذه في قاعها".

في مارس، استطاع "ماركيز" أن يجد الوقت لحضور اجتماع دول عدم الانحياز الذي عُقد في مدينة "نيو دلهي" بالهند. كانت كولومبيا قد انضمت حديثًا إلى دول عدم الانحياز. وسلَّم "فيدل كاسترو" رئاسته للحركة إلى السيدة "أنديرا غاندي"، وكان "ماركيز" مهتمًّا بلقائها لأنها "كانت تستعد لكي تقود ثلثي قادة العالم لثلاثة أعوام"، كما كتب في عموده الصحفي تحت عنوان "اتفاق بابل".

عاد في منتصف أبريل إلى كولومبيا وظل يتنقل بين "بوجوتا" و"كارتاخينا". إضافة إلى نشاطاته السياسية وأعمدته الأسبوعية، نُشرت مجموعة مقالاته الصحفية الثالثة تحت عنوان "عن أوروبا وأمريكا" De Europa y América، وهي مجموعة لمقالاته التي نُشرت بين 1955 و1960 عندما كان مراسلًا في أوروبا، ثم تنتهي بمقالاته التي كتبها وهو في فنزويلا.

في أكتوبر، عاد إلى موضوع جائزة "نوبل"، عندما منحتها الأكاديمية في ذلك العام لـ"ويليام جولدنج"، مؤلف رواية "أمير الذباب"، وتساءل عن الطريقة التي مر بها يوم الكاتب الإنجليزي وهو في قريته الصغيرة التي لا يزيد عدد سكانها على 500 فرد، وعمًّا إذا قد شعر بالذعر نفسه الذي سيطر على "ماركيز" عندما بدأ في كتابة الخطبة التي ألقاها فيما بعد. كانت نتيجة ذلك التساؤل هي عمود كتبه تحت عنوان: "ويليام جولدنج، كما يراه جيرانه"، وذلك لأن الفائز بالجائزة في العام الذي سبقه، تحدث مع أحد جيرانه عبر الهاتف قائلًا:

"لا أحد أزعج السلام الفرجيلي لقرية "آبل سانش" الإنجليزية، حيث يستقر كوخ عائلة الكاتب "جولدنج" وهو يستقبل المكالمات التليفونية والبرقيات الواردة من كل أنحاء العالم. هذه العائلة ومعها 600 من سكان هذه القرية هم إنجليز يعلمون أن جائزة نوبل لا تسقط من السماء كل يوم، لكن هذا، على كل حال، ليس على هذه الدرجة من الأهمية لدرجة أن يزعج الحياة الخاصة للجيران الطيبين. لا شك أن "جولدنج" نفسه كان مهمومًا بهذا الخطاب الذي يجب عليه أن يلقيه في ستوكهولم بعد 60 يومًا بدت وكأنها لن تنتهي".





لا ورود دون أشواك

بعد انقضاء فترة راحته غير المعلنة عام 1983، بدأ كتابة رواية "الحب في زمن الكوليرا"؛ وهي رواية درسها جيدًا وخصوصًا مع والديه، حيث ناقشهما كلًا على حدة في قصة حبها، التي أصبحت نواة تلك الرواية. ظل يدير ذلك الموضوع في رأسه حتى أعلن عن نيته كتابة قصة حب، ثم بدأ الكتابة. في منتصف العام، في 28 أغسطس، نشرت الصحيفة المدريدية "البابيس" مقالًا للكاتب البرازيلي "إريك نيبومويننو"، وهو صديق "ماركيز" ومترجمه إلى اللغة البرتغالية، كتب فيه أن "ماركيز" لخص له الرواية في جملة واحدة:

"إنها قصة رجل وامرأة يحبان بعضهما لدرجة اليأس، لكنها لا يستطيعان الزواج لأنهما لا يزالان صغيرين للغاية - في العشرينيات من عمرهما – ولا يستطيعان أن يتزوجا بعد أن بلغا الثمانين من عمرهما بعد أن مرا بكل أهوال الحياة، لأنهما أصبحا عجوزين للغاية [...]".

كتب "نيبومويننو" بعدها بعدة سطور:

"كتب هذه الرواية معتمدًا على أسس كتابة الرواية الرومانسية في القرن الماضي، وخصوصًا الرواية الفرنسية. إن "جارثيا ماركيز" يخطو على حبل رفيع يفصل بين ما هو رديء وسيئ.

الحقيقة هي أن هذه الرواية منذ أن أعلن أنها نجحت في الحصول على عدد كافٍ من التوقعات، لكن ليس بسبب ما كتبه "إريك نيبومويننو" ولكن لكونها أول عمل للكاتب بعد فوزه بجائزة "نوبل". بالطبع، إن أي فائزة بـ"نوبل" غير مطالب بالكتابة بعد حصوله على مثل تلك الجائزة، ولكن في مخيلة القرّاء والرأي العام، فإن تلك الجائزة تمنحهم الحق في أن تصبح لديهم

توقعات عالية؛ فالبنسبة إلى معظم الناس، إن العودة إلى الكتابة مجددًا تحديًا. إن كلمات العنوان، "الحب" و"الكوليرا" (والتي تعني في اللغة الإسبانية أيضًا: الغضب) تحمل في طياتها افتراضات تميل إلى أن تفاقم هذه التوقعات. في رواية "مئة عام من العزلة" عندما اكتشف "خوسيه أركاديو" أن ريبيكا في علاقة حب مع "بيترو كريسبي"، وأن "أمارانتا" متيمة و"أورليانو" مسحور بـ"ريماديوس"، ابنة أسوأ أعدائه، يعلن أن "الحب هو الطاعون".

كان هناك فأل حسن آخر - على الأقل بالنسبة إليه – حيث ترك الآلة الكاتبة، وبدأ يستخدم الكمبيوتر. قال إنه سعيد للغاية لأنه الآن سوف يستغرق كتابته لرواية ما ثلاث سنوات وليس خمسًا. الكتابة باستخدام الآلة الكاتبة جعلت الأمور أكثر صعوبة بالنسبة إليه. ففي سعيه لكي ينتج عملًا لا أخطاء به، أو أي كلمات معدلة بخط اليد، كان عليه أن يعيد الكتابة مرارًا وتكرارًا حتى يخرج نصًّا نظيفًا تمامًا. اعترف في لقاء أجراه في "كارتاخينا" في 26 مارس 2007، "أنه ظن خطأً أن أخطاء الكتابة، أو اللغة، أو النحو هي أخطاء متعلقة بعملية تأليف الرواية نفسها، لذلك ففي كل مرة أكتشف فيها خطأً من ذلك النوع، كنت أكرمش الورقة وألقي بها في سلة المهملات وأبدأ من جديد".

الآن سهَّل الكمبيوتر عمله، وقلل زمن كتابة الرواية من خمسة أعوام إلى ثلاثة. كان واضحًا أن الكمبيوتر قد أصبح بمنزلة هدية من السماء له، فهو لم يعد في حاجة إلى إعادة كتابة صفحة ما عدة مرات حتى يرضى عنها تمامًا. لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة إلى أي قارئ أو باحث أراد أن يرى كل ما شطب عليه الكاتب، أو عدَّله، أو أعاد كتابته. إن الباحث والقارئ الفضولي اللذين يستمران في التساؤل عمَّا مر به في أثناء الكتاب،

لن يجدا أمامهما سوى صفحة نظيفة خالية من كل ما مر به "ماركيز" من شك وما شعر به من مخاوف في أثناء الكتابة.

"لا ورود دون أشواك" هو القول الشائع. في 12 فبراير 1984، مات الكاتب الأرجنتيني "خوليو كورتاثر" في باريس. تعرفا على بعضهما بعد صدور "مئة عام من العزلة" بوقت قصير، حيث انبهر بها الكاتب الأرجنتيني، كتب قائلًا: "قرأت مئة عام من العزلة بنوع من الاندهاش، وأنا أشكرك كثيرًا لأنك أرسلت نسخة إليَّ". كان ذلك هو نص رسالته إلى "باكو بوروا" في أغسطس 1967. كتب له أيضًا:

"بالطبع سوف أكتب لـ"ماركيز" (الذي غمز لي أنا وفيوننس في هذه الرواية، أرى أن هذا مؤثر للغاية): سوف أرسل إليك الخطاب لكي ترسله إليه لأنني لا أملك عنوانه. يا له من كتاب رائع. في السنوات الأخيرة، لم أقرأ ما يشبه تلك الرواية، لا شيء يُقارن بها عدا رواية "ليثاما ليما" "الفردوس". كتب لي "فوينتس" من البندقية، وهو مثلي تمامًا، معجب بها للغاية. على أية حال، نحن الكتَّاب العجائز نستطيع أن نموت الآن ونحن مطمئنين على السفينة وقد أصبح لها قبطان مثله".

تعرَّف "ماركيز" على "كورتاثر" في بدايات الخمسينيات، وكتب عنه عمودًا بعد موته تحت عنوان: "الأرجنتيني الذي جعل الجميع يحبونه": "قرأت مجموعته القصصية الأولى "بستياريو" Bestiario في أثناء قضائي لليلة في فندق رخيص بـ"بارنكيا"، حيث كلفني المبيت به واحد ونصف بيزو لليلة الواحدة، وحيث يقضي لاعبو الكرة ذوو الدرجة الثانية والعاهرات السعيدات لياليهم. أدركت من الصفحة الأولى أنني أقرأ لكاتب أريد أن أصبح مثله عندما

أكبر". قابله "ماركيز" بعدها بنصف عقد في "مقهى البحار القديم" في باريس، حيث سمع أنه المكان الذي اعتاد "كورتاثر" الكتابة به. بعد عدة أيام من الانتظار الممتزج بالتوتر، رآه يدخل المقهى، ويجلس ويستمر في الكتابة لأكثر من ساعة، لكن الخجل أصاب "ماركيز" فلم يقم ليتحدث إليه. لاحقًا، تقابلا عدة مرات، وتشاركا عدة رحلات، وناصرا القضايا السياسية والاجتماعية نفسها.

بعد وفاته بعشرة أيام، كتب ماركيز عمودًا ممتلئًا بالذكريات، عبَّر فيه عن سعادته لأنه تعرف إلى مثل ذلك الكاتب:

"محبوب الجماهير يستدعي الاحترام، والحب والتبجيل، وبالطبع الحسد البالغ. لقد ألهمنا "كورتاثر" كل هذه العواطف كما يفعل القليل من المؤلفين، لكنه أوحى إلينا بعواطف أقل ترددًا وتكرارًا: إنها خاصية الإخلاص والتفاني؛ كان الرجل، لعله بلا قصد، هو ذلك الأرجنتيني الذي أحبه الجميع. مع ذلك، أجرؤ على القول إذا كان حقًا الموتى يموتون، إذًا لعل "كورتاثر" يجب أن يموت مرة أخرى بسبب ذلك الفزع العالمي الذي أحدثته وفاته. لم يكن أحد خائفًا مثله سواء في حياته الحقيقية أو الكتب، أو من إجراءات ما بعد الوفاة وتقديم العزاء ومسيرات الجنازات.. لهذا، ولأنني عرفت جيدًا "خوليو كورتاثر" وأحببته بكل جوارحي، أجدني رافضًا أن أشارك في رثائه أو تقديم الصلوات عليه. أفضل أن أظل مشتاقًا بالتفكير فيه كما لا شك كانت تلك إرادته. لذا بكل الرضى الكامل لأنه وُجد على الأرض، مصحوبًا بالفرح الغامر أنني عرفته، وأكون ممتنًا لأنه ترك العالم مخلفًا وراءه عددًا من الأعمال غير المكتملة وغير القابلة للفناء مثل ذكراه".

كان هذا هو العمود قبل الأخير الذي كتبه "ماركيز" لصحيفة "إل إسبكتادور" و"البابيس"، أمَّا الأخير فكان عنوانه: "حيل الإيمان" Las Trampas de la Fe (The Tricks of Faith)، حيث كتب فيه مرة أخرى عن "كورتاثر" ونُشِر بعد الذي سبقه بشهر واحد. كتب "ماركيز" فيه عن قصة وقوع كتاب "الجزيرة الأخيرة" (La Isla Final (The Final Island في يده. كما لو كانت هي طبعة ما قبل الموت مباشرة لهذا الكاتب الأرجنتيني. لكن في هذه المرة لم تكن الشخصية الرئيسة في الرواية ولد ألفاظه غير واضحة، ويؤكد "ماركيز" أن هذه الرواية ليست بقلم "كورتاثر"، لكنها عبارة عن مقتطفات وضعت جنبًا إلى جنب بواسطة بعض المحررين مستقاة من مقالتين كان قد كتبهما "كورتاثر" يعرفهما الكل، مع عديد من المقالات التي كتبها بعض الأساتذة والنقاد، معظمها نُشر من قبل.

"إنها ليست سوى حيل للنشر، تعتمد على ثقة القراء بمحاولة تسويق كتب، وما يوجد بداخلها ليس له أي صلة بما هو مدون على الغلاف".

ولأنه كان دائمًا ما يفكر في السينما، فإن ذلك العام لم يكن استثناءً؛ بدأ العمل على تصوير فيلم "إيرنديرا" المقتبس من قصته "إيرنديرا البريئة"، وأخرجه "روي جويرا".

أخذت الأحداث في كولومبيا في ذلك الحين، منحى مؤلمًا ودمويًا. فبعد توليه وزارة العدل بتسعة أشهر، أُطلق الرصاص على "رودريجو لارا بونيلّا" ذي الثمانية والثلاثين عامًا في سيارته، وهو في طريقه إلى منزله، في 30 أبريل. كانت تلك هي بداية الحرب بين كولومبيا وسادة تجارة المخدرات، حيث انتشرت الحرب في البلد كله وسببت شللًا للحياة السياسية،

والاجتماعية، والاقتصادية. بدأ نشاط تجّار المخدرات في كولومبيا منذ أواخر الستينيات، ولكن في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات اشتهرت أسماء كبار التجار مثل "بابلو إسكوبار"، والإخوة "أوتشوا باسكيث"، "كارلوس ليدير"، "جونثالو رودريجو جاتشا"، و"مانويل" و"جلبرتو أوريخويلا" وآخرين، نشبت الحرب بين المجتمع الكولومبي وملوك المخدرات الذين كان شعارهم: "نحن نفضل قبرًا في كولومبيا عن السجن في الولايات المتحدة الأمريكية". وأطلقوا على أنفسهم اسم "المعرضون للاستسلام" The Extraditables. وقعت كولومبيا عام 1979 اتفاقية مع واشنطن قام على إثرها سادة المخدرات بخطف وقتل قادة الدولة، وتنفيذ العمليات الإرهابية.

في مقالته التي كتبها عن كل هذا تحت عنوان "تعليقًا على جدال جديد عن المخدرات" Apuntes para un debate nuevo sobre las drogas (Notes for a New Debate on Drugs)، والذي أرسل قبل مقتل "بابلو إسكوبار" إلى العديد من المؤتمرات التي عُرفت باسم "تطبيق إجراءات العدالة: مشكلات وتحديات وتصورات" Escobar to the series of conferences known as, “La Procuración de Justicia: problemas, retos y perspectivas (The Administration of Justice: Problems, Challenges and Perspectives)، وتم إنشاؤها في المكسيك أواخر عام 1993، هنا يناقش الكاتب بالقول:

"أومن بأن الخطوة الأولى لإيجاد حل واقعي لمشكلة المخدرات في هي أن نعي ونعترف بفشل الوسائل التي نحاربها بها. إن تلك الوسائل

فاقت المخدرات في تسببها في تعقيدات وشرور أخطر أذت الدول المنتجة والمستهلكة على حد سواء".

وبعد عدة فقرات أخرى أضاف:

"والنتيجة هي أنه بعد أحد عشر عامًا (في كولومبيا على وجه الخصوص) انتشرت الجريمة على نطاق واسع، والإرهاب الغشيم، والخطف، والفساد وعنف لم يسبق له مثيل. هناك مخدر أعتبره أكثر خطورة تم غرسه في قلب الثقافة الوطنية: إنه الحصول على الأموال السهلة التي تدعو وتعزز فكرة أن القانون يمثل عقبة في سبيل السعادة، وأن تعليم الناس القراءة أو الكتابة لا يستحق، وأنه يمكن للإنسان أن يعيش وهو يشعر بأمان أفضل لو أصبح قاتلًا بالأجر بدلًا من أن يصبح قاضيًا مثلًا، وفي النهاية أصبح لدينا دولة الفساد الاجتماعي التي هي جزء من أي حرب مشتعلة".

في نهاية 1984، في 13 ديسمبر، تُوفي والده "جابربيل إليخيو ماركيز" في "كارتاخينا" وهو في الثالثة والثمانين. قبلها بثلاثة أعوام، كتب "ماركيز" عمودًا تحت عنوان "يوم أحد مجنون"، وفيه كتب عن تجربته مع أحد ناشريه الفرنسيين الذي كان يزور "كارتاخينا". في فترة ما بعد الظهر في ذلك الأحد، قال الكاتب إنه اصطحب الناشر إلى منزل والديه، حيث شعر بارتياح عظيم لأنه هناك سيكون في مأمن من الواقعية السحرية. وهو ما ألهم "ماركيز" للكتابة عن حياة والديه اليومية في بيتهما:

"كان من الأفضل بالنسبة إليه ألا يشعر بالارتياح. فكما قلت سابقًا، كان أبي قد أتم الثمانين منذ وقت قليل، وكانت والدتي في السابعة والسبعين، لكن هذا لم يعنِ أن يجلسا في مكانيهما دون أي نشاط. يسير

والدي يوميًا إلى منتصف المدينة، تحت وهج الشمس الحارقة، حيث فشلنا في إقناعه بالتوقف عن رحلاته تلك. ووالدتي كرّست حياتها لأداء الواجبات المنزلية، حتى إنها دائمًا ما تعيد غسل الأطباق التي خرجت من غسالة الأطباق غير نظيفة تمامًا كما رأت هي. سألها صديقي عمّا إذا كان هناك من يساعدها لكنها أجابته بطريقة تحدثها الخاصة: "لديّ سكرتاريتان". فسألها صديقي: "منذ متى؟"، فأجابته: "منذ خمسة عشر يومًا". كان سر والديّ هو أنهما لم يفكرا قطُّ في موضوع التقدم في العمر. اشترى والدي مؤخرًا سندات سيحصل على عائدها عام 2000، أي عندما يبلغ من العمر مئة سنة. أنبه أحد إخوتي فرد عليه بهدوء قائلًا: "لم أشترِها من أجلي، ولكن لكي أضمن لوالدتك حياة مريحة عندما تكبر".

بدأ "ماركيز" العمل على نص جديد في الشهور الأولى من عام 1985، قبل حتى أن تصل "الحب في زمن الكوليرا" إلى الناشرين في عدة دول. كانت الرواية الجديدة عن الأيام الأخيرة لـ"سيمون بوليفار" ورحلته على طول شاطئ نهر "مجدالينا". في صفحة الشكر في آخر الكتاب، الذي نُشر بعد أربعة أعوام، وصف أصل فكرة كتابة هذه الرواية:

"ظللتُ لعدة أعوام أستمع إلى "ألبارو موتيس" وهو يتحدث عن خططه لأن يكتب عن "سيمون بوليفار" ورحلته الأخيرة على طول شاطئ نهر ماجدلينا، وعندما نشر رواية "الوجه الأخير" El último rostro/ The Last Face بدت تلك القصة وكأنها أصبحت جاهزة وأسلوبها ونغماتها متقنة للغاية، لدرجة أنني توقعت أن أقرأها كاملة عما قريب. لكن مع ذلك، بعد مرور عامين، تأصل داخلي إحساس ويقين أنه قد أرجأ الفكرة ووضعها في طي النسيان، وهذا أمر

عادي، حيث إن الكثيرين من الكتاب تجدهم يفعلون هذا. هنا فقط جرؤت على أن أحصل على موافقته لكي أكتب هذه القصة بنفسي. كانت تلك صفعة متقنة بعد أحد عشر عامًا من الانتظار".

في 11 مارس 1985، انتُخب ميخائيل "جورباتشوف" سكرتير عام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي. وبعدها بعدة أشهر، أعلن أن الاقتصاد يعاني الركود، وأنه من الضروري أن تُجرى عدة إصلاحات مع إعادة هيكلة النظام الاقتصادي والسياسي. هنا ظهرت مصطلحات مثل "بيريسترويكا" و"جلاسنوست"؛ إعادة تأسيس النظام الاقتصادي والسياسي وهو ما ميَّز النظام الجديد بدءًا من عام 1985 (أصبح هذا النظام قائمًا بشكل رسمي خلال مؤتمر الحزب الشيوعي رقم 27 الذي استمر خلال شهري فبراير ومارس من العام التالي)، واستمر هذا الوضع الجديد حتى عام 1991. قاد هذا كله إلى تقديم "جورباتشوف" استقالته ثم إلى انحلال الاتحاد السوفييتي كلية.

في الوقت نفسه، في كولومبيا، تضافرت جهود عدة جهات، وقد عانوا وصارعوا من أجل التوصُّل إلى اتفاق سلام مع الحركات اليسارية، التي بدورها أرادت فرصة للحوار تمنحهم الفرصة لكي ينحُّوا أسلحتهم جانبًا وأن يدخلوا ساحة السياسة القومية. فشل كل شيء عندما سيطر جو من الاتهامات المتبادلة بين الأطراف على الحوار المتبادل بينها. في ذلك الحين، قُتل "إيفان مارينو أوسبينا" - الذي تولى قيادة المجموعة M19 بعد وفاة القائد السابق "خايمي بايتمان" - خلال اجتماع عُقد مع الشرطة في مدينة "كالي"، في صباح يوم 28 سبتمبر.

لم تستطع تصريحات M19 ولا الإجراءات التي اتخذتها الحكومة من أن تمنع التوتر الذي ظل يتنامى، ودخلت الدولة فترة من أكثر الفترات إظلامًا في تاريخها. وفي الأربعاء، الموافق 6 نوفمبر 1985، سيطرت مجموعة مسلحة تابعة لجماعة M19 على قصر العدالة، حيث تُعقد جلسات المحكمة العليا. وأمام مجلس الشعب، وعلى بعد عدة مئات من الأمتار من "كاسا دي نارينيو"، القصر الرئاسي، حاول قادة الحركة أن يحاكموا رئيس الجمهورية محاكمة سياسية، مع احتجازهم لثلاثمئة وخمسين رهينة من المشرعين، والنوَّاب، والموظفين، والزوَّار. حاصر الجيش والشرطة المبنى لثلاثة أيام، وكانت النتيجة هي موت مئة فرد. ومن بين الأحد عشر قاضيًا الذين لقوا حتفهم كان رئيس المحكمة العليا. وصفت لجنة حقوق الإنسان الـ"IACHR" ما حدث بالهولوكوست والمذبحة. وبعد أسبوع، في الأربعاء الموافق 13 من نوفمبر، ضربت كارثة كولومبيا؛ ثار بركان "نيبادو ديل رويث" ومحى مدينة "أرمبرو" من الوجود، حيث قضى على حياة أكثر من عشرين ألفًا من البشر.

بعد شهر لاحق، في 5 ديسمبر، نُشِرت "الحب في زمن الكوليرا" في المكسيك، وبوينس آيرس، وبرشلونة، و"بوجوتا". قبل صدورها، حصلت الرواية على الكثير من التوقعات في أثناء كتابتها، وعندما صدرت، بدا وكأنها قد أرضت الجميع، حتى أكثرهم تشكيكًا بها. اشتكى البعض من أنها لم تكن مثل "مئة عام من العزلة"، وأنها لم تتمتع بالقدر نفسه من الواقعية السحرية، ولكنها امتلأت بأصوات هادئة تفكر في وجودها وذاتها، وهو ما أكد أن "ماركيز" قد نجح في اختبار ما بعد الفوز بجائزة

"نوبل". الحقيقة هي أن المؤلف كان الأكثر سعادة بهذه الرواية، لأنه أدرك أنه عليه أن يتغلب على تحدي الكتابة عن الحب، والجنس، والتقدم في العمر، والموت. وأن عليه في الوقت ذاته أن يحقق ذلك بمهارة دون أن يخلف وراءه أي شيء قد يمنح الفرصة لانتقاده. فلكي يحوِّل عناصر كتابة من القرن التاسع عشر الرومانسي إلى إنجاز أدبي لا يُشق له غبار، تطلب الأمر مهارة لا مثيل لها في استخدامه لأسلوب حكيٍّ احتفظ بـ"التيمات" أو المعاني نفسها التي ميزت أدب القرن التاسع عشر.

كانت النهاية التي كتبها لهذه الرواية هي القمة التي حقق فيها المهارة الأدبية المتكاملة. فبعد خمسمئة صفحة من المواقف العاطفية مثل الحب والجنس، نجدها وقد خلقت نوعًا من التوتر الذي يدفع الشخصيات لارتكاب أكثر ما ميَّزهم خلال الرواية حتى انتهى الأمر بالشخصيتين الرئيستين على متن السفينة "نويبا فيديليداد" التي أبحرت في نهر "ماجدلينا"، وراية الكوليرا ترفرف فوقها، والحبيبان العجوزان المجنونان على متنها مع القبطان الذي ليس لديه أدنى فكرة عن الطريقة التي سيخرج بها من ذلك المأزق:

"فلنتابع قدمًا، قدمًا، قدمًا، ونرجع إلى لادواردا ثانية.

ارتعشت فيرمينا داثا، لأنها تعرفت على الصوت القديم المضاء بنعمة الروح القدس، ونظرت إلى القبطان: كان هو القدر. لكن القبطان لم يرها، لأنه كان غارقًا في قدرة فلورينتينو أريثا الرهيبة على الإلهام.

وسأله:

- أتقول هذا جادًا؟

قال فلورينتينو أريثا:

- منذ ولدت لم أقل كلمة واحدة غير جدية.

نظر القبطان إلى فيرمينا داثا ورأى في رموشها البريق الأول لصقيع شتوي. ثم نظر إلى فلورنيتنو أريثا، بتماسكه الذي لا يُقهر، وحبه الراسخ، وأرعبه ارتيابه المتأخر بأن الحياة، أكثر من الموت، هي التي بلا حدود

- وإلى متى تظن بأننا سنستطيع الاستمرار في هذا الذهاب والإياب الملعون؟

كان الجواب جاهزًا لدى فلورنتينو أريثا منذ ثلاث وخمسين سنة وستة شهور وأحد عشر يومًا بلياليها، فقال:

- مدى الحياة".

تبع ظهور الرواية في الولايات المتحدة أن كتب الروائي الأمريكي المثير للجدل "توماس بينشون" (1937) مقالًا بعنوان "عهود القلب الأبدية" The Heart's Eternal Vow، كتب فيه أن هذه رواية قائمة على افتراض لا حدود له بأن عهود الحب أبدية، وأن الحبيبين سيعيشان حياة طويلة أساسها تلك العهود. بعدها كتب أنها فكرة ثورية؛ أن يجرؤ أحدهم وهو تحت سيطرة نوع من الأمل الزائف أن يؤمن بأن الوعد بالخلود سيستمر حقًا. كتب كذلك عن لغة الكتاب، قال:

"[...] إن الصوت الماركيزي الذي اعتدنا عليه من أعماله الأخرى أصب أكثر نضجًا حيث وصل إلى مرحلة أصبح يحمل فيها صفات الكلاسيكية المألوفة لنا، والوضوح، والنقاء، والقدرة على أن يمدح ويلعن، أن يضحك ويبكي، أن يختلق ويغني".

كان "هيمنجواي"، وهو واحد من الكتاب الذين أُعجب بهم "ماركيز" ثيرًا، يرى أن أي كتاب انتهى من كتابته، لا يعود مثيرًا للاهتمام مرة

أخرى، حيث اعتاد أنه يشبهه بالأسد الميت. على كل حال، إنه شأن تم تناوله ومن ثم تنفيذه بشكل مُرضٍ. فكَّر "ماركيز" بالطريقة نفسها، مع اختلاف أن درجة رضاءه عن كل كتاب كانت ترتفع وتزداد، لأن كل كتاب من كتبه كان يمثِّل تحديًا تخطى كونه يحكي مجرد حكاية جديدة. إنه يعني الاهتمام بالتجريب والنجاح في ابتكار طرائق جديدة للحكي. كان هذا يعني له أن يجرِّب وينجح في الحكيّ بطريقة جديدة في كل مرة يكتب فيها. كان "ماركيز" دائمًا كما هو ولكنه في الوقت نفسه كان دائمًا مختلفًا. من هنا جاء تفضيله بأن تكون كتبه مختلفة كل مرة يتمكن فيها من أن يتفادى بشكل مُرضٍ الوقوع في أخطاء متكررة.

في شهري مايو ويونيو 1986 نُشر تقرير له بعنوان "السر في تشيلي: مغامرات ميجيل ليتين" La aventura de Miguel Littín clandestino en Chile/The Adventures of Miguel Littin، وهو تقرير شامل يحتوي لقاء طويل أجراه مع صانع الأفلام التشيلي. كتب في مقدمته:

"منذ ستة أشهر تقريبًا، عندما أخبرني "ميجيل ليتين" في مدريد عمَّا فعل وكيف فعله، فكرت أنه وراء فيلمه هناك فيلم آخر لم يحتَج إلى أن يخاطر بألا يخرجه. كانت هذه هي الطريقة التي وافق بها على أن يعرِّض نفسه لأسئلتي التي استجوبته بها لمدة أسبوع، والتي استمر شريطها لثماني عشرة ساعة [...].

فضلتُ أن أكتب قصة "ليتين" بصيغة المتحدث، كما أخبرني هو أن أفعل، من أجل أن أحتفظ بسمتها الشخصية - وأحيانًا الخصوصية -دون اللجوء إلى أي إضافات درامية أو ادعاءات تاريخية.

بالطبع، اعتمد شكل النص النهائي على أسلوبي أنا في الكتابة، لأن صوت الكاتب ليس قابلًا للتغيير، لا سيما عندما اضطررت إلى أن أحوّل نصًا يصل طوله إلى ستمئة صفحة إلى نص عدد صفحاته أقل من 150 صفحة. مع الوضع في الاعتبار أنني حاولت الحفاظ على التعبيرات التشيلية كما هي، وأن أحترم طريقة تفكير الرجل والتي لم توافق طريقتي في التفكير دائمًا".

في أغسطس، عُقد المؤتمر الثاني لـ"مجموعة الستة" The Group of Six في مدينة "إيتابا" بالمكسيك، بهدف التأكيد على أهمية نزع السلاح النووي، وألقى "جارثيا ماركيز" خطبة بعنوان "كارثة ديموقليدس" El cataclismo de Damocles/ The Cataclysm of Damocles، وفيه يستنكر الكاتب كارثة السلاح النووي التي تهدد الكوكب.

بعدها بستة أيام، تُوفي "خورخي لويس بورخيس" في جينيف.

في 24 أكتوبر، نشرت دار النشر الجديدة "إل إكويليبريستا" El Equilibrista - وهي مشروع أسسه كل من "جونثالو جارثيا بارشا" و"دييجو جارثيا إليخيو" - رواية "آثار دمائك على الثلج" El rastro de tu sangre en la nieve/ The Trait of your Bloos in the Snow في طبعة متحفظة لم يزد عدد نسخها عن الألف.

في شهر ديسمبر، مع خلفية انعقاد "مهرجان أفلام هافانا"، أسس "ماركيز" مدرسة "سينما أمريكا اللاتينية"، وبعدها بأسبوع، أسس مدرسة السينما والتليفزيون الدولية في مدينة "سان أنطونيو دو لوس بانيوس" في كوبا. خصص الكثير من وقته لتلك المدرستين وفيهما كوّن ورشة كتابة السيناريوهات وأصبح مديرًا لها، حيث يعرض فيها موضوعات متعددة

حول إبداع عمل ما: "أكثر ما يهم بالنسبة إليّ في هذا العالم هو عملية الإبداع. ما نوع ذلك السر الذي يجعل الرغبة البسيطة لأن تحكي القصص تتول لتصبح عاطفة جامحة؟" نتجت عن هذه الفترة ثلاثة كتب هي: "كيف تحكي حكاية" Cómo se cuenta un cuento/ How to tell a Story، و"بائعة الأحلام" Me alquilo para sonar/ I Hire myself Out to Dream؛ و"نزوة القصة المباركة" La bendita mania de contar/ The Blessed Mania of Storytelling، في هذا الكتاب الأخير يعلن:

"عليّ أن أعترف لكم أن الأشياء الوحيدة التي لن تعاني العزلة لمئة عام ولن تعاني لعنة بابل، هي إرث المداحين والحكائين الذي ورثناه من القدماء المبجلين، الذين كانوا يرددون الحكايات الأخلاقية والمغامرات العجيبة التي وردت في قصص ألف ليلة وليلة وفي أسواق المغرب القديمة".

لم يستطع تجنُّب المسرح، خصوصًا بعد أن كتب قصائد للتدريس في مدارس الثانوية، وبعد الروايات العديدة التي كتبها، والحكايات، وسيناريوهات الأفلام، وورش المسرح، والآف الأعمدة الصحفية، والتقارير، والقصص. في عام 1988، أنهى كتابة المسرحية الوحيدة من تأليفه وهي "خُطبة لاذعة ضد رجل جالس" Diatriba de amor contra un hombre sentado/ Diatribe of Love Against a Seated Man، وهي عبارة عن انتقاد لاذع، كما وصفها هو، حيث إنها متصلة بشكل مباشر بخطبة "فيرناندا كاريبو" القوية التي ألقتها أثناء الفيضان في رواية "مئة عام من العزلة". كان العرض الأول لهذه المسرحية في بوينس آيرس في العام التالي، ثم عُرضت على مسرح بكولومبيا عام 1994، وهو العام نفسه الذي صدرت فيه الطبعة الأولى منها في كتاب.

في عام 1988 أيضًا، عُرِض المسلسل التليفزيوني "حب صعب" Amores Difíciles/ Difficult Love، وهو مبنيّ على ستة سيناريوهات كتبها "ماركيز": "خطابات في المنتزه" Cartas en el Parque/ Letters in the Park، و"يوم أحد سعيد" Un domingo feliz/ A Happy Sunday، و"أسطورة بالوميرا الجميلة" Fábula de la bella palomera/ Fable of the Beautiful Palomera، و"معجزة في روما" Milagro en Roma/ Miracle in Rome، و"أنا هو الشخص الذي تبحث عنه" Yo soy el que tú buscas/ I am the One You are Looking for، و"صيف مسز فوربس" El Verano de la señora Forbes. ستة مخرجون، وهم "توماس جوتييرث آليا"، و"أوليجاريو باريرا"، و"روي خويرا"، و"ليساندرو دوك"، و"خايمي تشافاري"، و"خايمي أومبيترو إيرموسيّو"، عمل الستة على ستة سيناريوهات كتبها مؤلف جمعها تحت مظلة عمل واحد أطلق عليها اسم "حب صعب" Amores Difíciles، وهو عنوان لمجموعة قصصية كتبها "إيتالو كالفينو" صدر عام 1970. عُرِض الفيلم الذي أخرجه "فرانتشيسكو روسي" المقتبس من رواية "سرد أحداث موت معلن" لأول مرة في 1 أغسطس من العام السابق، أما الفيلم المقتبس من رواية "رجل عجوز بجناحين كبيرين" 1955، فقد كتبه وأخرجه "فيرناندو بيري"، والذي عُرض في السينمات في الوقت نفسه الذي عُرِض فيه المسلسل.

ولأن لا شر يمكن أن يستمر لمئة عام، ولا يمكن لدولة أن تتحمله على مدى هذا الزمن الطويل، أُجري استفتاء شعبي في تشيلي في 5 أكتوبر كي يقرر الشعب ما إذا كان يجب على "أوجستو بينوشيه" أن يستمر في السلطة حتى عام 1997

أم لا. فازت "لا" بنسبة 54.7% من الأصوات، مما دعا إلى إجراء انتخابات ديمقراطي عام 1989. كانت تلك نهاية حقبة الدكتاتورية في تشيلي. في العام التالي، سقط حكم الرئيس "ألفريدو سترويسنر ماتياودا" بعد استمراره في الحكم لمدة خمسة وثلاثين عامًا حكم مطلق (1954–1989)، وبعدها عادت أوروجواي إلى المسار الديمقراطي. أظهر "أرشيف الإرهاب" Archives of Terror أن "ستروسنر" اشترك في العملية "كوندور"، وهو اتفاق عسكري للدكتاتوريات الخاصة بالأرجنتين، والبرازيل، وتشيلي، والإكوادور وأوروجواي، للقضاء على المعارضين والمنفيين. كان واضحًا أن عهود الظلام التي مرت على العديد من دول أمريكا اللاتينية قد انتهت، ولكن لم يكد يمر عقد من الزمان، حتى عادت سُحب الشعبوية والقومية، وهي أمراض مزمنة تصيب الروح، للظهور في العديد من هذه الدول ومنها امتدت لتصيب الآخرين.

في مارس 1989، في عيد ميلاده، ظهرت روايته "الجنرال في متاهته" El general en su laberinto / The General in his Labyrinth في كولومبيا. كان كتابًا مثيرًا للجدل بالنسبة إلى المؤرخين والسياسيين ولبعض القراء المجتهدين، الذين لم يتقبّلوا صورة محرر البلاد بالشكل الذي رسمه به الحائز على جائزة نوبل.

في المقابلة التي أجرتها معه "ماريا إلفيرا سامبير"، الصحفية التابعة لمجلة "سيمانا" Semana، ظهر ذلك الحوار تحت عنوان "الجنرال في متاهته هو كتاب انتقامي". سألته الصحفية:

- هل كان غرضك الرئيس هو أن تزيل الغموض بشأن هذا البطل المحرر، كي تظهره، كما ذكرت في الرواية، بعد أن زال عنه المجد؟

- نعم، عندما سُئل "فيدل" منذ عدة أيام قليلة وهو في كاراكاس ما إذا كان يظن أن الرواية ترسم للمحرر صورة غير محترمة، رد قائلًا "إنها صورة وثنية". وهذا ما أردته، وأعتقد أنني نجحت في مسعاي.

(4 أكتوبر 1989)

بالطبع، نجح. إنها صورة فاضحة لإنسان، بكل نجاحاته وإخفاقاته. نقاط ضعفه ومخاوفه، قلقه وأشباحه، غروره ومشاعره، كلها تظهره كشخص كما توقع في أيام شبابه "سوف أموت فقيرًا عاريًا". في بداية الفصل السادس، بعد خمسة أسابيع من سفره، انتظر "بوليفار" يوميًا للحصول على معاشه وجواز سفر سيساعده على أن يترك ذلك البلد. وأخيرًا، يحدث ذلك وسط جو من اليأس، في رحلة لا نهاية لها ولا يبدو أنها تقود إلى أي مكان، "الذهاب والإياب إلى ومن اللا شيء":

"يوم الأربعاء، 16 يونيو، وصلته أخبار بأن الحكومة أقرّت له معاشًا حتى نهاية حياته، منحه إيّاه مجلس الشعب. كتب خطابًا رسميًا إلى الرئيس "موسكويرا" لا يخلو من السخرية معبرًا عن مدى امتنانه. عندما انتهى من كتابته، أخبر "فرناندو" مقلدًا نبرة "خوسيه بالاسيو" المترفعة قائلًا: "أصبحنا أغنياء". في الثلاثاء، 22 يونيو، استلم جواز السفر كي يغادر البلد. لوّح به في الهواء قائلًا: "أصبحنا أحرارًا". بعد يومين، عندما استيقظ من نوم غير مريح، فتح عينيه وهو فوق سريره الشبكية قائلًا: "نحن تعساء".

كان منطقيًا إذًا أن يتحدث الكاتب عن "الرعب في هذا الكتاب" عندما يشير إليه.

من الأمور التي فشل الكثيرون في فهمها، أو لم يرغبوا في فهمها، هي أن الطرق والوسائل التي تُستخدم في الأدب تختلف تمامًا عمَّا يفعل المؤرخين، على الرغم من أن التاريخ والرواية ينبعان من المصدر نفسه، وهو الأسطورة، كما يقول المؤرخ الإنجليزي "أرنولد توينبي". فهنا نجد الكاتب الأمريكي "آلان جورجانس" (1947) يبدأ روايته "أكبر أرمل يعيش من أيام الكونفدرالية يعترف بكل شيء" Oldest Living Confederate Widow Tells All، التي ظهرت طبعتها الأولى عام 1989، بمقدمة مختصرة عنوانها "بعض الكلمات إلى القارئ عن مدى دقة التاريخ":

"من شهادات جُمعت من عبيد سابقين عام 1930 بواسطة أعضاء من جماعة الكتاب الفيدراليين لبرنامج المساعدات، الجميع يتذكر رؤية لنكولن في الجنوب أثناء الحرب الأهلية، لكن العبد السابق "فاني بوردوك"، عمره 91 عامًا من بلدة فالدوستا/ ولاية جورجيا يتذكر: "كنَّا نقطف المحصول في الحقل، عندما أشار أخي إلى الطريق، رأينا الكابتن "مارس إيب" قادمًا نحونا مغطى بالغبار يسير على قدميه. أسرعنا إلى السور وكان معي وعاء خشبي به ماء ومغرفة. عندما اقترب منا، كان طويلًا للغاية، وعيناه حزينتين للغاية. لم ينطق بكلمة، فقط أخذ يحدق فينا، تأثرنا جميعنا، أعطيناه ماءً باردًا لطيفًا بالمغرفة، هز رأسه ثم ابتعد. وقفنا في مكاننا إلى أن اختفى نهائيًا. لم يرحب مالكنا بما فعلناه، لكنني، بل جميعنا، كنا نعلم. ما زلت أحتفظ بالغرفة كي أثبت ذلك.

في الحقيقة، موضوع أن لنكولن كان يجول في أنحاء جورجيا على قدميه، لا يمكن أن تكون قد حدثت، لكنها في هذا الكتاب، يمكن أن تحدث. وهي من

الأحداث التي طالما رددها المئات من العبيد. إن مثل هذه الحكايات بالنسبة لي أكثر صدقًا من الحقائق، فالتاريخ هو نقطة البداية عندي".

هذا يفسر جملة قالها "فوكنر"، وكانت تعتبر أكثر الجمل غموضًا: "إن الحقيقة والواقع ليس بينهما أي ارتباط". نجد مثلًا أن التاريخيين والسياسيين، والمتحفظين ربما يحدثون ضجة بشأن ذلك، لكن من الجانب الآخر للجدال هناك الأساليب الأدبية وأحكام الكتاب الآخرين. نجد مثلًا الكاتبة الكندية "مارجريت آتوود"، الحاصلة على جائزة "أمير أستورياس" كتبت في صحيفة "نيويورك تايمز" الآتي:

"لو لم يوجد "بوليفار"، لاضطر السيد "جارثيا ماركيز" أن يخترعه. نادرًا ما نجد مثل ذلك الارتباط بين الكاتب وموضوعه".

(عبد لدى تحرير ذاته: 16 سبتمبر 1990).

'Un esclavo de su propia liberación (A Slave to his Own Liberation)

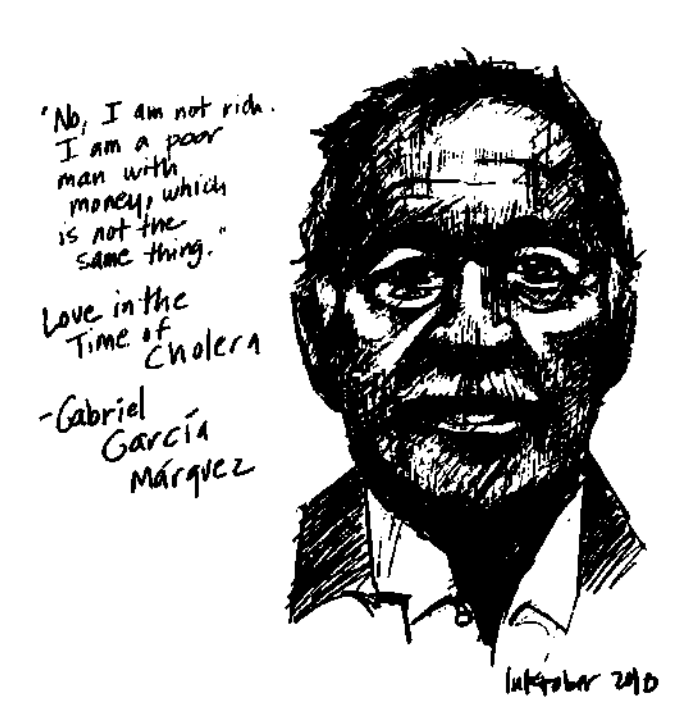
كان أول عمودين يكتبهما "ماركيز" في صحيفة "إل إسبكتادور" في بوجوتا، وصحيفة "البابيس" في مدريد (أكتوبر1981) هي عن الأكاديمية السويدية ومدى غموض قراراتها: (شبح جائزة نوبل (1) و (2). في المقال الأول يستدعي بعض الحالات: صرخة صمويل بيكيت عندما سمع الخبر"يا إلهي، يا لها من كارثة"، بينما كان "بورخيس" ينتظرها كل عام؛ أمَّا "جراهام جرين" فقد قال: "لن يمنحونني إياها أبدًا، لأنهم يعتبرونني كاتبًا غير جاد"؛ أما بالنسبة إلى الكاتب الكولومبي

فهناك ثلاثة ألغاز بالنسبة إلى جائزة نوبل: أين يتم استثمار قيمة الجوائز؟ ما المعيار السياسي السائد؟ وكيف يصل المحكمون إلى قرار:

"إن معاييرهم لا يمكن التكهن بها، إنها متناقضة، حصينة حتى على أولئك الذين يستطيعون التنبؤ بها، وقراراتهم سرية، ليست معرضة لأي استئناف. إذا لم يكونوا جادين هكذا، لظن المرء أنهم يقصدون اختيار فائز يتناقض مع تخمينات الجميع فقط لكي يثبتوا أنهم على خطأ. جميعهم يبدون كموت منتعش ومزدهر".

في العمود الثاني، يعود الكاتب إلى أكثر الموضوعات الشائعة التي تخص جائزة نوبل للآداب، وهو الإغفال غير المغتفر للعديد من الأدباء، مثل: "بروست"، و"كافكا"، و"تولستوي"، و"جيمس كونراد"، وآخرون. في النهاية، نجده يعود إلى موضوع آخر فيما يختص بالمتنبئين أمثاله، وما يشغل كل تفكيرهم:

"[...] هناك خرافة منتشرة وسط الكتَّاب تدعي أن جائزة نوبل للآداب دائمًا ما تخصص للكاتب الذي سيتوفى عما قريب، فمن بين 75 فائزًا بالجائزة، ظل 20 منهم فقط على قيد الحياة. أعرف العديد من كبار الكتاب هذه الأيام الذين لا يشعرون بالقلق مثل "بورخيس"، لكن على العكس، إنهم يشعرون بنوع من الرعب خارق للطبيعة، بسبب الاعتقاد المتنامي بأن لا أحد يحصل على الجائزة ويعيش أكثر من سبعة أعوام بعدها. لا تثبت الإحصاءات ذلك، لكنها لا تنكره أيضًا: مات 22 منهم ماتوا خلال فترة السبعة أعوام".



الحفاظ على لياقة الذراع

عاش جاثيا ماركيز اثنين وثلاثين عامًا بعدما حصل على جائزة نوبل للآداب، خلال تلك الفترة أنتج خمس روايات، ومجلد مذكرات، وثلاث مقالات كبيرة، وخمسة عناوين لأعمال صحفية، وست مسرحيات وقليلًا من الأفلام، بالإضافة إلى اشتراكه في العديد من المنتديات والمنظمات الدولية، كذلك أعماله مع مجلة "كامبيو" والبرنامج الإخباري QAP. ربما يستنتج شخص مماثل له في التشاؤم أن نشاطه المحموم خلال تلك الأعوام هو ما حماه من مخالب الموت.

بدأ في عام 1991 العمل على مشروع أدبي جديد. بدأ في كتابة رواية "عن الحب وشياطين أخرى" Del amor y otros demonios/ Of Love and Other Demons. وهي قصة مستوحاة من عملية استخراج الجثث التي حضرها عندما كان صحفيًا تابعًا لصحيفة "إل أونيبيرسال". شاهد ذلك وسط أقبية دير "سانتا كلارا" في "كارتاخينا" يوم 26 أكتوبر 1949. قال له رئيس تحرير الصحيفة، السيد "كليمينت مانويل زابالا" بعدما سمع عن عملية استخراج الجثث بالدير:

"اذهب إلى هناك واكتشف ما سيجول في ذهنك حين ترى المشهد".

يصف الكاتب ما رأى في آخر فقرتين في مقدمة "عن الحب وشياطين أخرى":

"في الكوة الثالثة للمذبح الأكبر، إلى جانب المكان الذي يوضع في الإنجيل، وجدت الخبر الذي أنشده. تحطمت شاهدة قبر إثر أول ضربة معول وانبعثت خارجة جديلة حية ذات لون نحاسي كثيف. حاول رئيس العمال إخراجها كاملة،

بمساعدة عماله، لكنهم كانوا كلما سحبوا منها جزءًا تبدو أشد طولًا وغزارة. واستمر الشد والجذب إلى أن خرجت آخر خصلات الشعر المغروزة في جمجمة طفلة. لم يبقَ في الكوة غير عظيمات رقيقة متفرقة. وعلى شاهدة القبر الحجري المتآكلة بسبب التملُّح لم يستطع أحد قراءة شيء سوى الاسم واللقب: "سييرفا ماريا دي تودوس لو أنخليس". كانت الجديلة الرائعة الممدودة على الأرض بطول اثنين وعشرين مترًا وأحد عشر سنتيمترًا.

فسّر لي رئيس العمّال ما شاهدته، دون دهشة تُذكر، فقال: "إن شعر الإنسان ينمو بطول سنتمتر واحد كل شهر حتى الوفاة، وإن هذه الأمتار الاثنين والعشرين تبدو معدلًا مناسبًا لنمو استمر مدة مئتي عام". لم يبدُ لي ما قاله أمرًا تافهًا، فجدتي كانت تروي لي في صغري أسطورة الماركيزة الصغيرة، ذات الاثني عشر عامًا، التي كانت جديلتها تنثال وراءها وكأنها ثوب زفاف، والتي ماتت مسعورة إثر عضة كلب. كانت الماركيزة الصغيرة مبجلة لدى شعوب الكاريبي لكثرة معجزاتها، لذا فإن إمكانية أن يكون ذلك القبر قبرها كانت موضوع خبري الصحفي لذلك اليوم وكانت أيضًا سبب هذا الكتاب".

نُشرت الرواية 22 أبريل 1994.

في مارس 1990، سلّمت المجموعة M19 أسلحتها وشاركت في الحياة السياسية في البلاد تحت اسم الحلفاء الديمقراطيين M19. عالميًا، سبق ذلك بعام سقوط حائط برلين عام 1989 (أو حائط العار كما كان يُعرف في الغرب)، وتلك كانت الخطوة الأولى تجاه توحيد الألمانيتين.

في عام 1991، حدث استفتاء في كولومبيا لتعديل الدستور القديم الذي وُضع عام 1886. أوقفت اللجنة القومية لتعديل الدستور العملَ

بالدستور القديم في 4 يوليو بعد نشر مواد المنشور الجديد، وفيه مادة تحرم موضوع تسليم المجرمين إلى الولايات المتحدة.

في 21 مايو، توفي "خيرمان بارجاس"، واحد من الأصدقاء الأربعة والويدين لـ"أوريليانو بابيلونيا" - الثلاثة الآخرين هم "ألبارو"، و"ألفونسو"، و"جابرييل" - الذين قابلهم "خيرمان" للمرة الأولى في مكتبة "الكاتالوني الحكيم"، في الشارع نفسه في مدينة "ماكوندو"، حيث كانت الفتيات العاملات ببيت الدعارة ينمن مع الزبائن بسبب الجوع. كانت فترة تائهة في الذكريات، ولسنوات عدة ظلت الحكاية التي تداولها كثيرون عن "ألبارو" و"جابرييل" اللذين كانا يلجآن للقتال بعد جدال محموم بينهما في البار، لكن ذلك لم يحدث سوى مرة واحدة. قال "خيرمان" دون أن يرفع عينيه عن الطاولة التي أمامه، "أول من يبدأ بالترنح فينا سيخسر".

في العام نفسه، نفَّذ "جارثيا ماركيز" مع بعض أصدقائه الصحفيين، "ماريا إلبيرا سامبر"، و"ماريا إيزابيل رويدا" (كلتاهما كانت صاحبة الفكرة) كذلك "إنريكي سانتوس كالديرون" وآخرين مشروعًا جديدًا: وكالة قومية جديدة لبث الأخبار على التليفزيون باسم QAP للأخبار. كان الكاتب مهتمًا بأن يؤسس برنامجًا إخباريًا مستقلًا، على أن يكون المسؤلون عنه صحفيين شرفاء، وتحويلها عاجلًا أم آجلًا إلى مدرسة للصحافة الجديدة. صرَّح لصحيفة "البابيس" قبل البث الأول:

"إنني الروح القدس لبرنامجي الإخباري".

جذب البرنامج المشاهدين في البداية، لكن انتهى به الأمر بأن تصادم مع طبقة السياسيين والحكومة، عندما استنكر البرنامج الفساد الحكومي

المستشري، كما انتقد صلات السياسيين والبرلمانيين بتجارة المخدرات، وكذلك العملية الشهيرة المدعوة باسم العملية رقم 8000 الخاصة بإجراء تحقيقات مع الرئيس "إرنستو سامبر". آخر نشرة أخبار لهذه الوكالة أُذيعت بعدها بست سنوات، في 31 ديسمبر 1997.

في المقابلة نفسها التي أجراها مع صحيفة "البابيس"، سُئل عمَّا إذا كان سيكون معه وقت كافٍ كي يكتب:

"لم أتوقف عن الكتابة ولو ليوم واحد. كل يوم، من التاسعة صباحًا حتى الثانية بعد الظهر. لم أتوقف يوم واحد مع أو من دون الأخبار، مع أو من دون الزلازل. عندما بدأت الاهتمام بالعمل الصحفي، قالوا لي: "الصحافة تقتل الكاتب". عندما أبديت اهتمامًا بالسينما، قالوا: "احترس، السينما تقتل الكاتب". عندما باشرت موضوع الإعلانات، قالوا: "كن حذراً، الإعلانات.." الآن يحاولون إخباري أن الانشغال بالتقارير الإخبارية سوف تقتل الكاتب داخلي. أنا حي كل يوم، أكتب كل يوم، لأنني إذا لم أفعل ذلك، سوف ينتهي بي الأمر بأن أجد كل ما هو خطأ في كل شيء حولي، وفي هذه الحالة سيكون الشيء هو التقارير الإخبارية".

في العام التالي، أثبت بأنه لم يتوقف عن الكتابة بنشره لمجموعة قصصية "حجيج غرباء" Doce cuentos peregrinos/ Strange Pilgrims، وهي تحتوي على اثنتي عشرة قصة قصيرة. صدرت المجموعة يوم 20 يوليو، وهو عيد "إعلان استقلال كولومبيا" القومي، حيث أُطلِقت المجموعة في "معرض جامعة أشبيلية" كجزء من احتفال البلاد بالقرن الخامس لاكتشاف أمريكا. وعلى عكس ما هو معروف عنه، حضر "ماركيز" حفل

الاطلاق. سبقت القصص مقدمة من المؤلف يشرح فيها ما ألهمه لكتابة هذه القصص، والسبب في أنهم 12 قصة، وسبب اختياره للحجيج:

"إن الـ12 قصة في هذا الكتاب كُتبت على مدى الـ18 عامًا السابقة، وقبل أن تصل إلى شكلها الحالي، كانت خمس منها عبارة عن ملاحظات صحفية وسيناريوهات، وواحدة منها كانت مسلسلًا تليفزيونيًا. منذ 15 عامًا، كتبت أخرى منها أثناء مقابلة مسجلة مع صديق نقلها من التسجيل ونشرها، والآن أعدت كتابتها معتمدًا على نسخته. كانت تلك تجربة خلق غريبة يجب عليّ شرحها ولو من أجل الأطفال الذين يودون أن يصبحوا كتابًا عندما يكبرون، سيتعلمون منها كيف أن الكتابة نهمة وقاسية".

إضافة إلى هذا التطور الغريب لهذه المجموعة لـ18 عامًا ووصفه إياه بأنه الأكثر قربًا للمجموعة القصصية التي أراد دومًا أن يكتبها. نشرت دار "ديانا ميكسيكان" طبعة أخرى تحت عنوان "حجيج غرباء: اثنتا عشرة قصة"، المعنى هو نفسه وكذلك المحتوى، حتى أن ترتيب القصص لم يختلف، لكن لم ينتبه أحد لأي تغيير. حدث أمر مماثل بمر الأعوام مع نشر مجموعاته القصصية. هناك طبعات متعددة، قبل عام 2012، حملت عنوان "كل القصص القصيرة" All the Short Stories، وفي كل الطبعات كانت هناك ثلاث قصص مفقودة: "توبال كاين يزوِّر نجمة" Tubal-Caín forja una Estrella/ Tubal-Cain Forges a Star (1948)، "كيف يُجري ناتانيال زيارة" De come Natanael have una visita/ How Natanael Pays a Visit (1950)، "رجل يأتي مع المطر" Un hombre viene bajo la Lluvia/ A Man Comes in the Rain (1954).

تعتبر "متلازمة الصفحة الخالية" blank page syndrome واحدة من المشكلات التي يواجهها الكتاب، ويعالجها كل كاتل بطريقته الخاصة. في الأساس إنها عن كيفية الاستمرار كل يوم، وهي مشابهة كما يقولون لما يواجهه رماة كرة البيسبول من ضرورة الحفاظ على أذرعهم دافئة دائمًا. في "وليمة متنقلة" A Moveable Feast، يقول "هيمنجواي" أنه يجب على الكاتب ألا يكتب كل شيء يخطر على باله كل يوم، وأنه من الأفضل أن يترك بعض الأشياء معلقة في مخه، مثل الرواسب أو جذوة النار، مثل الفحم المشتعل تحت الرماد. بالنسبة لـ"فوكنر"، تطلب الأمر ممارسة صارمة ملتزمة. كان كافيًا بالنسبة له أن يكون أمامه الورق، والقلم، والتبغ، والويسكي. سألوه عما إذا كان يقصد شراب "البوربون"، قال إنه ليس من الصعب إرضاؤه، وأن "الإسكوتش" يمكن أن يكون مناسبًا له أيضًا.

انتهج "جارثيا ماركيز" نظامًا خاصًا به، وقد كان بشكل أو آخر يشبه ما كان "هيمنجواي" يفعله. اعتاد "ماركيز" أن يترك مرحلة التصحيح والتعديل لليوم التالي. استمر في ممارسة ما يشبه ألعاب الجمباز لكيلا يصيب الكسل يديه ثم ينغمس في النص الذي يكتبه. كان يعلم، مثلما قال "فوكنر"، كيف يصبح المرء روائيًا جيدًا، فأنت في حاجة إلى 99% موهبة، 99% انضباطًا، 99% عملًا. كانت المشكلة الأخرى التي واجهت الكاتب الكولومبي الفائز بنوبل هي كيف يبقى يديه مشغلوتين في أوقات الفراغ بين مشروعاته المختلفة. نجح في ذلك عن طريق القفز من أسلوب إلى آخر، من الرواية إلى القصة أو السيناريو. في مناسبات عديدة أيضًا، الانتقال من وظيفة إلى أخرى، من الروائي إلى الصحفي. كتب في مقدمة كتاب "حجيج غرباء":

عندما بدأت كتابة رواية "سرد أحداث موت معلن" عام 1979، تأكدت من حقيقة أنه عند التوقف بين كتاب وآخر، كنت ألاحظ أنني أفقد عادة الكتابة، وأصبحت أواجه صعوبة كبيرة في الكتابة في كل مرة أبدأ فيها مشروعًا جديدًا. لذلك بدأت في الفترة بين أكتوبر 1980 حتى مارس 1984 في تدريب نفسي عن طريق كتابة عواميد صحفية في صحف من دول مختلفة كنوع من الانضباط كي أحافظ على "لياقة" ذراعي".

هذا ما حدث ما بين 1990 حتى 2002، أي نحو عقد من الزمان: كان لـ"ماركيز" قدم في كلا المعسكرين، وهي ليست بالمعلومة الجديدة. إذا فحصت عمله بدقة، فسوف تلاحظ أنه كان مشاركًا في المعسكرين دائمًا. في أعوامه الأولى، ركّز كل جهده للانتهاء من رواية "عن الحب وشياطين أخرى"، ويكتب القصص التي كوّنت مجموعة "حجيج غرباء"، لكن بحلول عام 1993 كان مهتمًا أيضًا بمشروع آخر، هذه المرة في مجال الصحافة. في ذلك العام تقابل مع "ماروخا باتشون" وزوجها "ألبرتو بياميثار"، واستمع إلى قصة اختطافها عام 1990 طبقًا لتعليمات وأوامر تاجر المخدرات "بابلو إسكوبار"، وكان هما من اقترح عليه أن يكتب القصة. في البداية، استمر المشروع دون أي إعلان مسبق كيلا يتدخل أي شيء في طريق بحوثه ومقابلاته. لكن مع حلول سبتمبر 1995، بعد مرور أكثر من 15 شهرًا من العمل المكثف، وافق "ماركيز" على مقابلة مسجلة مع "روبرتو بومبو" في الراديو، ونُشرت تفاصيل هذا اللقاء أيضًا في صحيفة "إل تييمبو":

"- لمَ اخترت أن تعود إلى الصحافة بموضوع معقد مثل خطف الصحفيين على الرغم من أن الجميع يعلم كيف كانت النهاية؟.

"- أنا لم أختر موضوع خطف الصحفيين، بل هو الذي اختارني، إنه شيء يحدث في كل من الأدب والصحافة. المهم هو أنني أشتاق إلى مهنة الصحافة بعد مرور كل هذه الأعوام، لأنني دائمًا ما أعتبر أن مهنة الصحافة هي عملي الأساسي [...]

أعتقد أن القصة التي يحكيها الصحفي هي أيضًا عمل أدبي مماثل للرواية والقصة القصيرة، والشعر. أقول إن هذا الموضوع هو الذي عثر عليَّ لأنني منذ أعوام كنت أبحث عن قصة ولم أعثر على واحدة. فجأة في يوم، أخبرتني "ماروخا باتشون" وزوجها "ألبرتو بياميثار" أنهما يرغبان أن يكتبا هذه القصة، لكنهما كانا يدركان أنهما ينقصهما المهارة الأدبية الكافية.. خلال هذا العام فكرت في الموضوع، وافق ذلك العام الذي هرب فيه "إسكوبار" ثم قُتل بعدها. أدركت أن أكثر ما يهم في هذا الكتاب، أو على الأقل الأكثر أهمية هو موضوع الاتجار بالمخدرات ذاته. ما يهم هو أن الناس لا يدرون شيئًا عما يحدث خلال عمليات الخطف".

دعاه "ماركيز" بـ"خطف من الداخل". فالمختطَفون لا يعلمون شيئًا عن خاطفيهم ولا عن مكانهم؛ لا يعلمون شيئًا عما يحدث بالخارج؛ لا يعرفون شيئًا عن عائلاتهم ولا كيف يتعاملون مع الأمر. ولا يعرفون كيف تتعامل السلطات المعنية مع الأمر، ولا عن محاولات التفاوض بشأنهم. والشيء نفسه يحدث على الجانب الآخر؛ ما هو حال المُختطف، وكيف يقضي لياليه. إن العمل المكثف للكاتب خلال الثلاثة أعوام التالية لجمع كل المستندات من كل الأنواع، والكثير من التسجيلات الصوتية، ومقابلة مئات الشخصيات وفجأة، عندما بدأ العمل، اكتشف أنه أمر غير مفهوم إذا لم يدرك السياق الذي دار

فيه الأمر. من جانب، هناك الحرب المشتعلة بين الدولة وتجار المخدرات، وفيما يختص بالإرهاب وموضوع التسليم، ومن جانب آخر، المفاوضات بين الخاطفين والحكومة وأقارب المخطوفين. لذا قرر أن يوسِّع المجال، ولكن مع فعله ذلك، أصبح ضروريًا أن يعيد كتابة الكتاب:

"أخيرًا توصلت إلى الهدف من كل ذلك. قبل نحو ستة أشهر، عندما أصبح لدي 700 صفحة".

الميزة الوحيدة لديه هي أنه كان يعلم بالفعل ما عليه أن يمحيه والفجوات الخالية التي يجب أن يعمل على ملئها.

أما عن العنوان المحتمل لهذا الكتاب فقد استقر عليه منذ البداية، قال:

"كنت أفكر في العنوان. كنت مستقرًا طوال الوقت على "وقائع عملية خطف" Noticia de un secuestro/ News of a Kidnapping، لأنني أردت استخدام عنوانًا صحفيًا أكثر. كان لدي فعلًا "قصة غريق"، وكذلك "سرد أحداث موت معلن". كنت أفتقد عنوانًا إخباريًا، لأنني توصلت إلى أن العنوان الإخباري ليس سوى القصة بأكملها".

عندما طلب منه "روبرتو بومبو" أن يصف الشعور الذي سيتركه الكتاب لدى القرَّاء؛ حزن، اندهاش، ارتباك، شك. أجاب:

"لا أعرف كيف أصف لك المشاعر التي من المحتمل أن يشعر بها القارئ، لكن ما أود أن يحدث مع هذا الكتاب هو أن يدرك كل الكولومبيين أن ما وُصف في هذا الكتاب لا يجب أن يحدث مرة أخرى في كولومبيا".



أفضل مهنة في العالم

في 29 سبتمبر 1995، بينما يجاهد "جابو" مع كتاباته، تُوفي "ألفونسو فونمايور" في "بارانكيا" - ثالث صدقيق لأوريليانو بابيلونيا" والمدير التنفيذي لمجلة "كرونيكا". كان "جارثيا ماركيز" مشغولًا للغاية في تأسيس "مؤسسة الصحافة الإيبيرو- أميركان" "FNPI". أُسست في "كارتاخينا" في 25 يونيو 1994. كان هو رئيسها و"خايمي أبيّو" مديرها التنفيذي. قبلها بعام، أجرى حوارًا طويلًا في بارانكيا مع "أبيّو" واقترح عليه أن يصمما نظامًا من الورش حيث يمكن لقدامى الصحفيين أن يشاركوا بخبراتهم مع الصحفيين الشباب. في شهر أكتوبر أدار "ماركيز" مع "توماس إيلوي مارتينيث" أولى الورش الابتدائية بالمؤسسة، وأسماها "ورشة عن الورش".

بدءًا من عام 1995، انتشرت الحلقات الدراسية والورش في عديد من المدن؛ في "كارتاخينا"، و"بارانكيا"، ومدينة "نيو مكسيكو"، و"مونتيري" و"ساو باولو". كانت موضوعاتها تشتمل على موضوعات مختلفة: الأخلاقيات الصحفية، والتحقيق الصحفي، والسرد الصحفي، وتغطية عمليات الانتخابات، والتغطية باستخدام الكمبيوتر للنزاعات الداخلية، وورش لمحرري الصحف، وطبعات آخر الأسبوع وأيام الآحاد، والتقارير الصحفية وحماية الصحفيين. في كل هذا، اشترك في التدريس عدد كبير من صحفيين مشهورين لهم خبرة صحفية متميزة مثل: "أليكس جريخيلمو"، و"خافيير داريو ريستريبو"، و"ألما جييرموبريتو"، و"جون لي أندرسون"، و"ريزارد كابوتشينسكي" وآخرون. عادة ما كان "جارثيا ماركيز" يظهر وسطهم باعتباره المضيف، وأحيانًا كان يشارك المسرح مع زملائه.

كانت هناك أيضًا أمور تحدث تحت مظلة هذا المشهد الأدبي. في عام 1993، بسبب نوع من الصراع بسبب حقوق النشر وطباعة كتبه في كولومبيا، استغنى "ماركيز" عن خدمات ناشره هناك وأمر بأن تُسحب كل كتبه من السوق المحلي. بدءًا من رواية "عن الحب وشياطين أخرى" نشرت دار "نورما" كل كتبه في كولومبيا.

في العام التالي، أصبح عضوًا في مجموعة "مهمة الحكماء" Misión de Sabios/ Mission of the Wise، التي أنشأتها الحكومة الكولومبية للتعليم وترقية العلوم والتطوير. كتب وقرأ في القصر الرئاسي، قصر "نارينيو" في "بوجوتا" إعلان "من أجل بلد في متناول وخدمة أبنائه الصغار" Por un país al alcance de los niños/ For a Country within the reach of children، الذي كان مقدمة المهمة لتلك المجموعة. في شهر أبريل، ظهرت رواية "عن الحب وشياطين أخرى" وكالمعتاد أثارت كل أنواع التعليقات، عن السيطرة البدنية والروحية على الأجساد، عن الحب، عن الشياطين، عن "كارتاخينا" الاستعمارية، واستخدام اللغة وأمور أخرى. علّق الكاتب مرارًا وتكرارًا أن الحب شيطان رائع، وأن بعضًا من أصدقائه ادعوا أن روايته تلك هي أفضل بكثير من "مئة عام من العزلة"، وأضاف هو "وهي رواية بالمناسبة لطالما كرهتها". قال هذا في مقابلة مع الصحفية الإسبانية "روزا مورا"، ونشرتها صحيفة "إل إسبكتادور" بتاريخ 17 أبريل.

بعد مرور عامين، عندما فُتح العديد من المكتبات لـ"مؤسسة الصحافة الجديدة" في عدد من مدن القارة، وقبل أيام من صدور كتاب "وقائع عملية خطف"، ظهر "ماركيز" في مقابلة صحفية مع صحيفة "الباييس"

بعنوان "الحنين للماضي هو المادة الخام لكتاباتي" Nostalgia is the raw material of my writing. كان السؤال الموجه إليه عما إذا كان يكتب خطاباته على الكمبيوتر:

"أنا لا أكتب خطابات".

علق الصحفي: "لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا، كل كتبك متخمة بخطابات الغزل، الحب، تهديد بالموت وخطابات لا يستطيع أحد أن يفضها، خطابات لا تُكتشف إلا بعد الوفاة. أنت نفسك كتبت "الكولونيل لا يجد من يكاتبه"، وتقول الآن أنك لا تكتب خطابات؟".

"إنها قصة حزينة. منذ عدة أعوام، باع صديق لي كان يعاني متاعب مادية بعض الخطابات الشخصية الواردة إليه إلى جامعة معينة، شاملًا في ذلك بعض الخطابات التي كنت قد أرسلتها إليه. كان موقفًا محرجًا. منذ ذلك الحين، لم أعد أكتب خطابات مكتوبة، لذلك أصرف الكثير على المكالمات التليفونية".

هذا التفسير لم يحل اللغز. كان الصحفي "ساجواي جرين" الذي، لأسباب وجيهة، أجرى بحثًا سريعًا عن الدور المهم الذي تؤديه الخطابات في قصص "ماركيز"، لذلك اندهش عندما علم أن الكاتب لا يحتفظ بعدد ضخم من الرسائل. لكن يجب أن نضع في الحسبان طباع "ماركيز" التي تفسر تصرفاته. إنه من النوع المدافع بقوة عن حياته الشخصية. وإذا احتوت هذه الخطابات أمورًا شخصية (سرية، وتودد، وحب، أو حكم على شيء ما) تلك كلها يمكن أن تُباع، بذلك تصبح ملكية عامة، إذن من الأفضل ألا يكتبها أساسًا.

يمكن التعرف على الرواية الإخبارية غير الخيالية "الأخبار المتكاملة" كما دعاها، في بناء قصص معينة، تلك النوعية بدأت مع "ترومان كابوت" عام 1959، عندما نُشر كتابه "بدم بارد". منذ ذلك الحين أصبحت هذه النوعية من الروايات معروفة باسم "الرواية الصحفية"، والتي قوبلت بالكثير من النقد في بدايتها. لكن انتهى بها الأمر بأن أصبحت مقنعة حتى في نظر أعتى المتشككين، مثل "نورمان مايلر". طبقًا لـ"كابوت" نفسه، فإن هذا المنظور الجديد بدأ مع كتاب بدأه عام 1956. قال "كابوت":

"جعلتني رواية "أسمع صوت ملهمات الشعر" The Muses are Heard أفكر في الانتقال إلى أسلوب آخر مختلف تمامًا. أردت أن أبتكر رواية صحفية، شيئًا على مستوى عريض يمكن أن يكون له وقع الحقائق، وصدى الأفلام الفوري، وعمق وحرية الشعر".

هذا يشبه عمل الخيميائي، الذي لا تتحقق نتائج عمله في الحال، لكنها تنتج فيما بعد أعمالًا عظيمة.

في أكتوبر 1996، مع جلسة الانعقاد الـ52 لاتحاد الصحافة بين الأمريكتين (SIP) في "لوس أنجيليس"، و"كاليفورنيا"، أصر "جارثيا ماركيز" على تأكيد الطبيعة الأدبية الفنية للمهنة، يقول في الخطاب الافتتاحي:

"سُئلت جامعة كولومبية، "ما الاختبارات التأهيلية والمهنية لمن يودون أن يصبحوا صحفيين؟" كانت الإجابة الواضحة: "الصحفيون ليسوا فنانين". إن هذه الانطباعات، على العكس، مبنية تحديدًا على حقيقة أن الصحافة المكتوبة هي نوع أدبي".

بعدها، انتهز "ماركيز" الفرصة كي يقرأ تقريرًا عامًا لنشاطات المؤسسة منذ بدايتها منذ ثمانية عشر شهرًا سابقة:

"هناك 320 صحفيًا شابًا من أحد عشر دولة اشتركوا في 27 ورشة يرأسها صحفيون كبار من جنسيات مختلفة على مدى عام ونصف العام من عمر هذه المؤسسة".

ثم أنهى حديثه بتقديم تحية حارة لتلك الهيئة التي وصفها بأنها تمثل أفضل مهنة في العالم.

"إن الصحافة تخلق شعورًا نهمًا يقظًا يمكن أن يُهضم ويعامل معاملة البشر عن طريق مواجهتها القاسية مع الواقع. لا أحد ممن عانوها يمكنه أن يتصور ما يحدث جراء هذا الاستعباد الذي يتغذى على عدم القدرة على التنبؤ بأحوال الحياة. لا أحد ممن اختبروها يمكن له أن يتصور المشاعر غير العادية التي تتفاعل للحصول على الأنباء، وكذلك الشغف للحصول على سبق صحفي، والتدمير الذهني والنفسي في حالة الفشل. لا أحد لم يولد لأجل هذا ويكون راغبًا أن يعيش من أجل ذلك فقط، ثم يتمكن من أن يستمر في مهنة غامضة وشرسة، فيها ينتهي العمل بعد كل إذاعة نشرة إخبارية، كما لو كانت مهنة أبدية، لكنها في الوقت نفسه لا تمنح أي وقت للاسترخاء إلى أن تبدأ من جديد في الدقيقة التالية بكل الحماس الذي يفوق أي شيء آخر".

هذه هي الصورة التي يرى مهنته الأساسية عليها، والتي عاد إليها مرة بعد أخرى، في كل مناسبة، ساعيًا إلى أن يصنع الأحسن والأفضل.

في ذلك العام نفسه، عُرض فيلم "أوديب العمدة" Edipo alcalde/ Oedipus Mayor، من إخراج "خورخي آلي تريانا" وسيناريو "ماركيز". تعتمد فكرة الفيلم على فكرة كانت دومًا عزيزة على قلب "ماركيز" لعدة أعوام: حيث إن "أوديب"، بطل تراجيديا مسرحية "سوفوكليس"، "أوديب ملكًا"، نجده في هذا الفيلم عمدة في قرية كولومبية تقع وسط الجبال، داخل موقف وطني غريب، فيه تحاول القوى السياسية والاجتماعية من مصادر مختلفة أن تسيطر على كل شيء.

في أبريل من العام التالي، نشرت دار نشر "ألفاجوارا" كتاب "جارثيا ماركيز: رحلة حتى الجذور: سيرة ذاتية" García Márquez: El Viaje a la Semilla La biografía/ Garcia Marquez: The Trip to the Seed، كتبه المؤلف الكولومبي "داسو سالديبار". فيه حاول أن يجيب عن سؤالين: "مَن هو جارثيا ماركيز؟"، و"ما هي قصته الحقيقية - تاريخيًّا وثقافيًّا وعائليًّا - التي تقف خلف روايته الرائعة "مئة عام من العزلة"؟ كانت محاولة جديدة كي يخبرنا عن قصة حياته، والحقائق المتعلقة بكتابته لهذه الرواية الرمزية. كان هذا الكتاب مسبوقًا بالكتاب الذي ألفه "بيدرو سوريلا" وعنوانه "جارثيا ماركيز الآخر: الأعوام الصعبة" El Otro García Márquez: Los Años Difíciles/ The Other Garcia Marquez: The Difficult Years(1989)، كذلك الكتاب الذي ألفه "ماريو بارجاس يوسا"، "جارثيا ماركيز: قصة قاتل إله" Historia de un deicidio/ Garcia Marquez: Story of a Deicide (1971). هذا الكتاب الأخير ليس تحليلًا شخصيًّا للكاتب بالمعنى المفهوم، لكنه محاولة لتحليل أعماله الأدبية، وامتحان

دقيق لأعماله ومكوناتها. إنه نوع من التشريح الأدبي فيه تعرض هذه المئتين وخمسين صفحة حقيقته الواقعية - وباستخدام تعبير "بارجاس يوسا" - هذا يعني، بيئته العائلية والشخصية، كذلك شياطينه: تاريخيًا، وثقافيًا وأدبيًا.

يحتفل الكاتب بعيد ميلاده السبعين، كذلك بنشر أولى قصصه القصيرة "الاستقالة الثالثة" The Third Resgination قبل خمسين عامًا، كذلك "مئة عام من العزلة"، التي صدرت قبل ثلاثين عامًا. كذلك تم تكريمه وإحياء ذكراه في عديد من الأماكن. مرة أخرى، خلافًا لعادته، شارك في هذه الاحتفالات التي خُططت بمعرفة السكرتارية العامة لمنظمة OAS في واشنطن، بذلك تجده منتهزًا فرصة أخرى كي يحقق لقاءً جديدًا مع الرئيس "كلينتون" في مكتبه البيضاوي بالبيت الأبيض.

حدثت المقابلة الأولى مع الرئيس الأمريكي قبل ثلاثة أعوام، في أغسطس 1994 في منزل الحائز على جائزة "بوليتزر" الكاتب "ويليام ستيرون" (1925- 2006) في جزيرة "مارثا فاينيارد"، وهي جزيرة تقع في جنوب "بوسطن"، على الساحل الشرقي للولايات المتحدة. هؤلاء الذين سمعوا عن اللقاء ظنوا أن الموضوعات التي سوف يتم تناولها بالنقاش هي مثلًا مشكلة لاجئين كوبا في هذه الجزيرة. لكن الحقيقة هي أن هناك الكثير الذي تم مناقشته، لكن الموضوع الأساسي للنقاش، والذي استمر لخمس ساعات، كان الأدب، وأدار النقاش أربعة قراء جيدين: "ويليام ستيرون"، و"كارلوس فوينتوس"، و"جابرييل جارثيا ماركيز"، و"بيل كلينتون". في مقاله بعنوان "بصيغة المتكلم" In the First Person، الذي ظهر في صحيفة "البابيس" الإلكترونية في 24 يناير 1999، يتذكر "جارثيا ماركيز":

"عندما سألناه عمّا يقرأ، انطلقت منه تنهيدة ارتياح وذكر لنا كتابًا عن الحروب الاقتصادية في المستقبل، الذي عنوانه أو اسم مؤلفه لا أتذكره الآن. قلت له "الأفضل لك أن تقرأ "دون كيخوتيه"، ستجد كل شيء في هذا الكتاب..". أوضح "كلينتون" في جملتين أو ثلاث أنه يعرف هذا الكتاب جيدًا. ثم أصبح حماسًا وهو يسألنا عن أفضل الكتب التي قرأناها. أجاب "ستيرون" أنه كتاب "مغامرات هاكلبري فن" لـ"مارك توين". كدت أقول إنني أفضل مسرحية "أوديب ملكًا" لـ"سوفوكليس"، لكنني فضلت أن أذكر "الكونت دي مونت كريستو". قال كلينتون إن الكتاب الذي يفضله هو "تأملات ماركوس أوريليوس". أما "كارلوس فوينتس" فلم يتردد بل ذكر أن أفضل كتاب قرأه هو "أبشالوم، أبشالوم" لـ"ويليام فوكنر"، وهي بلا شك أكثر كتب "فوكنر" شعبية، على الرغم من أن بعضنا يفضّل "نور في آب". بعدها وقف "كلينتون"، تحية لـ"فوكنر" وبخطوات واسعة حول المائدة أخذ يسرد من الذاكرة مونولوج "بنجيل" من رواية "الصخب والعنف" الذي يعتبر الأكثر اندهاشًا وتكاملًا كجزء من هذه الرواية. لقد دعانا "فوكنر" لكي نسأل أنفسنا مرة أخرى عن مدى الارتباط بين الكتاب الكاريبيين ومجموعة الكتاب العظام الذين نشؤوا في جنوب الولايات المتحدة. وجدنا أن تلك الصلة منطقية للغاية، إذا أخذنا في الحسبان أن دول الكاريبي ليست عبارة عن منطقة جغرافية منعزلة، يحدها المحيط لكن باعتبارها مساحة كبرى لها اعتبارها التاريخي والثقافي تبدأ من البرازيل حتى حوض نهر الأمازون، فيمكن القول إن "مارك توين"، و"ويليام فوكنر"، و"جون شتاينبيك"، وكثيرين غيرهم يمكن اعتبارهم مشابهين تمامًا للكاريبيين أمثال "جورج أمادو" و"ديرك والكوت". لقد نشأ

"كلينتون" وعاش فترة في جنوب "أركنساس"، وشرب تحية لذلك معلنًا بكل ابتهاج صلاته بالجانب الكاريبي".

إن الذكرى المئوية على مولد الكاتب "ويليام فوكنر" (1897-1962)، الأستاذ بالنسبة لـ"جارثيا ماركيز"، كان أيضًا مناسبة للمؤسسات الوسائط الثقافية لكي تتحدث عن أعمال الكاتب الكولومبي، فاستمرت الاحتفالات طوال العام.

في نوفمبر 1998، بدأ "ماركيز" مغامرة صحفية جديدة، حيث اشترى بمعاونة بعض من أصدقائه مجلة "كامبيو 16" التي تأسست عام 1993 على يد "دانييل سامبر بيزانو"، وفيها أصبح ماركيز رئيسًا لفريق التحرير.

تم تصوير فيلم "لا حد يكتب للكولونيل" الذي أخرجه "أرتورو ريبشتاين" قبل بداية القرن الواحد والعشرين مباشرة. اصطحب الكاتب "فيدريكو ثاراجوثا"، وهو مدير في "اليونسكو" إلى "بوجوتا" كي يقدمه لصحيفة "إل إسبكتادور" جائزة حرية الصحافة العالمية، التي خصصها "اليونسكو" في ذكرى "جييرمو كانو".كان مقتل المدير التنفيذي لـ"إل إسبكتادور" في 12 ديسمبر 1986 بناءً على أوامر من "بابلو إسكوبار" هي خطوة أخرى نحو السقوط أكثر في الهاوية. كان "جارثيا ماركيز" محظوظًا عندما عمل معه في الصحيفة وأصبحا بعدها أصدقاءً مقربين. قال عن صداقته مع "كانو":

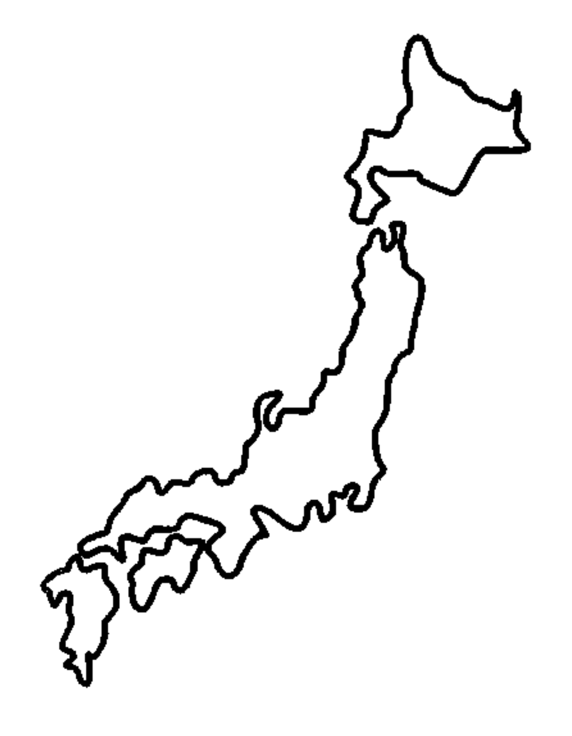
"لديه قدرة فائقة على أن يتخطى تناقضاتنا".

وفي العمود المعنون "ذكرياتي مع جييرمو كانو" De mis memorias: Guillermo Cano/ My Memories with Cano، يتذكر أيام بدايته العمل

لحساب هذه الصحيفة، ويشرح شخصية "كانو" وموهبته في التقاط الأخبار. يعترف أنه متى أراد معرفة القصة الكاملة لأي حدث في البلاد، بعد استقالته من "إل إسبكتادور" كان على الفور يتصل بـ"كانو":

"لأربعين عامًا، في أي وقت أو أي مكان، عندما يحدث أي شيء في كولومبيا، يكون رد فعلي المباشر هو أن أطلب "جييرمو كانو" تليفونيًا كي يطلعني على الخبر اليقين. دونما تأخير يأتيني صوته على التليفون "أهلًا جابو، ما آخر أخبارك؟". ثم في يوم سيئ من ديسمبر الماضي، أرسلت إلى "ماريا خيمينا دوزان" رسالة من هافانا، مع طلب أن أكتب شيئًا بسبب مئوية صحيفة "إل إسبكتادور". في الليلة نفسها، كان الرئيس "فيدل كاسترو" يخبرني بقصة شائقة في حفل أحد الأصدقاء، عندما استمعت لهمس صادر من "مرسيدس" المهتزة: "قتلوا جييرمو كانو". حدث هذا قبل مرور خمس عشرة دقيقة، ثم اتصل أحدهم ليخبرنا بملخص الأخبار. دمعت عيناي، بالتأكيد كنت متحملًا حتى نهاية جملة "فيدل كاسترو". الشيء الوحيد الذي حدث معي حينئذ وأنا أكاد أكون أعمى من الاضطراب، هو الدافع الغريزي المعتاد: أن أطلب من "كانو" أن يخبرني عن مدى صدق هذا الخبر، وأن أشاركه مشاعر الغضب والألم بسبب وفاته".

نُشِر في ذلك العام المجلد الرابع من المقالات الصحفية لـ"ماركيز"، وشمل مجموعة المقالات التي كتبها من عام 1974- 1995 ونشرت في عديد من الصحف، مثل صحيفة "ألترناتيفا"، و"إكسليسيور" في المكسيك، و"لا نوفيل" من فرنسا، و"كازا دي لاس أميريكاس" في كوبا، و"إل إسبكتادور"، و"واشنطن بوست" ومجلة "سيمانا".



ذكريات كاتب ياباني

يبدأ القرن الجديد بإنشاء جائزة الصحافة الجديدة (+ Cemex FNPI) التي تم تمويلها بمعرفة شركة "سيمنتوس مكسيكانوس". خلال العقد التالي، سوف تصبح واحدة من أهم الجوائز في أمريكا اللاتينية للصحافة الجديدة. عاد "جارثيا ماركيز" إلى العمل الصحفي وإلى ورشات عمل المؤسسة، وأدار ورشة مع الصحفي البولندي "ريشارد كابوشينسكي" لتعليم الكتابة الإخبارية في "مكسيكو سيتي"، واقترح أن يحرر المجلة المكسيكية المطابقة لمجلة "كامبيو" الكولومبية. لم ينجح في هذا، لكنه لم يفقد عزيمته قطُّ.

في مارس 2001، نشرت دار "نورما" في كولومبيا "تاريخ رواية مئة عام من العزلة" Tras las claves de Melquíades: Historia de Cien años de soledad / Following the Melquiades Codes: History of One Hundred Years of Solitude بقلم "إيليخيو جارثيا ماركيز"، وهو أصغر إخوته. جاهد هذا الشاب في المتابعة والتحري وراء هذا العمل لعدة أعوام، متتبعًا مراحل صعود وهبوط تطورات العمل في هذه الرواية. فخرج لنا بواحد من أفضل الكتب التي تتبعت تاريخ هذا العمل.

بعد مرور ستة أشهر، في 11 سبتمبر، تم تفجير برجي التجارة العالمي في نيويورك، في هجوم دموي مدمر بطائرات مدنية مخطوفة يقودها بعض من أفراد جماعة القاعدة الإرهابية. بذلك تغيرت السياسات العالمية، وتبدلت الحياة في كل مكان.

في 21 سبتمبر، عرضت دار "بيلاثكويث" للمزادات الطبعات الأولى من أعمال "جارثيا ماركيز" وبعضًا من خطاباته الشخصية. اشتملت هذه المجموعة على 180 ورقة بها التعديلات والتصحيحات لرواية "مئة عام من العزلة". هناك سببان تجعل هذه المستندات لها قيمة كبرى في أعين المشترين. أولًا: إنها تمثل أولى المستندات التي توضح مدى تطور كتابة هذه الرواية. وكما هو معروف - وأوضح الكاتب هذا الأمر - لا يوجد نص أصلي للرواية، ولا يمكن لأحد أن يقرر شيئًا بالنسبة إلى الخمس نسخ المكتوبة، والتي أرسلت إحداها إلى دار نشر "سودأمريكانا" في بوينس آيرس للطبعة الأولى. ثانيًا: هذه الأوراق المصححة تحتوي على 1026 تصحيحًا بيد الكاتب، كثير منها هي أخطاء في التأليف والأخرى تعديلات في الأسلوب. إنها بلا شك مستندات لها قيمة كبرى ولم تحاول أي مؤسسة كولومبية أن تبذل أقل جهد للحصول عليها. كان التوجه الوحيد، وهو بالكاد يعتبر تصرفًا رمزيًا، هو قرار وزير الثقافة الكولومبي (12 يوليو 2001) أن هذه الأوراق المصححة للرواية الشهيرة تعتبر مصدر اهتمام بالغ في نظر الثقافة الوطنية. علمًا بأن هذه الآراء صدرت كثيرًا في مواقف أخرى بهذا الشكل ولها صلة بالإرث الوطني.

ما أن أجرى الكاتب هذه التصحيحات في الأوراق المكتوبة على الآلة الكاتبة، حتى أرسل نسخة جديدة إلى الناشر. ثم أهدى ماركيز لاحقًا تلك الأوراق المصححة إلى المخرج السينمائي "لويس ألكوريثا" وزوجته "جانيت ريزينفيلد". ما إن توفي الاثنان حتى انتقل الإرث إلى المدعو "إكتور ديلجادو"، الذي ورث تلك الأوراق بعد أن ذُكِر في وصيتهما. بعد عام من المزاد الذي عُقد في برشلونة، وضعت صالة مزادات "كريستي" في لندن تلك الأوراق في المزاد،

بنصف الثمن، وللمرة الثانية بيعت إلى مركز "هاري رانسوم" التابع لجامعة "تكساس" في مدينة "أوستن" الأمريكية، لتصبح جزءًا من أرشيف "جارثيا ماركيز" هناك. في خضم ذلك الشهر الكئيب من عام 2001، وقعت جريمة أخرى في كولومبيا. في يوم 24 سبتمبر، خُطفت "كونشويلو أراوخو"، وهي وزيرة الثقافة السابقة وزوجة وكيل النائب العام وراعية مهرجان "باليناتو". كان الخاطفون جماعة من عصابات "القوات المسلحة الثورية الكولومبية" FARC، وبعد مرور ستة أيام، عُثِر على جثتها.

مع بداية 2002، كان هناك ترقب متنامٍ في كل مكان لظهور مذكرات "ماركيز". وصفها أحدهم بنوع من المبالغة أنه أهم كتاب سوف يصدر خلال هذا العقد. وقبل أن يُطبع بوقت قصير تُوفيت والدته "لويزا سانتياجا ماركيز إيجواران" يوم الأحد 9 يونيو في "كارتاخينا دي إيندياس" في عمر السابعة والتسعين.

نُشرت "عشتُ لأروي" في "مكسيكو سيتي"، وبوينس آيرس وبرشلونة يوم 8 أكتوبر. كتب الناقد الإسباني "خواكين ماركو":

"إنه كتاب رائع، يعرض ذكريات مكتوبة بآلية حكي معقدة، لكن بتدرج متمهل، فيه ندخل عالمه الشخصي بمفاتيح تضيء لنا بلا شك كل عالمه الخلاق، والذي راعاه بصبر بالغ جده الفنان. فهذه السمكة الصغيرة المصنوعة من الذهب ليست مجرد قطعة للتزين بها، لكنها ترسم ذلك النور الذي يشع ويفيض على واحد من أعظم العقول في ماضي وحاضر قرننا الحالي".

(مجلة الثقافة 10 أكتوبر 2002).

بالإضافة إلى عدم الصبر الموسمي لقرائه، يلاحظ أن كل كتاب يصدر باسم يخلق كل أنواع الآراء والتعليقات، ويصبح مصدرًا لخلق العديد من الحوارات وتبادل الآراء لعدة أسابيع تالية. لذا لم يكن "عشت لأروي" استثناءً من ذلك، ولم يهم أنه فقط سجل لذكرياته الخاصة، بل ربما العكس هو ما حدث، لأنه هنا يمكن أن تعتبر، كما توقع البعض، أن هذا الكتاب هو مرشد ودليل لأي كتاب سابق كان قد ألفه؛ النكات المشفرة التي كان يطلقها عليه أصدقاؤه، الإشارات إلى خصائص وصفات أفراد عائلته، الحقيقي والمتخيل. لذا نجد أن التساؤل الذي كتبه "خوان جوستابو كوبو بوردا" ليس غريبًا عن كتاب "منجم الذهب الذي يملكه صانع المجوهرات" El filón del joyero/ The Jeweller's Goldmine:

"كيف أمكنه أن يكتب مذكراته بعد كل تلك الروايات التي أبدعها؟ كذلك كيف يرسم لنا كل شخصياته المحملة بكل تلك الملامح الخاصة التي أصبحت جزءًا من قرائه على مستوى العالم؟ كيف يسمحون لهذا الخلاق المتميز "جابرييل جارثيا ماركيز" بأن يعود يحوّلنا جميعًا بكتاباته إلى عائلته الخاصة؟"

(مجلة "ليتراس ليبراس ديسمبر 2002).

تقريبًا هناك اتفاق جماعي مسلَّم به أن ذلك الحكَّاء يود أن يسلط الضوء على المناخ العائلي والنغمة الخاصة في عمله الأخير، لكن فوق كل شيء، تأكيده من أن تلك الرحلة التي قضاها وهو شاب (كان في الثالثة والعشرين من عمره) مع والدته في رحلتهما إلى "أراكاتاكا". "طلبت مني أمي أن أذهب معها لنبيع المنزل". هكذا تقول الجملة الأولى في هذه

المذكرات – باعتباره الحدث الذروة الذي بلا شك سوف يحوله ليصبح كاتبًا. كتب "كوبو بوردا" في مقاله "الهوس بجابو" Gabomania:

"لقد حوَّل العالم كله إلى كلمات دائمة ومستمرة".

وفي حين أصر على الرجوع إلى جذوره، إلى شعوره بالحنين إلى الماضي، كانت تلك هي اللحظ الحاسمة في حياته، الحياة نفسها التي قادته للأمام، يومًا بعد يوم، تجاه اللاشيء.

في العام التالي، ركَّز كل جهوده لإنهاء رواية جديدة وأن يستمر في التفاوض حتى يصل إلى اتفاق تعاوني مع "مؤسسة الصحافة الإيبيرو أمريكان الجديدة". أصبح مرتبطًا ببرنامج إقليمي لحلقات وورش تدريس الصحافة مع بنك تطوير أمريكا اللاتينية وآخر مع صندوق الثقافة الاقتصادية المكسيكي كي ينشر مجموعة جديدة من أعماله الصحفية. دُعي كذلك لكي يحضر احتفال الذكرى المئوية الثانية لإنشاء جامعة "أنتيوكيا"، لكنه أرسل خطابًا إليهم من المكسيك تحت عنوان: "موطني الحبيب والبعيد" La patria amada aunque distante / My Beloved but Distant Homeland.

في عام 2004، نُشرت روايته "ذاكرة غانياتي الحزينات" Memoria de mis putas tristes / Memories of my Melanchoy Whores. كانت قد مرت عشرة أعوام منذ أن نُشرت "عن الحب وشياطين أخرى"، والتي حصلت على تعليقات كثيرة؛ البعض أبدى اندهاشًا من العنوان، لكنَّ الكثيرين أرادوا أن يقرؤوها ويعلقوا عليها. معظمهم أشار إلى مرجعين كانا إلى حد ما واضحين في مسار هذه الرواية. الأول: كان قصته القصيرة "الجميلة النائمة في الطائرة" El avión de la bella durmiente/ Sleeping Beauty and the

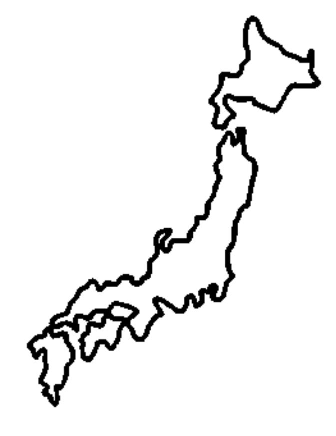
Airplane (1982)، التي ظهرت ضمن مجموعته القصصية "حجيج غرباء". الثاني: هو "الجميلات النائمات" (1961) من تأليف الكاتب الياباني "ياسوناري كاواباتا"، وهي رواية كان "ماركيز" معجبًا بها للغاية، لدرجة أنه عندما كان يذهب إلى بعض المكتبات الخاصة باحثًا عنها، وإذا عثر على نسخة منها يشتريها ليعطيها إلى أحد أصدقائه المرافقين له كي يقرأها. فعل الشيء نفسه بعد أن قرأ رواية "بيدرو بارامو" لـ"خوان رولفو". كان اهتمامه وتقديره لروايات الكاتب الياباني "كاواباتا" واضحًا تمامًا، كما أوضح ذلك الكاتب "ج. م. كويتزي" في مقالة له بتاريخ 23 فبراير 2006 في The New York Review of Books، حيث قال إن هناك الكثير من التشابهات بين هذين المؤلفين، على الرغم أن كليهما يود أن يؤكد شيئًا مختلفًا.

تجاهلت معظم التعليقات ما ورد في أحد أعمدته بعنوان "الجميلة النائمة في الطائرة"، الذي ظهر في "إل إسبكتادور" في 22 سبتمبر 1982، وهي القصة نفسها لكن بتغيير بسيط، ففي وسط العمود يستطرد بالقول ويضيف قصة أخرى، ويخبرنا كيف مرت السنوات على المرء، وأنه في إحدى المرات عندما كان في باريس، بناءً على دعوة من الشاعر الفرنسي "آلان جوفغا"، تقابل مع مجموعة من الكتاب اليابانيين الذين أصروا خلال الحفل على أنه كاتب ياباني:

"في محاولة مني لأفهم ماذا يقصدون، ذهبت بعدها إلى مكتبة متخصصة في باريس في اليوم التالي واشتريت كل كتب هؤلاء الكتاب اليابانيين، ولمدة عام لم أقرأ شيئًا سواها. الآن، أنا مقتنع أن الروايات اليابانية فيها شيء مني. شيء ما يصعب علي تفسيره، وهو ما لم أشعر به في المرة الوحيدة التي زرت فيها اليابان".

انتهى العمود بجملة رائعة تربط كلتا القصتين المذكورتين ببعضهما، ذلك عندما تهبط الجميلة النائمة من الطائرة في نيويورك:

"ظللت في الطائرة نفسها حتى المكسيك، غارقًا في ذكريات جمالها والحنين إليه، أتذكرها جالسة بجواري محتفظة بالدفء الذي حصلت عليه من نومها. لم أتمكن من التوقف عن التفكير في أولئك الكتاب اليابانيين المجانين في باريس وعمّا قالوه عن كتبي. قبل أن تهبط الطائرة، أعطوني أوراق الهجرة، ملأتها وشعور من المرارة يسيطر علي. المهنة: كاتب ياباني. السن: 92 عامًا".





توقفت عن الكتابة

بعد مرور عامين من ظهور آخر عمل روائي له، أعلن في شهر فبراير 2006، في لقاء مع مجلة في برشلونة اسمها "لا بانجوارديا": "توقفتُ عن الكتابة". كان قد قال ذلك في العديد من المناسبات الأخرى. ربما كانت المرة الأولى هي التي قالها لـ"ألبارو موتيس" عام 1994 وهما معًا في المكسيك، ثم نُشرت رواية "مئة عام من العزلة" بعدها بثلاث سنوات. قال الجملة نفسها عندما تولى "بينوشيه" الحكم في تشيلي بعد الانقلاب، الحادث الذي قضى على حياة صديقة "الليندي"، و"نيرودا" وآلاف من مواطني تشيلي. الآن ها هو يردد الجملة نفسها، لكنه هذه المرة، بدا وكأنه يعنيها تمامًا. في مقابلة أجراها معه "ساجواي جرين" منذ عشرة أعوام، أعلن "ماركيز": "إن الطفولة هي المصدر الرئيس لكل شيء أكتبه، والحنين إلى الماضي هو المادة الخام الأساسية لكل كتاباتي". بعدها بعدة سطور أضاف:

"لقد عشت على ذاكرتي طوال حياتي، إنها حقيقة تشغلني كثيرًا الآن، لأنني بدأت ألاحظ أنها تخونني. مثلًا، لدي قائمة خاصة أسجل بها الوجوه، وقائمة أخرى مختلفة بها الأسماء. أحتفظ بهما في رأسي، لكنني الآن لم أعد قادرًا على ربط هذا بذاك".

في مجلة "لا بانجوارديا" الإسبانية، أضاف المزيد إلى هذا الموضوع. ويمكن لنا أن نقرأ ما بين السطور كي ندرك أنه يعتبر نفسه مؤهلًا لأن يحصل على عام أو اثنين أو أكثر يمكن لكي يستريح.

"هذا العام، 2005، أعتبره إجازة لي. لم أجلس إلى الكمبيوتر. لم أخط سطرًا واحدًا. وبجانب ذلك، ليس في ذهني أي مشروع أو آمل أن يكون لدي واحد.

إنني لم أتوقف يومًا عن الكتابة. هذا هو العام الأول في حياتي الذي لم أكتب شيئًا فيه. اعتدت أن أعمل كل يوم، من التاسعة صباحًا حتى الثالثة بعد الظهر. اعتدت القول إنني ملتزم بأن أجعل ذراعي دائمة الحركة.. لكن في الحقيقة، أنا لم أعد أعرف ما الذي يمكن أن أفعله في فترة الصباح".

"والآن، هل وجدت شيئًا أفضل تفعله؟".

"عثرت على شيء رائع أفعله، وهو أن أظل في سريري أقرأ! قرأت كل الكتب التي لم أجد وقتًا لقراءتها من قبل.. أتذكر كم كنت أصبح مهمومًا للغاية عندما، لأي سبب كان، لم أكتب. كان عليَّ أن أخترع نوعًا من النشاط حتى أعيش حتى الساعة الثالثة بعد الظهر كي أخلص نفسي من القلق. لكنني الآن أنا سعيد بالقراءة". مكتبة سُر مَن قرأ

"وماذا عن الجزء الثاني من مذكراتك؟"

"لا أعتقد أنني سوف أكتبها. لديَّ بعض الملاحظات المكتوبة، لكنني لا أود أن أكون مثل الآلة. أكتب من أجل الكتابة. أدركت أنني إذا نشرت جزءًا ثانيًا من مذكراتي سوف أضطر إلى أن أقول شيئًا لا أود أن أبوح به، بسبب بعض العلاقات الشخصية غير الجيدة. في الجزء الأول "عشت لأروي" كتبتُ هو بالضبط ما أردت قوله. في الثاني، أيقنت أن هناك بعض الناس الذين سوف يظهرون فيه، ويا إلهي، لا أود أبدًا أن يظهروا في مذكراتي. إنها خيانة أن أتركهم خارجًا لأنهم كان لهم دور مهم في حياتي، لكن بالنسبة إليَّ، هم ليسوا أناسًا جيدين".

يستمر الكاتب في توضيح مسألة موضوع حصوله على إجازة من العمل:

"[...] انتهى عام الراحة الذي خصصته لنفسي، لكنني في الواقع عثرت على الأعذار الكافية لأن أمد فترة الراحة لتشمل عام 2006 أيضًا. لقد اكتشفت

الآن أنه يمكن لي أن أقرأ دون أن أكتب. دعنا نرى ما الذي سوف يحدث. أعتقد أنني أستحق ذلك بسبب كل ما كتبته. صحيح؟ لكن إذا عثرت على فكرة لرواية ما، إذًا هذا سوف يمثل بالنسبة إليَّ أمرًا رائعًا! في الحقيقة، طبقًا لكل خبراتي، أستطيع أن أكتب عملًا جيدًا بلا أي مشكلات – أستطيع أن أجلس أمام الكمبيوتر وها هي الكلمات تتدفق وتنبثق.. لكن الناس يعلمون جيدًا متى يستطيع المرء أن يتوقف تمامًا. لدي كل أجهزة الكمبيوتر المستعدة لليوم الذي ستأتيني فيه فكرة جديدة، لكنني لم أعثر بعد على تلك الفكرة، ولست في حاجة لأن أجلس على مقعدي كي أخترع واحدة. يجب أن يعلم الناس ذلك، إذا أردت أن أنشر شيئًا آخر، فهذا يعني أنه أمر لا بد و يستحق ذلك".

في مذكراته "أعترف بأنني قد عشت" Confieso Que He Vivido/ I Confess that I have Lived نجد الكاتب "بابلو نيرودا" مشيرًا لكلمة "وطن الكُتَّاب" كما كان يقال عن بلاده، يمدح اللغة الإسبانية بمختلف لهجات دول أمريكا اللاتينية. قال آخرون أن لغاتنا تفصل بيننا، بسبب الإسهامات والإضافات التي جاءتها من لغات السكان الأصليين، لذا حدثت تغييرات في الكلمات القديمة بشكل لا يستخدمه أحد في اللغة الإسبانية الأصيلة، لكن في النهاية، ما زالت هي اللغة العامة المحلية لأكثر من خمسمئة مليون إنسان.

"يا لها من لغة جيدة تلك التي أتحدثها، يا لها من لغة جيدة ورثناها من هؤلاء الإسبان المنتصرين المتجهمين [...] هُزمنا [...] انتصرنا. استولوا على الذهب وتركوا لنا الذهب [...] استولوا على كل شيء، وتركوا لنا كل شيء [...] تركوا لنا الكلمات".

كانت فكرة الاحتفال كل ثلاثة أعوام بالمؤتمر الدولي للغة الإسبانية، الذي تنظمه الأكاديمية الملكية الإسبانية، وجمعية أكاديميين اللغة الإسبانية، تنبع بطريقة ما من ذلك الإحساس بالانتماء إلى تلك اللغة. كان أول احتفال عام 1997 في "زاكاتيكاس" بالمكسيك، وقد ألقى "ماركيز" الخطبة الافتتاحية به، وعنوانها "رسالة في زجاجة إلى إله الكلمات" Bottella al mar para eld ios de las palabras/ Bottle into the Sea for the God of Words. كان الاحتفالين الآخرين في 2001 و2004، في "بلد الوليد"بأسبانيا، و"روزاريز" بالأرجنتين. أمّا الثالث فكان في الذكرى الـ400 لنشر الجزء الأول من "دون كيخوتيه" عام 2005، وأطلق المنظمون له طبعة جديدة من مليون نسخة. أُقيم الاحتفال الرابع بمدينة "كارتاخينا دي إينديياس".

مرة أخرى، كان عام 2007 سعيدًا بسبب تصادف بعض الأحداث الهامة المجمعة؛ بلغ "جارثيا ماركيز" الثمانين من عمره، كانت الذكرى الستين لقصته الأولى، والذكري الأربعين لـ"مئة عام من العزلة"، والذكرى الخامسة والعشرين لفوزه بنوبل. كانت أيضًا السنة التي وافقت يوم الاحتفال باللغة الإسبانية، واحتُفل بكل ذلك ببلدته.

في 26 مارس، حضر الجميع إلى "كارتاخينا": ملك وملكة إسبانيا، الرئيس السابق للولايات المتحدة "بيل كلينتون"، أربعة رؤساء سابقين لكولومبيا، الرئيس الحالي لكولومبيا، مدير الأكاديمية الملكية الإسبانية، مدير معهد "سربانتس" وجمع من المتحمسين من مختلف الأشكال والنوعيات، كولومبيين وأجانب.

الكل متحمس لأنهم جميعًا من قرّاء "جارثيا ماركيز". وكما يقول بعض الناس الذين لا يستطيعون منع أنفسهم من أن يكونوا حاقدين وحاسدين، لا يجب نسيان أنه في كولومبيا يسبب الحسد الموت أكثر من السرطان. لا أحد كان غائبًا، إلا "فيدل كاسترو" الذي كان في ذلك الوقت يعاني مشكلات صحية عديدة، كذلك البابا المشغول دومًا في روما.

ما حدث تأكيدًا هو أن هذا المؤتمر بدأ بتوجيه أسمى آيات الاعتراف والتقدير لهذا الكاتب الكولومبي، وتوالى في إلقاء الخطابات المادحة له كل من "كارلوس فوينتس"، و"توماس إلوي مارتينيث"، و"فكتور جارثيا دي لا كونشا"، و"سيزار أنطونيو مولينا"، و"أنطونيو موينوث مولينا"، و"ألبارو أوريبي"، والملك "خوان كارلوس" - تحدثوا بهذا الترتيب. تحدثوا عن كل ما ميَّز أعمال "ماركيز" وعن موهبته التي لا تبارى ككاتب متمكن، وشفافيته التي يصبها في أعماله، وجهوده المخلصة في إحلال السلام. تسلم "جارثيا ماركيز" في هذا الاحتفال نسخة من المليون نسخة من طبعة إحياء ذكرى ظهور رواية "مئة عام من العزلة" من مدير الأكاديمية الإسبانية وسط حشد من الجمهور الذين وقفوا مصفقين مهللين بينما تمتلئ القاعة بآلاف الفراشات الصفراء.

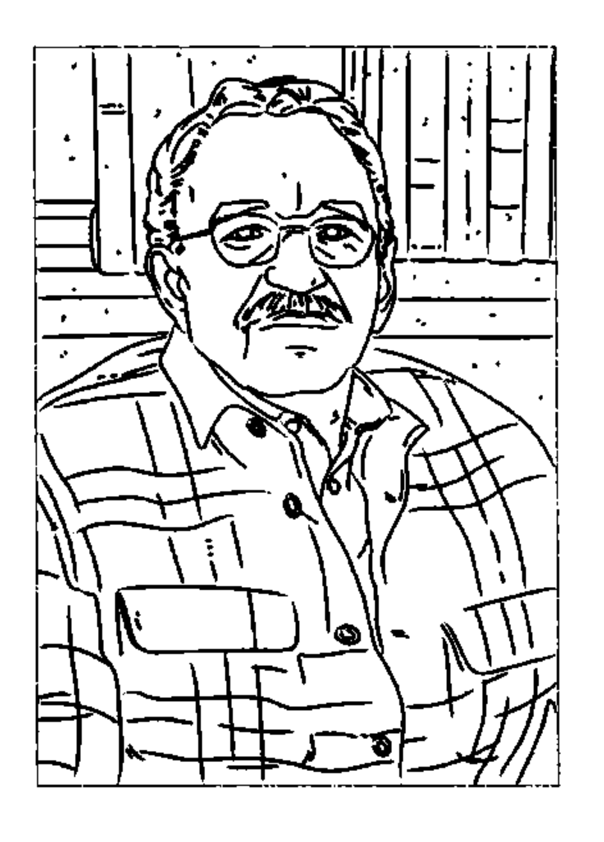
تحدث الكاتب متأثرًا فشكر الجميع لهذه اللمحات التي تعبر عن الحب والود تجاهه وتجاه أعماله، وبالطبع استدعى إلى الذاكرة المصاعب الكبرى التي واجهها وتغلب عليها عندما بدأ في كتابة أشهر أعماله:

"الآن، وحتى في أكثر أحلامي هذيانًا، في تلك الأيام التي كتبت فيها "مئة عام من العزلة" ما كنت أتخيل أنني سوف أشهد يومًا إمكانية طبع

مليون نسخة من هذه الرواية. وعندما أفكر أن هناك مليون شخص سيقرؤون شيئًا كتبته في وحدة غرفتي، مسلحًا فقط بثمانية وعشرين حرفًا أبجديًا، وإصبعين للكتابة على الآلة الكاتبة، وهي كل أسلحتي، يبدو هذا في نظري كأنه الجنون في حد ذاته".

كان هناك الكثيرون الذين ادعوا أنهم رأوه يرتفع إلى السماء ملتحفًا بأوراق "فيرناندا"، "متخليًا عن [...] بيئة الخنافس وزهور الداليا، عابرًا الهواء [...] ودقات الساعة تعلن الرابعة عصرًا معلنة النهاية، ثم تختفي تلك الدقات إلى الأبد [...] صاعدة معه إلى طبقات الغلاف الجوي العليا، حيث لا يمكن حتى لأكثر طيور الذاكرة علوًا وارتفاعًا أن تصل إليه وتلحق به".





حداد في ماكوندو

بعد مرور عامين ونصف العام، في شهر أكتوبر 2009، نشر الإنجليزي "جيرالد مارتن" كتابه "جابرييل جارثيا ماركيز: حياة" Gabriel Garcia Marquez: A Life، بعد سبعة عشر عامًا من العمل المتواصل، وتقريبًا خمسمئة مقابلة حوارية، وما لا يُعد أو يُحصي من القراءات، ومسودات مبدئية لأكثر من ثلاثة آلاف صفحة. كان تسجيلًا رائعًا لسيرة ذاتية كتبها بغرض ملء العديد من الفجوات في حياة هذا الكاتب الكولومبي العظيم، يصحح سوء الفهم ويوضح بعض المواقف والتوجهات. كان هذا عملًا طموحًا ملتزمًا يخلق شكلًا محددًا لعمل وجهد هذا الكاتب.

في 7 أبريل 2014، الساعة الثانية ظهرًا، يوم الخميس، أعلنت الإذاعات والصحف وفاة "جابرييل جارثيا ماركيز". صدرت الصحف بعناوين: "حزن يعم الأرض" Mourning on Earth، "حداد في ماكوندو" Mourning in Macondo. انتشر الخبر في العالم كله وامتلأت شبكات الإرسال بالرسائل الواردة من الأصدقاء، والقراء، والشخصيات البارزة في المجتمعات المختلفة، ورؤساء الدول، اختصارًا، من كل هؤلاء الذين كانوا سعداء الحظ لأن يقرؤوا أي من كتبه في أثناء حياته.

"مات جابرييل جارثيا ماركيز: عبقري الأدب العالمي"، "مئة عام من الحزن: جابرييل جارثيا ماركيز توفي"، "الوداع للرجل الذي كتب فقط كي يحبه أصدقاؤه"، "صحفي السحر قد مات"، "ماكوندو في حداد"، "الوداع يا جابرييل جارثيا ماركيز"، "مات جابو". تكاثرت العناوين في الصحف والمجلات: كثيرًا منها كتبت "وداعًا يا جابو".

أثارت وفاته العديد من مظاهر الحزن في العديد من المستويات والعديد من ردود الأفعال المختلفة. تبع ذلك تغيير اسم بلدة "أراكاتاكا" ليصبح اسمها "ماكوندو"، كذلك نُصبت له التماثيل في العديد من المدن، ووُضع اسمه على مبانٍ وشوارع، وتحول منزله في "كارتاخينا" إلى متحف، كذلك تم عمل مسابقات، وتقديم منح دراسية على اسمه، وأداء طقوس دينية من أجله في الكنائس، مع انبثاق ادعاءات بخصوص رماد جسده وأرشيفه. كل ردود الأفعال تلك بدت وكأنها قد فهمت أن أفضل ما يمكم تكريم شخص مثله لطالما ذكر في أثناء حياته: "إنني أكتب حتى يحبني أصدقائي أكثر وأكثر" هي أن تتم قراءة رواياته وكتبه الأخرى.

قالت "إريمجارد كوين" (1905-1982) – وهي الكاتبة الألمانية التي عاشت مختبئة خلال أيام الحرب العالمية الثانية، بينما كانت كتبها تصادر من النظام النازي – قالت على لسان إحدى شخصياتها في رواية "بعد منتصف الليل" After Midnight (1937):

"إن اليأس الذي ينتاب الفرد بوفاة المحبوب هو في الواقع يأس ناتج عن شعور أكيد من أن الإنسان سوف ينسى حبيبه هذا في صميم روحه، مستبدلًا إياه بغيره ثم سيفقده في النهاية كلية".

لكن القراء الذين أحبوا "جارثيا ماركيز" هربوا بالفعل من هذه الحقيقة القاسية. وعلى الرغم من أن رحيله قد أحزنهم جميعًا، لأن القراء هم في الأساس، أنانيون، ودائمًا ما تكون آمالهم السرية هي أن الكتّاب العظام لا يموتون أبدًا، بذلك يتمتعون دومًا بكتب جديدة صادرة منهم. هؤلاء القراء، بصرف النظر عن أعمار كتابهم، هم متأكدون أن الشعراء

يموتون وهم في سن الشباب. إنهم حتى يفضلوا قبول الموت أولًا - إذا كان ذلك هي لب المشكلة - قبل حدوث ذلك لكتابهم المفضلين، لأنهم في أعماقهم يشبهون وصف "بورخيس" للقراء الجيدين: "البعض يفخر بالكتب التي كتبها، لكن في حالتي، أفتخر بالكتب التي قرأتها".

لكن مثلما أحدثت وفاته هذا القدر الكبير من الحزن، وأن توقعات واهتمامات صدور كتب جديدة له قد انتهت، فقط كلمات "جارثيا ماركيز" التي ظلت وعاشت؛ اثنتا عشرة رواية، ومجموعة من القصص القصيرة، وعديد من التقارير الصحفية التي لا تُنسى، وكتاب آخر من خطاباته، ومئات من الوقائع والمقابلات والتقارير الصحفية، وطبقًا لبعض الشهادات، يقال إن هناك رواية لم تُنشر، وفيها جميعًا تعثر على وقائع وقصص مشرقة جذابة تقدم لأي من قرائه المتشككين الكثير من لحظات الاستمتاع والرضى.

ذكريات القراء هي الشيء الوحيد الذي سوف يظل باقيًا، لأن ذلك التعليم والتوجيه الذي صدر من الكاتالوني الحكيم لأصدقاء "أوريليانو بابيلونيا" – "ألبارو"، و"ألفونسو"، و"خيرمان"، و"جابرييل"، في الصفحات الأخيرة من "مئة عام من العزلة" سوف يظل صادقًا:

"ومشتتًا بين حنينين متقابلين كمرآتين، فقد حسه الرائع باللاواقع، حتى انتهى إلى أن ينصحهم جميعًا بمغادرة ماكوندو، ونسيان كل ما علمهم إياه عن العالم والقلب الإنساني، وأن يتذكروا دائمًا، أينما كانوا، أن الماضي ما هو إلا كذبة، وأنه ليس للذاكرة من دروب للعودة، وأن كل ربيع قديم لا يُستعاد، وأن أشد الغراميات جموحًا، وأكثرها رسوخًا، ليست في نهاية المطاف إلا حقيقة زائلة".

الببليوجرافيا

Arango, Gustavo. Un ramo de nomeolvides. Gabriel García Márquez en El Universal. Cartagena: El Universal, 1995.

Armas Marcelo, J. J. "García Márquez y la verdadera historia de un asesinato olvidado", "García Márquez en los tiempos del sida", en Tirios y troyanos contemporáneos, Madrid: Editorial Playor, 1987.

Atwood, Margaret. "A Slave to His Own Liberation", en The New York Times, 16 de septiembre de 1990.

Ayen, Xavi. "He dejado de escribir", entrevista a García Márquez en el Magazine de La Vanguardia, Barcelona, 29 de enero de.2006

" .________I **Have** Stopped Writing," Interview with García Márquez in La Vanguardia Magazine, Barcelona, 29 January 2006.

Calvino, Italo. If on a Winter's Night, a Traveller. London: Vintage Publishing, 1992.

.________Si una noche de invierno un viajero. Madrid: Siruela, 1992.

Canfield, Martha L. Gabriel García Márquez. Bogotá: Procultura, 1991.

Capote, Truman. Music for Chameleons. New York: Random House, 1994.

Castro Caycedo, Gustavo. Gabo: cuatro años de soledad. Bogotá: Ediciones B, 2012.

Cebrián, Juan Luis. Retrato de Gabriel García Márquez. Barcelona: Galaxia Gutenberg– Círculo de Lectores, 1997.

Cobo Borda, Juan Gustavo. "Gabomanía", en revista Semana, Bogotá, 23 de diciembre de 2002.

.________Para llegar a García Márquez. Bogotá: Ediciones Temas de Hoy, 1997.

.________Para que mis amigos me quieran más. Bogotá: Siglo del Hombre Editores, 1992.

.________Repertorio crítico sobre Gabriel García Márquez. 2 vols. Bogotá: Instituto Caro y Cuervo, 2014.

Coetzee, J. M. "Gabriel García Márquez, Memoria de mis putas tristes", en Mecanismos internos, Barcelona: Random House Mondadori, 2009.
" .________Sleeping Beauty, Memories of My Melancholy Whores", in New York Review of Books, February 23, 2006.
Conte, Rafael. El hombre que nos hizo más felices. Centro Virtual Cervantes.
Dreifus, Claudia. "Gabriel García Márquez." Entrevista en Playboy, febrero de 1983.
Facio, Sara y D'Amico, Alicia. Retratos y autorretratos. Buenos Aires: Crisis, 1974.
Faulkner, William. "El arte de la ficción." Entrevista por Jean Stein en The Paris Review, n.° 12, 1956. En español forma parte del volumen de entrevistas El oficio de escritor. México: Era, 1968.
" .________The Art of Fiction", in The Paris Review, n.° 12, 1956.
https://www.theparisreview.org/interviews/4954/william-faulkner-the-art-offiction-no-12-william-faulkner (Accessed 12 March 2019)
Fiorillo, Heriberto. "Con Gabo, un día después del Nobel", en Cromos, Bogotá, 26 de octubre de 1982.
Fuenmayor, Alfonso. Crónicas sobre el Grupo de Barranquilla. Bogotá: Colcultura, 1978.
Fuentes, Carlos. "Gabriel García Márquez, la segunda lectura", en La nueva novela hispanoamericana. México: Joaquín Mortiz, 1969.
Galvis, Silvia. Los García Márquez. Bogotá: Arango Editores, 1996.
García Márquez, Eligio. Son así. Bogotá: Oveja Negra, 1982.
.________Tras las claves de Melquíades. Historia de Cien años de soledad. Bogotá: Norma, 2001.
García Márquez, Gabriel. Cien años de soledad. Buenos Aires: Editorial Sudamericana, 197018 ,ª edición.
.________La aventura de Miguel Littín clandestino en Chile. Bogotá: Norma, 2008.

________ La bendita manía de contar. Barcelona: Escuela Internacional de Cine y Ollero & Ramos, 1998.
________. La mala hora. México: Ediciones Era, 1977.
________ Living to Tell the Tale. Translation, Edith Grossman. New York: First Vintage International, 2004.
________ Los funerales de la Mamá Grande. Barcelona: Mondadori, 1987.
________ Love in the Time of Cholera. Translation, Edith Grossman. Toronto: Random House, 1988.
________ Notas de prensa. Obra periodística 5. Barcelona: Mondadori, 1999.
________ Of Love and Other Demons. Translation, Edith Grossman. New York: Penguin, 1995.
________ One Hundred Years of Solitude. Translation, Gregory Rabassa. London: Jonathan Cape, 1970.
________ Por la libre. Obra periodística 4. Barcelona: Mondadori, 1999.
________ Relato de un náufrago. Barcelona: Tusquets Editores, 1989, 26ª edición.
________ Strange Pilgrims. Translation, Edith Grossman. New York: Penguin, 1993.
________ Textos costeños. Obra periodística 1. Barcelona: Mondadori, 1991.
________ The General in His Labyrinth. Translation, Edith Grossman. London: Jonathan Cape, 1990.
________ The Incredible and Sad Story of Innocent Eréndira and Her Heartless Grandmother & Other Stories. Translation, Gregory Rabassa. London: Jonathan Cape, 1979.
________ Vivir para contarla. Barcelona: Random House Mondadori, 2002.
García Márquez, Gabriel y Vargas Llosa, Mario. La novela en América Latina: Diálogo. Lima: Ediciones Carlos Milla Batres y Universidad Nacional de Ingeniería, 1968.
García Usta, Jorge. Cómo aprendió a escribir García Márquez. Medellín: Lealón, 1995.

Gay, Peter. Modernidad. La atracción de la herejía. Barcelona: Paidós, 2007.

Gilard, Jacques. Veinte y cuarenta años de algo peor que la soledad. París: Centre Culturel Colombien, 1988.

Ginzburg, Natalia. Ensayos. Barcelona: Lumen, 2009.

González Bermejo, Ernesto. "García Márquez: Ahora doscientos años de soledad", en Triunfo, Madrid, año XXV, n.º 441, 14 de noviembre de 1970, pp. 12-18.

Gurganus, Allan. La última viuda de la Confederación lo cuenta todo. Barcelona: Anagrama, 1992.

.________The Oldest Living Confederate Widow Tells All. New York: Vintage, 1989.

Harss, Luis. "Gabriel García Márquez o la cuerda floja", en Los nuestros. Buenos Aires: Editorial Sudamericana, 1966.

Jaramillo, Fernando (compilador). Para que no se las lleve el viento. Entrevistas a García Márquez. Cali: Jaramillo Editores, 2011.

Keun, Irmgard. Después de medianoche. Barcelona: Editorial Minúscula, 2001.

Klein, Don. Gabriel García Márquez: una bibliografía descriptiva. 2 vols. Bogotá: Norma, 2003.

Levine, Suzanne Jill. El espejo hablado. Caracas: Monte Ávila, 1875.

Martin, Gerald. Gabriel García Márquez. A Life. London: Bloomsbury, 2009.

.________Gabriel García Márquez. Una vida. Barcelona: Random House Mondadori, 2009.

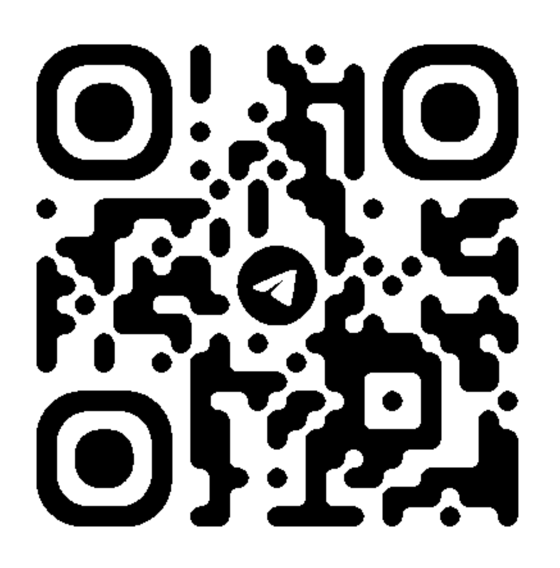
Mera, Aura Lucía y otros. Aracataca-Estocolmo. Bogotá: Colcultura, 1983.

Mutis, Álvaro. "El último rostro", en La muerte del estratega y otro relato. Bogotá: Aguilar, 1995.

Nepomuceno, Eric. "Gabriel García Márquez afronta en su nueva obra los peligros de la novela rosa", en El País, Madrid, 28 de agosto de 1984.

Palencia-Roth, Michael. La línea, el círculo y la metamorfosis del mito. Madrid: Gredos, 1984.

Pynchon, Thomas. "Los eternos compromisos del corazón", artículo del escritor norteamericano a raíz de la publicación en Estados Unidos de El amor en los tiempos del cólera, 10 de abril de 1988, reproducido por Intermedio, suplemento del Diario del Caribe, Barranquilla, en mayo del mismo año.
" .________The Heart's Eternal Vow," article by the United States writer arising from the publication in the United States of Love in the Time of Cholera, 10 April, 1988.
https://archive.nytimes.com/www.nytimes.com/books/98/12/06/specials/marquez-cholera.html (Accessed 12 March 2019)
Rama, Ángel. La narrativa de Gabriel García Márquez. Bogotá: Colcultura, 1991.
.________Los dictadores latinoamericanos. México: Fondo de Cultura Económica, 1976.
Rentería, Alfonso (recopilación y prólogo). García Márquez habla de García Márquez. Bogotá: Rentería Editores, 1979.
Rushdie, Salman. Joseph Anton. Bogotá: Mondadori, 2012.
" .________Márquez the Magician", en Sunday Times, Londres, 24 de octubre de 1982.
Saldívar, Dasso. García Márquez. El viaje a la semilla. Madrid: Alfaguara, 1997.
Sorela, Pedro. El otro García Márquez. Los años difíciles. Bogotá: Oveja Negra, 1989.
Vargas Llosa, Mario. García Márquez. Historia de un deicidio. Barcelona: Barral Editores, 1971.
Volkening, Ernesto. "Anotando al margen de Cien años de soledad, de Gabriel García Márquez", en Eco, Bogotá, n.° 87, t. XV/3, julio de 1967.
.________Gabriel García Márquez o el trópico desembrujado", en Eco, Bogotá, n.° 40, t. VII, 1963.
Woolf, Virginia. "¿Cómo debería leerse un libro?", en El lector común. Barcelona: Lumen, 2009.



الفهرس:



#كتب_مختلفة #كولومبيا

إن "ماركيز" لم يكن مجرد كاتب فاز بجائزة نوبل في الأدب، بل هو أكثر من ذلك. كان ظاهرة مرت بالعالم وأثرت فيه بقوة وتركته يحمل علاماتها حتى يومنا هذا، وعلى الأرجح في المستقبل البعيد.

وعلى غير ما هو معتاد في معظم ما نُشِر عن "ماركيز"، سيحكي هو عن نفسه، عن ذكريات طفولته، وكل ما مر به منذ أن كان في بيت جدته وجده وكيف نشأ هناك، وحتى رحلته في كتابة أشهر رواياته وقصصه التي نُشرت، مثل "خريف البطريرك"، و"في ساعة نحس"، و"الحب في زمن الكوليرا"، وبالطبع أشهرها "مئة عام من العزلة". مثلًا سنعرف أن روايته الأشهر تلك ليس لها نص أصلي بسبب عدد المسودات التي كتبها "ماركيز" لخوفه من أن تضيع منه.

سيحكي عنه كذلك أصدقاؤه، مثل "خوليو كورتاثر"، و"فوينتس"، و"ماريو بارجاس يوسّا"، و"خوان رولفو"، وغيرهم من مؤلفين أمريكا اللاتينية المشاهير، وحتى "ميلان كونديرا" سيكتب عنه وعن قراءته للنسخة غير المحررة من الترجمة التشيكية لـ"مئة عام من العزلة".

كونرادو زولواجا

هو كاتب ومحرر صحفي من مواليد عام 1947. كان مديرًا للبرنامج القومي للمكتبات العامة في كولومبيا، ومديرًا لمكتبة جامعة كولومبيا والمكتبة الوطنية. ظل أستاذًا لمادة الأدب لمدة تزيد على ثلاثين عامًا، وشغل يومًا وظيفة الملحق الثقافي بالسفارة الكولومبية في مدريد. ولمدة عشرة أعوام عمل مدير تحرير لمجلة " الفاجورا " بكولومبيا. خصص معظم دراساته لأدب وأعمال "ماركيز"، وكان هو المدير المؤسس لـ"مشروع جارثيا ماركيز" لجامعة "كولورادوا" بمدينة "دنفر" الأمريكية. نشر عددًا من الكتب، منها: "الدكتاتورية: قصصها في الأدب" (١٩٧٨). كذلك "الباب إلى جارثيا ماركيز" (1982)، و"القطار وركابه" (1995)، وكتاب "الرذيلة التي لا شفاء منها" (2005)، "قراءات في أدب جارثيا ماركيز" (2015).



ISBN: 978 - 977 - 3196 - 43 - 1
9789773196431

العربي للنشر والتوزيع
60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg